صور من الطغيان المادي المعاصر

فضيلة الشيخ الدكتور
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار الإيمان
اسكندرية

دار القمة
اسكندرية

صور من
الطغيان المادي المعاصر

تأليف

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين






بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ



صور من
الطغيان المادي المعاصر

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فقد نظر الله إلى أهل الأرض فأبغضهم، عربهم وعجمهم – إلاَّ بقايا من أهل الكتاب – كانوا قد غيّروا وبدّلوا فأظلمت الأرض وانمحى – أو كاد – نور الإيمان من الوجود، وبُعث رسول الله ﷺ على حين فترة من الرسل، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وكان على رسول الله ﷺ أن يرسخ في النفوس أصلين عظيمين:

الأول: أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا.

والثاني: أن يعبدوا الله بما شرع وليس بشرع أحد سواه.

ولم يسمح لأحد بخدش أي من هذين الأصلين، كما كان عليه أن يواجه طوائف شتى، ممن انحرف عن الإسلام، وحاد عن دعوة نبيّ الله إبراهيم – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – كاليهود والنصارى ومشركي العرب، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، واستقامت الأمة على كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، إلاَّ أنَّ هذا لم يدم طويلاً، فقد أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه أن الأمر سيعود غريبًا كما بدأ غريبًا، وقال: «**لن يأتي على الناس زمان إلاَّ والذي بعده شر منه حتَّى تلقوا ربكم**» وتخوَّف من أن تُبسط علينا الدنيا كما بُسطت على من قبلنا، فتكون الهلكة، فقال ﷺ: «**ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسط عليكم الدنيا، كما بُسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم**».

وقد بُسطت علينا الدنيا بطغيانها وماديا‌تها ومفاهيمها، وبينما آثرت الصوفية هجر الدنيا وانزوت بفكرها داخل الخرائب، كان الترف قد بدأ يتلاعب بالأمة، فدارت بين إفراط وتفريط، وبين غلو وجفو، وبين إسراف وتقصير، وصارت الدنيا والآخرة

طرفي نقيض؛ فهؤلاء لكي يؤمنوا بالله رأوا أنهم لابدَّ وأن يدخلوا الخرائب، مهملين تعمير الدنيا بطاعة الله وإقامة خلافة وحضارة على منهج العبودية لله، وأولئك رأوا أن التقدم والتحضر والتطور يستلزم التفلت من قيود الدين، فركب الغرب موجة الإباحية والانسلاخ من معاني الإيمان، وقالوا: «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله» .

وقد ساهمت الكنيسة بخزعبلاتها وخرافاتها وصكوك غفرانها، وتحريقها لعلماء المادة التجريبيين في وصول الغرب لهذه النتيجة. ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد، فلا ناقة لنا ولا جمل في صراع الكنيسة مع العلم، إلاَّ أننا سرعان ما تناسينا ديننا وتابعنا اليهود والنصارى حذو النعل بالنعل، فقد قلَّد بعض المسلمين الكفار، وتشبَّهوا بهم، وتخلقوا بأخلاقهم، وأعجبوا بهم، وهذا مصداق ما أخبر به النبي ﷺ، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعًا بذراع**» فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: «**ومَن الناس إلاَّ أولئك**» [(١)] وفي رواية عن أبي سعيد: قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**» [(٢)] .

يقول يوسف بن عبد الله الوابل في كتاب «أشراط الساعة» : «قال ابن بطال: أعلَمَ ﷺ أنَّ أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلهم، وقد أنذر في أحاديث كثيرة بأن الآخرة شر والساعة لا تقوم إلاَّ على شرار الناس وأن الدين إنما يبقى قائمًا عند خاصة الناس» .

وقال ابن حجر: «وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ وسيقع بقية ذلك» اهـ.

وفي هذا الزمن كثير من المسلمين من يتشبه بالكفار من شرقيين وغربيين، فتشبه رجالنا برجالهم ونساؤنا بنسائهم وافتتنوا بهم، حتَّى أدَّى الأمر ببعض الناس إلى الخروج عن الإسلام، واعتقدوا أنه لا يتم لهم تقدم وحضارة إلاَّ بنبذ كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ .

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

ومن عرف الإسلام الصحيح عرف ما وصل إليه المسلمون في القرون الأخيرة من بُعدٍ عن تعاليم الإسلام وانحرافٍ عن عقيدته، فلم يبقَ عند بعضهم من الإسلام إلاَّ اسمه، فقد حكَّموا قوانين الكفَّار وابتعدوا عن شريعة الله، وليس هناك أبلغ مما وصف به النبي ﷺ المسلمين في اتباعهم ومحاكاتهم للكفار فقال ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعًا بذراع، حتَّى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**».

قال النووي: «والمراد بالشبر، والذراع، وجحر الضب التمثيل بشدَّة الموافقة لهم، والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ فقد وقع ما أخبر به ﷺ».

هذا والفتن ليس لها حصر، ففتنة النساء، وفتنة المال، وحب الشهوات، وحب السلطان والسيادة والزعامة، كلها فتن ربما تهلك الإنسان وتعصف به إلى مهاوي الردى. نسأل الله العافية.

لقد أصابتنا لوثة المادية، وطغيانها الجارف، ومظاهر ذلك كثيرة في حياتنا وحياة الناس، على مستوى الفرد والدولة والجماعة، بل وصلت من الكثرة حتى النخاع، وجرت منَّا مجرى الدم من العروق حتَّى حسبناها دينًا، وظننا أننا نُحسن الصنع؛ ولذلك كان هذا الكتاب هو صيحة تحذير وصرخة نذير، أُقدّمه بمثابة النصيحة بين يدي عذاب شديد، مُلتمسًا به الإعذار إلى الله بأداء الأمانة، وإبراءً للذمة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاَّ من أتى الله بقلب سليم.

وقد ذكرتُ فيه الكثير من صور الطغيان المادي المعاصر. فإن يكن خالصًا ومفيدًا، فمن الله، وإن يكن غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان، والله منه بريء، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



نظافة الظاهر وعدم المبالاة بالباطن

مبررات ودواعي الاهتمام بالظاهر معلومة ومعروفة، فالله نظيف يُحب النظافة، جميل يحب الجمال، والنبي ﷺ يقول: «**نظفوا أفنيتكم فإن اليهود لا تنظف**» .

وكان النبي ﷺ يرتدي أحسن ما عنده للجمعة والعيدين ويغتسل ويتطيب، وقد أمر سبحانه عباده فقال: ﴿ **خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ** ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾ [الأعراف: ٣٢].

والمرأة بطبعها تميل للتجمل والتحلي ﴿ **أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ** (١٨) ﴾ [الزخرف: ١٨]..

دلائل كثيرة معلومة شرعًا وطبعًا وعقلاً وفطرة، لذلك نجد الناس يتباعدون عن الأماكن القذرة، ويخجلون من الظهور بثياب قذرة، ويحرصون على إزالة البقعة السوداء من الثوب الأبيض، كل ذلك لا حرج فيه بإذن الله، ولكن الحرج كل الحرج أن لا يتواكب معه اهتمام بالقلب والباطن، وأن يصير الاهتمام بالظاهر اهتمامًا شكليًا يأتي على حساب الاهتمام بالنفس والروح، وإلاَّ فهل تباعدتَ بنفسك عن أماكن الفسق والفجور؟ فالمعاصي كلها قاذورات .

وفي الحديث: «**من أتى شيئًا من القاذورات فليستتر بستر الله؛ فإن أبدى لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله**» وخطر المعصية أشد وأضر من خطر البقعة السوداء، أو القاذورات الحسيّة؛ وذلك لأنها تؤثر في القلب، وتستجلب سخط الرب في الدنيا والآخرة، وفي الحديث: «**ألا إنَّ في الجسد مضغة إذا صلُحت صلُح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**» .

أسباب حياة القلب وسلامته:

لا ينجو من عذاب الله إلاَّ من أتى اللهَ بقلبٍ سليم، وحياة القلب وسلامته في العمل بطاعة الله، والاستقامة على شريعته ، والتباعد عن كل ما يُغضب الله جلَّ

وعلا. فهل حرص من يستخدم المساحيق والتسريحات ويلاحق الموضات على نظافة باطنه، و إرضاء ربه، بل مضرة هؤلاء الذين زخرفوا ظاهرهم قد تُصيب الآخرين، كحالة الكاسيات العاريات المائلات المميلات. ويصرنَ فتنة للخلق، ويكون شأنهن كمن يُنظف بيته - هذا إن فعل - ويُلقي الأذى وقاذورات بيته في بيوت الآخرين!! وفي الحديث: «**لا ضرر ولا ضرار**».

ولك أن تتخيل لو كان للذنوب ريحٌ فهل نفورك منها كنفورك من أماكن القاذورات؟ وكان محمد بن واسع - رحمه الله - يقول: «لو كان للذنوب ريح ما قدر أحد أن يجلس إليَّ». ثم هل كان منَّا الحياء من ربنا وهو يرانا على معصيته، كخجلنا من رؤية الناس للبقعة السوداء أو الثوب المتقذِّر؟! .

ومن المعلوم أن الجنة والنار بيد الله وحده ليست بيد أحد سواه، والناس لا يملكون لنا ولا لأنفسهم ضراً ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشوراً؛ فاتقوا الله حق التقوى، وفي الحديث: «**اتقِ الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**».

خلِّ الذنوبَ صغيرها وكبيرها فهو التُّقى
واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إنَّ الجبال من الحصى

وكان الإمام أحمد - رحمه الله - يُنشد ويقول:

إذا خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت، ولكن قل عليَّ رقيب
لا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أنَّ ما يخفى عليه يغيب

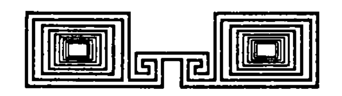
الظاهر والباطن لديه سواء:

الله أحق أن يُستَحْيَا منه من الناس، وهو جلَّ وعلا يعلمُ خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، والسرُّ والعلن عنده سواء، والظاهر والباطن لديه سواء، ومن رحمته سبحانه بعباده أن أمرهم بكل ما من شأنه أن يُحقق لهم نظافة الظاهر والباطن، فالتوحيد

طهارة؛ لأنه اعتراف بالحق، والاعتراف بالحق فضيلة، وجحده رذيلة، والشرك نجاسة، حتَّى وإن اغتسل أهله بالماء، ونظفوا ظواهرهم به؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ** ﴾ [التوبة: ٢٨].

وأدنى شُعب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق، وفي الحديث: «**الإيمان بضع وسبعون - أو ستون - شعبة، أعلاها قول لا إله إلاَّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**». فالدين يأمر أتباعه بنظافة الظاهر والباطن، بل وتنظيف الدُّنيا من حولهم والحرص على طهارة الجسد والروح، وهم بذلك يستأهلون أن تُنادي عليهم ملائكة الجنة وتقول: ﴿ **سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)** ﴾ [الزمر: ٧٣].

فالعجب كل العجب من المعاصي التي تزكم الأنوف، والشركيات والكفريات والفلسفات والنظم الوضعية، والقوانين الطاغوتية الكفرية، عندما تنبعث من أشكال مزخرفة مزينة، نظافتها - إن وُجدت - لا تتعدى ظواهرها، ثم هي بعد ذلك تزعم أنها ستُصلح النفس والمجتمع، وستنشر الحق والعدل، وهيهات هيهات؛ ففاقد الشيء لا يُعطيه، وقد أُمرنا أن نُسمي الأشياء باسمها، وليست هذه هي النظافة التي تعلمناها من كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ.



زخرفة المساجد وعدم تعميرها بطاعة الله

رسالة المسجد:

أين رسالة المسجد في إقامة الدُّنيا على أساس من دين الله؟! وأين دوره الآن في تربية الأجيال التي ستوصل الحقَّ إلى الخلق، وتكون على مستوى إسلامها ودينها؟! وأين نحن من قول الله تعالى: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧)** ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]، وقوله سبحانه: ﴿ **لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)** ﴾ [التوبة: ١٠٨]، لقد انزوت المساجد عن سائر مؤسسات الدولة، ولم تسلمْ من الطغيان المادي المعاصر.

النهي عن زخرفة المساجد:

أصبح الناسُ يتباهون بزخرفة المساجد وفرشها ونجفها، وحدث ما أخبر عنه رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتَّى يتباهى الناسُ بالمساجد**» [١] ولفظ ابن خزيمة: «**يأتي على الناس زمانٌ يتباهون بالمساجد، ثم لا يعمرونها إلاَّ قليلاً**» [٢] وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ما أُمرتُ بتشييد المساجد**» أي برفع بنائها زيادة عن الحاجة، زاد أبو داود: قال ابن عباس: «لتُزخرفُنَّها كما زخرفت اليهود والنصارى»، وروى ابن خُزيمة وصححه: أن عمر أمر ببناء المساجد فقال: «أكنَّ الناس من المطر، وإياك أن تحمِّر أو تصفِّر فتفتن الناس» [٣].

بل الزخرفة أصبحت سببًا في إغلاق المساجد إلاَّ في وقت الصلاة المفروضة فقط، وذلك خشية ضياع النجف والسجاد والساعات التي تُزين بها الجدران.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

(٢) رواه أبو داود وابن حبان وصححه..

(٣) رواه البخاري معلقًا.

المسجد موضوع لمصلحة الإسلام والمسلمين:

من المعلوم أنَّ المسجد موضوع لمصلحة الإسلام والمسلمين، ولذلك كانت الحبشة تلعب بالحراب في المسجد، وكان النَّبيُّ ﷺ يقول لهم: «**دونكم بني أرفدة**» وكان يبعثُ السرايا، ويتمم العقود في المسجد، وكان يستقبل الوفود، ويُشاور المسلمين ويقضي بينهم فيه، ويعظُ ويذكر ويخطب ويدرس فيه، وإذا دعت الحاجة للأكل والنوم فيه فلا حرج، كما فعل ابن عمر وغيره من الصحابة ﷺ، وينظف المسجد من مِثْل القذى في العين كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – .

ولم يمنع النبيُّ ﷺ صبيًا ولا امرأة من دخول المسجد، بل قال ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»، وقد حفظت أم هشام الأنصارية سورة (ق) من فِيِّ [١] رسول الله ﷺ لكثرة ما كان يخطب بها يوم الجمعة. بل كانت النساء تشهد معه صلاة الفجر متلفعات بمروطهن [٢]، والحديث الذي فيه «**جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم**» حديث ضعيف لا حجة فيه، بل هو مُصادم لما صحَّ وثبت من أنهم كانوا يصومون ويصوِّمون صبيانهم ويذهبون بهم إلى المساجد ويأخذون معهم لعب العهن «الصوف» لإلهاء الصغار، كما في حديث الربيع بنت معوذ. وكان النبيُّ ﷺ إذا سمع بكاء صبي خفَّف من صلاته لما يعلم من وَجْدِ [٣] أمه عليه.

وقد أدَّى منع النساء والأطفال من دخول المساجد إلى مفاسد عظيمة، فأين سيتربى ويتعلم هؤلاء؟ وكيف تتواصل الأجيال والحلقات؟ وهل نُسْلِمهم للشارع ووسائل الإعلام...؟.

صد الناس عن المساجد:

صور الصدّ عن سبيل الله كثيرة في حياتنا وحياة الناس، وقد أعطى عليّ بن أبي طالب ﷺ الخوارج حقوقًا ثلاثة قال: «لا أمنعكم المساجد، ولا أمنعكم الفئ طالما أيديكم معنا، ولا أبدؤكم بقتال» وَوَفَّى لهم بذلك.

---

(١) فِيِّ : فم.
(٢) بالغن في التَّستّر، حتَّى لا يبدو منهن شيء.
(٣) وَجْد : قلق.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ**﴾ [البقرة: ١١٤] قال العلماء: مضى زمان على النصارى كانوا لا يدخلون المسجد الأقصى إلاَّ أُوسعوا ضربًا بعد أن كان مُتَعبَّدهم؛ وذلك لأنهم أعانوا بختنصر على طرد اليهود منه، ولما منع المشركون رسول الله ﷺ والصحابة من دخول مكة عام الحديبية، بعثَ النَّبيُّ ﷺ أبا بكر بعد ذلك يُنادي في قريش: «**ألاَّ يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان**».

هيا بنا نبدأ:

هيا بنا نفتح بيوت الله للناس، فهذا أثوب لنا، وقد خرجت عن ملكيتنا الخاصة وأصبحت وقفًا عامًا، ونوينا ببنائها أن يُبنى لنا بيت في الجنة، فلنُخلص عملنا لربنا، ولنعُدْ بالمسجد إلى سيرته الأولى، فيجتمع فيه المحبون المخلصون الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويكفون السمع والبصر والفؤاد عن كل ما يغضب ربهم، ويتعاهد بعضهم بعضًا، ويعمرون بيوت ربهم بالصلاة والاعتكاف والذكر وتلاوة القرآن والتعليم. كبيرهم يعطفُ على صغيرهم، وصغيرهم يُوقر كبيرهم. يتحابون في الله، ويُدركون أنهم في ضيافة الله، وحقٌّ على المزور أن يُكرم زائره. ويكونون أشبه بخلية نحل، كلهم له دوره ومهمته، وكلهم على ثغرة من ثغور الإسلام، يحرصون على إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام، ولا يتخلَّفون عن صلاة الجماعة إلاَّ من عذر، فقد كان العلماء يقولون: إذا رأيت الرجل يتهاون في تكبيرة الإحرام، فاغسل يدك منه.

ولم يُرخّص النبيُّ ﷺ لعبد الله بن أم مكتوم الأعمى في أن يُصلي منفردًا في بيته، وقال له: «**أتسمع الأذان؟**» قال: نعم. قال: «**فلبِّ، ولا أجدُ لك رخصة**». وكان ابن أم مكتوم رضي الله عنه يسكن عوالي المدينة، وكان أحيانًا لا يجدُ من يقوده إلى المسجد، والصحراء كثيرة الهوام والحشرات.

التحذير من بدع المساجد:

ولابد من تنقية المساجد من البدع والمحدثات، كبناء المساجد على القبور، وصرف العبادات - كالذبح والنذر والاستغاثة والدعاء - للمقبورين من دون الله ﴿**وَأَنَّ**

الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) ﴾ [الجن: ١٨]. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ التحذير من بناء المساجد على القبور، فهو ذريعة للشرك والكفر، ولذلك ذهب الأئمة الأربعة إلى حرمة بناء المسجد على قبر وحرمة الصلاة إلى قبر، وحرمة الصلاة على القبر.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «المسجد المقام على قبر لا يُصلى فيه فرضًا ولا نافلة» .

وبالنسبة لمسجد رسول الله ﷺ فالصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه، وقد احتاطوا فبنوا جداراً من وراء جدار على قبره، ولذلك تقول لجنة الفتوى: إن الحجرة لا زالت خارج المسجد، وما مُنع سداً للذريعة أُبيح للمصلحة الراجحة، وليس مسجده ﷺ كمسجد السيد البدوي أو أبي العباس المرسي، ولابد من الحذر من بدع الأذان كالصلاة على النبي ﷺ بصوت جهري، ولا يصح تخصيص قبل صلاة الفجر أو الجمعة أو العصر بتلاوة القرآن؛ فكل ذلك لم يثبت عن رسول الله ﷺ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، والشرع قد اكتمل، والمحبة الحقيقية لله ولرسول الله ﷺ توجب الاتباع الصادق ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١] .

وكان النبي ﷺ دائمًا يقول: «**إنَّ كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**» .

حتى لا ننسى :

لا ننسى ونحن نُصلي ونسجد ونجتمع في المسجد خمس مرات كل يوم أنَّ دعوتنا عالمية، وأنه لابدَّ وأن نكون على مستواها ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)** ﴾ [الفرقان: ١] ، ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)** ﴾

[ص: ٨٧، ٨٨] .

وأنَّ دعوتنا دعوة شاملة لكل القطاعات، الكبير والصغير، والرجل والمرأة،

والمسجد والسوق؛ فعندما توجَّه النبيُّ ﷺ إلى المدينة أقام المسجد، ثم انتقل بعد ذلك إلى السوق فنظمه، فالمسجد لا ينفصل عن الحياة، وإلاَّ فستكون النتيجة حتمًا أن تتواجد أجيال تعيش بوجهين وبمفهومين وبولاءين، وجهٌ لها في المسجد فيه أمارات التُّقى وعلامات الصلاح، به تُصلي وتصوم، والثاني فيه أمارات الربا والغش والخداع، وبه تتواجد مع الراقصة والأغنية والفيلم والتمثيلية والمسرحية، لابدَّ من شمولية النظرة والحرص على الاستقامة في كل آن وحين.

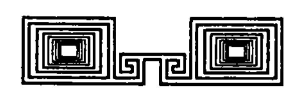
هكذا كان الأمر على عهد النبوة:

كان صحابة رسول الله ﷺ في حلقات العلم يجلسون - معلمين ومتعلمين - وإذا دعا داعي الجهاد خرجوا يلبون النداء، وإذا سمعوا تكبيرة الإحرام، كانوا يحرصون على إدراكها ويتنافسون على الصف الأول وميامن الصفوف.

أين نحن من ذلك كله؟! لقد اكتفينا بزخرفة المساجد، مع العلم أنَّ مسجد رسول الله ﷺ لم يكن مُضاءً ولا مفروشًا، فإذا أضأناها وفرشناها، فلا أقل من أن نعود بها لسيرتها الأولى حتَّى تؤدي المساجد رسالتها في نشر الحق وهداية الخلق، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

وقف وزير الخارجية البريطاني يومًا في مجلس العموم وقال: «إنَّ العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد الإسلام هذا الكتاب وهذا البيت». وأمسك بالمصحف بيده وأشار بالثانية إلى الكعبة.

فانتبهوا يا عباد الله إلى أهمية المساجد، واعلموا أنَّ الأعداء يُريدون ليُطفئوا نور الله بأفواههم، ويحرصون على تفريغها من محتواها، ولكن الله غالب على أمره، ومُتم نوره ولو كره الكافرون.



إنجازات الحكام
أبعد ما تكون عن الهمة الحقيقية

من الصور الفجَّة والصارخة للطغيان المادي المعاصر، ما نسمعه من إنجازات للحكام هنا وهناك، وكلها تدور حول الرخاء الاقتصادي الذي حقَّقوه والحريات الديمقراطية الواسعة التي طبَّقوها، وأصبح هذا الحاكم يَفضُل ذاك لكونه رخَّص الأسعار أو أقام للناس الجسر والمدرسة ... وكأن هذا هو ميزان التفاضل والتقويم!! وإذا صلح هذا من أهل الضلال في الدول الكافرة - وهو لا يصلح - فهل يُقبل ذلك من حكام المسلمين؟!.

أدلة وجوب الإمامة:

بالرجوع لكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، علمنا أنَّ مهمَّة الحاكم هي إقامة الدين وسياسة الدُّنيا به، وقد دلَّ على وجوب الإمامة قوله سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء: ٥٩].

قال الطبري: «أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولاة فيما كان لله طاعة وللمسلمين مصلحة».

وقال ابن كثير: «الظاهر - والله أعلم - أنَّ الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء».

وقال تعالى: ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)** ﴾ [الحديد: ٢٥].

قال ابن تيمية - رحمه الله -: «فالدين لابد فيه من الكتاب الهادي والسيف

الناصر.. فالكتاب يُبيّن ما أمر اللهُ به، وما نهى عنه، والسيف ينصر ذلك ويؤيده».

وفي الحديث: «**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»(١)، وفي حديث أبي أُمامةَ الباهليّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لينقضن عُرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناسُ بالتي تليها، وأولهن نقضًا الحكم، وآخرهن الصلاة**»(٢)، وقال ﷺ: «**إنَّه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسَّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل بدعة ضلالة**»(٣).

وقد أقام النبيُّ ﷺ أول حكومة إسلامية في المدينة، وقد أجمع العلماء على وجوب نصب الخليفة، ولم يخالف في ذلك إلاَّ الأصم حيث إنه كان عن الشريعة أصم.

يقول النووي: «وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة».

الهدف من الإمامة والحكم:

الهدف من الإمامة والخلافة والحكم: إقامة الدين وسياسة الدنيا به، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)**﴾ [الحج: ٤١].

وفي ذلك يقول ابن الهمام: «والمقصد الأول إقامة الدين، أي: جعله قائم الشعار على الوجه المأمور به من إخلاص الطاعات وإحياء السنن وإماتة البدع؛ ليتوفَّر العباد(٤) على طاعة المولى سبحانه».

وإقامة الدين تتمثل في حفظه وتنفيذه، وحفظه يتم بنشره والدعوة إليه، بالقلم واللسان والسنان، ودفع الشبه والبدع والأباطيل ومحاربتها، وتحصين الثغور، وتوفير

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني.
(٣) رواه الترمذي وقال حسن صحيح.
(٤) يصرفون همهم وجهدهم إلى الطاعة.

الأمن للمسلمين في كل المجالات، وتنفيذ الدين يتم بإقامة الشرائع والحدود، وتنفيذ الأحكام، وحمل الناس عليه بالترغيب والترهيب. وسياسة الدنيا به معناها الحكم في شئون هذه الحياة بما أنزل الله، إذْ من المعلوم أنَّ من سمات هذه الشريعة: العموم والشمول لكل متطلبات الحياة، وأنها الشريعة الخاتمة والصالحة للبشرية جمعاء حتى قيام الساعة، حيث قال عزَّ وجل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

التفريق بين العبادات والتعاملات:

لابدّ في ذلك التفريق بين العبادات - والأصل فيها التوقيف [١] والاتباع - وبين المعاملات - والأصل فيها الإباحة إذا رُوعيت ضوابطها الشرعية - فالعلوم النافعة كالزراعة والطب والهندسة تؤخذ من كل من أفلح فيها، أما علوم الهداية فلا تُوخذ إلاَّ من الكتاب والسُّنَّة.

وقد حذَّر سبحانه من سياسة الدنيا بغير الدين، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) ﴾ [النساء: ٦٠] وقال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ [النساء: ٦٥] وقال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) ﴾ [المائدة: ٥٠].

خيرات تطبيق الشريعة:

تطبيق الشريعة من شأنه أن يُحقق العدل ويرفع الظلم، ويجمع الكلمة ويُنهي الفرقة، كما أنه يُحقق القيام بعمارة الأرض، واستغلال خيراتها فيما هو صالح الإسلام والمسلمين، وانظر بعد ذلك إلى حجم الإضاعة للبلاد والعباد، عندما يُهْجَر الإسلام

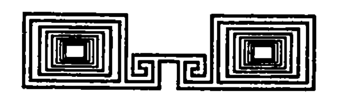
---

(١) التوقيف: الاقتصار على الصفة والهيئة التي ورد بها الشرع.

وتصبح الديمقراطية أو الاشتراكية بديلاً من دين الله، وهل نكون قد حقَّقنا إنجازًا يُذكر ويُتفاخر به وقد أصبح ديننا وراءنا ظهريًا؟! ﴿ **أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ** ﴾ [البقرة: ٦١].

آثروا ما يبقى على ما يفنى:

ما قيمة تعمير الدُّنيا إذا خربنا الآخرة؟! ولذلك أصبحنا نكره الموت؛ لأننا نخرج به من العمران إلى الخراب ﴿ **وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)** ﴾ [الإسراء: ٧٢] إنَّ الدنيا لا تصلُح عوضًا عن معنى من معاني الآخرة، والمؤمنون يقبلون أقلّ القليل من الجسور والمدارس والرخاء الاقتصادي.. مع صلاح آخرتهم، ولا يرضون بدنيا لا بقاء لها ولا وفاء، وخصوصًا إذا أتت على حساب الدين.



الاحتفالات المبتدعة

صور من الطغيان المادي

مظاهر الإسراف والتبذير وإضاعة أموال المسلمين، لم تعدْ قاصرة على المواكب والاستقبالات والاحتفالات بالمناسبات المخترعة، كعيد النصر، وعيد العمال... وإقامة الدورات الرياضية ببذخ وترف، بل تعدى الأمر إلى الاحتفال بأعياد ومواسم مبتدعة: كالمولد النبوي، ورأس السنة الهجرية، وذكرى الإسراء والمعراج حيث نقيم الزينات والسرادقات، ونأتي بالشيوخ المقرئين، ونوسّع على أولادنا باللحم والحلوى، وكل ذلك لم يفعله سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وقد انقضت خير القرون دون هذه الاحتفالات مع عظيم استمساكهم بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

شر الأمور محدثاتها:

عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتدَّ غضبه، حتَّى كأنه منذر جيش، يقول: «**صبحكم ومسَّاكم**» ويقول: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**» ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «**أما بعد، فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**» [١]. وفي رواية للنسائي: «**وكل ضلالة في النار**».

وفي الصحيحين: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» وكان عمر رضي الله عنه يقول: «كل محدثة بدعة وإن رآها الناسُ حسنة» وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم، عليكم بالأمر العتيق»، وكان الشافعي - رحمه الله - يقول: «من استحسن فقد شرَّع» وذلك لقوله سبحانه: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾ [الشورى: ٢١].

يقول ابن تيمية - رحمه الله -: «فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله، أو أوجبه بقوله أو فعله، من غير أن يشرعه الله، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله،

---
(١) رواه مسلم.

ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذه شريكًا لله، شرع له من الدين ما لم يأذن به الله. نعم قد يكون متأولاً في هذا الشرع، فيغفر له لأجل تأويله، إذا كان مجتهداً الاجتهاد الذي يُعفى فيه عن المخطئ، ويُثاب أيضًا على اجتهاده، لكن لا يجوز اتباعه في ذلك، كما لا يجوز اتباع سائر من قال أو عمل قولاً أو عملاً قد علم الصواب في خلافه، وإن كان القائل أو الفاعل مأجوراً أو معذوراً». اهـ.

صدق الانتساب لدين الله:

هل احتفالنا – على مثل هذا النحو – يُحقق صدق الانتساب لدين الله؟! وهل إذا احتفلنا بمولد النبيّ ﷺ عظمنا سُنَّته الشريفة وعملنا بشريعته ؟! وهل أخذنا دروسًا في الاستقامة من مناسبة الإسراء والمعراج؟! وما الذي استفدناه من ذكرى الهجرة؟! أين معاني التضحية والبذل والجهاد والأُخوّة الإيمانية والإيثار ومخالفة الكفار والتوكّل على الله في حياتنا وحياة الناس؟!.

لقد أصبحت هذه الاحتفالات عبارة عن ذرٍ للرماد في العيون، ولو كنَّا نُحسن التَّأسِّي لعلمنا أنَّ كل خير في اتّباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف، وما لم يكن يومئذ دينًا فليس اليوم بدين، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها، وأول هذه الأمة لما عمل بالاتباع وتجنَّب الابتداع، غيَّر الله به وجه الأرض ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١].

الاحتفال بأعياد المشركين:

ولا يخفى عليك أنَّ الاحتفال بأعياد المشركين، كعيد الميلاد وشم النسيم أشد مخالفة وقبحًا؛ إذْ أنَّ أعيادهم من أعظم شعائر دينهم الباطل. إنَّ الواجب علينا أن نُظهر شعائر الإسلام ونطمس مظاهر الكفر، ولا سبيل لظهور الدين إلاَّ بتعظيم حرمات الله ومتابعة الفرائض بالنوافل، وصبغ الحياة بمعاني الإيمان والانتهاء عن الصور الماديّة التي خَيَّل بها الأعداء على ضعاف البصر والبصيرة منَّا، حتَّى ظننا أننا نحسن الصنع، وما درينا أنَّ العملة الزائفة لا تروج على الله، وإلاَّ فما قيمة سُرادق يُقام ثُمَّ ينقضِ ونعود سيرتنا الأولى ضياعًا وانحرافًا.

أين حقوق الإنسان؟!

العدل أساس الملك، وبه قامت السماوات والأرض ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، ولا يخفى على أحد سَبْق الإسلام لكل النظم الأرضية الوضعية والهيئات الدولية في إقامته الحق والعدل ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ [الملك: ١٤].

الحقوق لا تقتصر على المسلمين:

هذه الحقوق لا تقتصر على المسلم دون الكافر، والأصل فيها أن تُستقى من كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، وحينئذ سنتبيّن الحدّ الذي نقف عنده ولا نتعداه، وإلاَّ كنا دائرين مع الهوى ووساوس الشيطان، وفي الحديث: «**من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة**» (١) فلا يجوز أذيته في ماله أو دمه أو عرضه إن كان غير محارب، وأيضاً لقول النبيّ ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه عز وجل: «**يا عبادي إني حرمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**» (٢).

الرحمة بالكافر والعدل معه:

لابد من رحمته بالرحمة العامة كإطعامه إن جاع، وسقيه إن عطش، ومُداواته إن مرض، وإنقاذه من تهلكة، وتجنيبه الأذى؛ لقول النّبيِّ ﷺ: «**ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء**» (٣)، والحاكم والجزاء من جنس العمل؛ لقول النبي ﷺ: «**في كل ذي كبد رطبة أجر**» (٤).

عندما ذهب عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ليخرص(٥) نخل يهود خيبر أرادوا رشوته،

(١، ٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الطبراني والحاكم.
(٤) رواه أحمد وابن ماجه.
(٥) يقدّر كمية ما عليه من ثمر.

فقال: يا أعداء الله تعلمونني السحت، فوالله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليَّ ولأنتم أبغض إليَّ من عدتكم [١] من القردة والخنازير، ولا يحملني حبي إياه وبغضي إياكم على ألاَّ أعدل بينكم. فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.

الإسلام يسبق جمعيات الرفق بالحيوان:

ومن هذه المعاني ما لا يَقصر على الإنسان دون الحيوان، كإطعامها وسقيها، ورحمتها والإشفاق عليها؛ لقول النبيّ ﷺ لما رآهم قد اتخذوا حيوانًا هدفًا يرمونه بالسهام: «**لعن اللهُ من اتَّخذ شيئًا فيه روح غرضًا**» [٢] ولنهيه ﷺ عن صبر البهائم أي حبسها للقتل، ولقوله ﷺ: «**من فجع هذه بولدها؟، رُدُّوا عليها ولدها إليها**» قاله لما رأى الحمرة [٣] تحوم تطلب أفراخها التي أُخذت من العش.

ومن ذلك إراحتها عند ذبحها أو قتلها؛ لقوله ﷺ: «**إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليرح أحدكم ذبيحته وليحد شفرته**».

ولا يجوز تعذيبها بأي نوع من أنواع العذاب سواء كان بتجويعها، أو ضربها أو بتحميلها ما لا تطيق، أو بالمُثْلَة[٤] بها، أو حرقها بالنار، وذلك لقول النَّبي ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة، حبستها حتَّى ماتت، فدخلت فيها النار، فلا هي أطعمتها وسقتها إذْ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**» [٥]. وقد مرَّ النَّبيُّ ﷺ بقرية النمل - موضع نمل - وقد أُحرقت فقال: «**إنَّه لا ينبغي أن يُعذّب بالنار إلاَّ رب النار**» [٦] - يعني الله عزَّ وجل -، ولما رأى حماراً موسومًا في وجهه قال: «**لعن الله من وسم هذا في وجهه**» [٧].

---

(١) آباؤكم وأسلافكم.
(٢) متفق عليه.
(٣) **الحمرة**: طائر.
(٤) قطع أحد أعضائها وهي حية، كقطع الأذن مثلاً، أو الذيل كما يفعل بعض الناس بالكلاب.
(٥) رواه البخاري.
(٦) رواه أبو داود.
(٧) رواه البخاري.

وقد حكى النبيُّ ﷺ قصة بغيّ بني إسرائيل، التي دخلت الجنة بسبب كلب وجدته يلهث فَسَقَتْهُ وغفر الله لها، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي فاشتدَّ عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ بهذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خُفَّه ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له**». قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: «**في كل ذي كبد رطبة أجر**».

أين حقوق المسلمين؟

بدلالة الأدنى على الأعلى، وإذا كانت هذه حقوق الحيوان، فكيف تكون حقوق الإنسان وحقوق المسلمين؟!، ولا يشفع للأمم المتحدة وأوربا وأمريكا ومجلس الأمن ومنظمات العدل وحقوق الإنسان ومؤتمر ڤيينا وغيره رفع الصوت؛ للمطالبة بتطبيق حقوق الإنسان، إذ هؤلاء جميعًا يكيلون بمكيال واحد، وهو مكيال العداوة لهذه الأمة.

وما يحدث في البوسنة والهرسك والصومال وفلسطين وبورما، والجمهوريات الإسلامية بروسيا وكشمير خير شاهد على أنَّ هؤلاء يقيمون الدنيا ولا يقعدونها إذا أُضير من كان على شاكلتهم، بينما لا يُحركون ساكنًا إذا أُبيد جميع المسلمين، فأين حقوق الإنسان إذن؟! ثم محافظتهم لو حدثت فهي قاصرة على منع التعذيب والمحافظة على الأبدان.

الحقوق الأمريكية إضاعة للبلاد والعباد:

لو أردنا أن نُسمي الأشياء باسمها لقلنا إنَّ محافظتهم إضاعة للبلاد والعباد، وصورة مادية فجة للمحافظة على الأبدن مع تخريب الأرواح والقلوب والعقائد؛ فحقوق الإنسان على الطريقة الأمريكية تعني نشر الإلحاد والزندقة والفلسفات المارقة تحت اسم حرية الفكر والرأي، ونشر العربدة والفسق والفجور والانحلال الخلقي تحت اسم حرية المرأة، والحرية الشخصية.

بل هم جعلوا من جملة هذه الحقوق - مؤخرًا - حرية الشذوذ الجنسي (اللواط والسحاق) !!! هل نستبعد بعد ذلك أن يحدث معنا مثل ما حدث مع قوم لوط ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)** ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به** » [١] .

وهل يقبل مسلم أن يعيش حياة القصور ويُحافظ له على جسده ويسلم حتَّى من التعذيب، ويكون ذلك على حساب دينه وعقيدته وتخريب روحه وقلبه، بنشر الإلحاد والفسق والفجور، التي يسمونها - زورًا وبهتانًا - حقوقًا؟! يا قوم، إنَّ أقل القليل من هذا الضياع كافٍ في استجلاب اللعنات والنقم على البلاد والعباد ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠)** ﴾ [الشورى: ٣٠] .

ولما تساءل البعض يوم أُحُد وقالوا: أنَّى هذا؟ كانت الإجابة: ﴿ **قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ** ﴾ [آل عمران: ١٦٥] ، ثم شرعت الآيات توضح الأسباب ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقد قُتل يومئذٍ سبعون، وجُرح النبيُّ ﷺ وكُسرت رباعيته، ولا سبب لذلك إلاَّ مخالفة هدي رسول الله ﷺ .

إقامة النظام الإسلامي العالمي:

إننا بحاجة شديدة لإقامة النظام الإسلامي العالمي، والعودة لديننا في مواجهة النظام العالمي الواحد الذي تفرضه أمريكا، وتُحاول أن تفرض معه الكفر والردة والشذوذ والانحلال، ليس فقط على الشعوب الكافرة، بل على الشعوب الإسلامية التي تُؤمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً .

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وإذا كان إبليس قد سمَّى الشجرة التي نُهي آدم عن الأكل منها بشجرة الخلد، فكذلك أولياؤه من الأمريكان والأوروبيين يُسمون هذا الضياع باسم الحريات والحقوق!! ، ليس لنا أن نقلد غيرنا في العمل بأسباب دماره وهلاكه، فلا أسوة في الشرِّ، ولا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن، وإن كفر كفر، كما يقول ابن مسعود رضي الله عنه : «لا يكونن أحدكم إمَّعه إن أحسن الناس أحسنتم، وإن أساءوا أسأتم، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تُحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم» والحق هو ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة والعقول السليمة والفِطَر المستقيمة، وإن وافق من وافق، وخالف من خالف.

حكم من كفر بالله وبارزه بالحرب:

إذا كان من خالف دساتير البلاد تُعَلق له المشانق، فكيف بمن كفر بالله وخرج يُبارز الله بالحرب؟ فهل نقول له أنت حر ونُقنِّن لعربدته؟! لا شكَّ أنَّ هذا أضر من الحيوانات المؤذية التي أجاز الشرع قتلها كالحية ، وفي الحديث: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**» ، بل وأن يسترق وتُضرب الجزية في رقبته إذلالاً وصغارًا، فهذا هو حكم رب العباد في خلقه: ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** ﴾ [الأعراف: ٥٤].

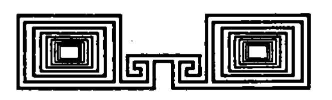
مسائل تتعلق بالولاء والبراء:

إذا كان يجوز لنا أن نبيع ونشتري من الكفار، ونُهادي أهل الكتاب ونأكل من ذبائحهم ونتزوج من نسائهم ونرحمهم بالرحمة العامة، ونعدل معهم، ونعودَهم في مرضهم - فليس معنى ذلك أن نُحبهم أو نواليهم أو نصادقهم، أو أن تكون هناك أخوة بيننا وبينهم، وبهذا وذاك وردت نصوص الشريعة ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ويقول تعالى: ﴿ **وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** (١٤) ﴾ [فاطر: ١٤] ، فهو مثال بكل الأشكال وفي كل الساحات، فالواجب علينا أن نحذر ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ** ﴾ [النساء: ٧١].

الحذر من الشعارات البراقة:

لنحذر من جملة ما نحذر الشعارات البراقة كالإنسانية والحرية والإخاء والمساواة... وغيرها من الشعارات التي يُروج لها بالمفهوم الغربي الضائع، فإن أبينا إلاَّ أن نأخذ بها وبحقوق الإنسان عندهم، فانتظروا الدمار، وإلاَّ فالسنن لا تعرف المحاباة ولا المجاملة ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١٦]، ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الطلاق: ٨، ٩]، ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

فيا قومنا، احذروا طريق الدمار والهاوية، وأن توردوا أنفسكم موارد الهلكة، وتسلكوا سبيل قوم قد ضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.



إضاعة البنات وسؤال المتقدم عن راتبه والخجل من سؤاله عن صلاته

كانت أم المؤمنين عائشة ﵁ تقول: «النكاح رِقٌّ فلينظر أحدكم عند من يسترق كريمته» أي ابنته، ولما سُئل الحسن: من أُزوج ابنتي؟ قال: «زوجها التقيّ النقيّ؛ فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يهنها».

وروى الترمذي بإسناد حسن عن أبي حاتم المزني أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلاَّ تفعلوا تكنْ فتنة في الأرض وفساد كبير**» قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه! قال: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه**» - ثلاث مرات -، ومن زوَّج ابنته من فاسق فكأنما قطع رحمها.

معنى الكفاءة:

الكفاءة معتبرة بالاستقامة والخُلُق والحرص على طاعة الله، ولابد من تحرِّيها في المتقدم للزواج من ابنتنا؛ لأنها أمانة يحرم إضاعتها أو التفريط فيها، وإن كان جمهور الفقهاء لا يقْصِرُون الكفاءة على ذلك، بل يرون أن ثمَّة أمور أخرى لابدَّ من اعتبارها كالنسب والحرية والحرفة والمال والسلامة من العيوب، إلاَّ أنه ليس معنى ذلك إهدار أمر الاستقامة، بل هو أولى ما يُنظر إليه بعين الاعتبار في المتقدم للزواج.

انهيار الموازين عند الكثرة:

من الملاحظ أنَّ الكثرة من المسلمين بينما تدقق النظر في الراتب والمسكن المناسب والعمل المناسب، وهيئة وشكل المتقدم، إلاَّ أنها لا تكاد تلتفت لصلاته ولا لعقيدته.. بل بعض الأولياء إذا ما سُئل هل مَنْ قَبلْتَه زوجًا لابنتك يُصلي أم لا؟ يُجيب ويقول: خجلت من سؤاله في ذلك، بينما هو لم يخجل من سؤاله عن دخله الشهري... وغير ذلك من المعاني المادية؛ ولذلك لا نستبعد أبداً أن يأمرها الرجل بعد الزواج أن تخلع

نقابها أو حجابها، أو يأمرها بترك صلاتها أو مصاحبة أصدقائه والتزين أمامهم، وقد كان عمر ﷺ يبعث لولاته ويقول لهم: «ألا إنَّ أهم أموركم عندي الصلاة، ألا إنَّ من ضيَّع الصلاة فهو لما سواها أضيع»، وهل مثل هذا يُؤتمن على نفسه فضلاً عن أن يُؤْتمن على غيره؟! وهذا الذي يمتلك السيارات والملايين هل تأمن عليه أن يبددها في شرب الهيروين ولعب القمار..؟! وهل نأمن عليها من أن تتحول إلى عقيدة شيعية أو صوفية أو خارجية أو إلحادية بسبب تسلطه على عقلها، أو أن تخلع حجابها وتترك صلاتها بسبب قهره لها؟!.

رفع الأمانة من القلوب:

قد بيّن النبيُّ ﷺ كيف تُرفع الأمانة من القلوب وأنه لا يبقى منها في القلب إلاَّ أثرها، وروى حذيفة ﷺ قال: «حدَّثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدَّثنا أنَّ الأمانة نزلت في جذر - أي أصل - قلوب الرجال ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السُّنَّة، وحدَّثنا عن رفعها قال: «**ينامُ الرجل النومة فتُقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل** - هو ما يكون في الكف من أثر العمل بالأشياء الصلبة الخشنة - **كجمر دحرجته على رجلك فنفط** - بثرة ملأى ماء - **فتراه منتبراً** - تورَّم وامتلأ بالماء - **وليس فيه شيء، فيُصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يُؤدي الأمانة فيقال: إنَّ في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولقد أتى عليّ زمان وما أُبالي أيكم بايعت؛ لئن كان مسلمًا رده عليَّ إسلامه، وإن كان نصرانيًا ردَّه عليَّ ساعيه، فأما اليوم فما كنت أُبايع إلاَّ فلانًا وفلانًا**» (١).

وما أكثر مظاهر تضييع الأمانة، وما أكثر الموازين الفاسدة في حياة الناس، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ضُيّعت الأمانة فانتظر الساعة**» قال:

---

(١) رواه البخاري.

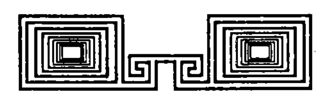
كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «**إذا أُسنِدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[١].

ماذا تصنع الفتاة إذا أراد الولي تضييعها؟!

فإذا ضيع من يتولى أمر الناس الأمانة، والناس تبع لمن يتولى أمرهم، كانوا مثله في تضييع الأمانة، فصلاح حال الولاة صلاح حال الرعية، وفساده فساد لهم، ثم إنَّ إسناد الأمر إلى غير أهله دليل واضح على عدم اكتراث الناس بدينهم حتَّى إنهم ليولون أمرهم من لا يهتم بدينه، ولكن ماذا تصنع الفتاة وهذا هو وليها شاءت أم أبت، ولا نكاح إلاَّ بوليّ؟.

نقول:

إذا أعضلها الولي الأقرب عن زواج الكفء الصالح، زوَّجها الوليُّ الأبعد، والحاكم ولي من لا وليّ له، وإن تخربت الموازين عند الولي فليس لها أن تُفرط في حق نفسها وعليها أن ترفض الزواج بتارك الصلاة ومن لا يقيم لشرع الله وزنًا حتَّى وإن كان عنده الملايين. والسلامة لا يعدلها شيء، ودين الإنسان هو أغلى ما يملك، والدُّنيا بأسرها لا تصلح عوضًا عن معنى من معاني الآخرة.



(١) رواه البخاري.

قبضت الفنانة الملايين لكي تتوب وتتحجب!! ولابد من بحث حالات المتدينين اجتماعيًا واقتصاديًا!!

لقد انحطت مفاهيم الماديين إلى دركة متدنية، عندما نسبوا كل مظاهر التدين والالتزام بطاعة الله إلى معانٍ ماديّة، فأصبح كل من أطلق لحيته أو قصّر ثوبه أو نادى بتطبيق شرع ربه بحاجة إلى بحث حالته اجتماعيًا واقتصاديًا!! وكأن الفقر هو الذي دفعه لهذه الأقوال وهذه الأفعال!! ووصفوا الصالحين المستقيمين على شرع الله بأنهم أصحاب حِرف خسيسة دنيئة!! يأتيهم تمويل أجنبي، ويسكنون المناطق العشوائية وينام معظمهم تحت السرير!! هكذا قالوا، ولا ندري كيف أصبح الفقر تهمة وسُبة عند الملاحدة الزنادقة! وكيف حجروا واسعًا وضيّقوا رحمة الله؟!.

اعرف الحق تعرف أهله:

يا قوم، إنَّ الحقَّ لا يُعرف بفقر ولا بغنى ولا بكثرة ولا بقلة، ولا بكبر ولا بصغر، ولا بذكورة ولا بأنوثة، ولا بوجاهة، ولا بوضاعة، بل كما قالوا: اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه، واسلك طريق الهدى، ولا يضرك قلّة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ** (١١٦) ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** (١٠٣) ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** (١٠٦) ﴾ [يوسف: ١٠٦].

الفقراء هم أكثر أتباع الأنبياء:

أكثر أتباع الأنبياء هم الفقراء والموالي والعبيد، يعرف ذلك من قرأ سيرتهم، وهذا هو الذي قاله هرقل لأبي سفيان، عندما سأله: أضعفاء القوم اتبعوه - يقصد بذلك

رسول الله ﷺ - أم أشرافهم؟، فقال له أبو سفيان - وكان يومئذ في تجارة بالشام وكان على الكفر - بل ضعفاؤهم، فأجابه هرقل - وكان على علم بالكتاب الأول - وكذلك أتباع الرسل. وقد حكى لنا القرآن قول قوم نوح له: ﴿ **وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ** ﴿٢٧﴾ ﴾ [هود: ٢٧] فردَّ عليهم نبي الله نوح عليه السلام قائلاً: ﴿ **وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ** ﴿٢٩﴾ ﴾ [هود: ٢٩].

وقد نهى الله جلَّ وعلا نبيّه ﷺ عن طرد الفقراء والضعفاء لما طلب صناديد قريش ذلك، فقال سبحانه: ﴿ **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾

[الأنعام: ٥٢].

واقع المتدينين:

الناظر في واقع الملتزمين بشرع الله والحريصين على ذلك سيجد فيهم الغني والفقير، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، وصاحب المركز المرموق وما هو دون ذلك، والمسلم حين يطيع ربه، يفعل ذلك نزولاً على أمره سبحانه وخوفًا من ناره وطمعًا في جنته، لا يبتغي ثناء ولا شكوراً ولا طمعًا في دنيا لا بقاء لها ولا وفاء، ويعلم أنه إنما يتعامل مع ربه الذي بيده النفع والضر والجنة والنار، ولذلك فهو يُخلص العبودية لربه، ويُطلق لحيته؛ لأنها سُنَّة واجبة وخصلة من خصال الفطرة، ولأن حلقها حرام وتغيير لخلق الله، وكانت لحية النَّبيّ ﷺ كثَّة عظيمة الطول، وكانت قراءته تعرف من اهتزاز لحيته، ولم يُؤثَر أنه أخذ من طولها ولا من عرضها إلاَّ ما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان إذا اعتمر أخذ ما زاد عن القبضة.

وقد وردت الروايات الكثيرة عن رسول الله ﷺ تأمر بإطلاقها وتنهى عن حلقها حتَّى تكثر وتغزر «**وفّروا**»، «**أوفروا**»، «**أرخوا**».. والأمر للوجوب على قول جمهور الأصوليين، والنهي للتحريم.

هل يُلام المسلم إذا أطلق لحيته أو قصَّر ثوبه ؟!!

هل يُلام المسلم إذا امتثل لأمر ربه وتابع سُنَّة نبيّه ﷺ ؟! وهل يعاب عليه إذا قصّر ثوبه لقول النبيّ ﷺ : «**ما دون الكعبين فهو في النار**» وفي الحديث : «**لا ينظر الله لمن جرَّ ثوبه خيلاء يوم القيامة**» وهل يصبح المسلم مُتهمًا إذا طالب بتطبيق شرع الله تعالى، نبحث حالته اجتماعيًا واقتصاديًا كما يُطالب الملاحدة؟! وما وجه الغرابة في ذلك والله يقول : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** (٣٦) ﴾ [الأحزاب : ٣٦] ويقول سبحانه : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٦٥) ﴾ [النساء : ٦٥]، ويقول : ﴿ **وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** (٢٦) ﴾ [الكهف : ٢٦]، ويقول عزَّ وجل : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾ [الشورى : ٢١] ، ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** (٤٩) **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** (٥٠) ﴾ [المائدة : ٤٩ ، ٥٠] .

ضابطنا ومقياسنا كمسلمين:

لابدَّ من ضابط ومقياس وميزان يتحاكم إليه عند التنازع، وأساس القبول والرد عند المسلمين هو كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ ، لا يبغون عنه بديلاً، وإذا كانت الأمم الكافرة تضع لنفسها المناهج والنظم والدساتير، فالمؤمنون الذين أسلموا وجوههم لربهم لا يسعهم مخالفة حكمه سبحانه، بل كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لمن خالفه : «أقول لكم قال رسول الله ﷺ وتقولون : قال أبو بكر وعمر، يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء» .

حقيقة الطاعنين:

فكيف يقبل مثل هذا الطعن ممن يزعم ويدَّعي الإسلام؟! بل هؤلاء

الذين يرفضون سُنن رسول الله ﷺ ويطعنون فيمن يطالبون بتطبيق شرع الله، يصدق عليهم قول ربنا: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١)** ﴾ [النساء: ٦٠، ٦١].

ومن علامات زيغهم وصدّهم عن سبيل الله ورفضهم لكل عفة وطهارة وستر وصيانة، هذه المحاولات المستميتة للتشهير بالمحجبات عامة، والفنانات التائبات المحجبات خاصة، وزعمهم أنَّ الواحدة منهن قبضت الملايين لكي تتحجب، لا شكَّ أنه تشويه وتنفير متعمد؛ حتَّى يظل الجميع سائرًا في غيّه وعربدته وفسقه وفجوره.

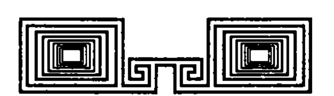
فإن كان الإنسان غنيًا والتزم طريق الإيمان فلابد أن يكون قد قبض الملايين كحالة الفنانات، وإن كان دون ذلك فيكون ثمن التزامه عبارة عن خمسين جنيهًا أو نحو ذلك، وماذا نصنع إن كان الله قد نزع الفقه من قلوبهم والبصيرة من عقولهم، وغطَّى الإلحاد والزندقة على أبصارهم وأفئدتهم ﴿ **فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)** ﴾ [الحج: ٤٦].

الأمر بالحجاب والنهي عن التبرج:

يا قوم، إنَّ الله تعالى أمر المسلمات بالحجاب، فقال سبحانه: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقال عزَّ وجل: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ [النور: ٣١]، وقال: ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ [النور: ٣١] وقال رسول الله ﷺ: «**المرأة عورة**»، يعني يجب سترها.

فهل نستبعد بعد ذلك أن تتحجب فنانة وتمتثل لأمر ربها، وترجو رحمته وتخشى عذابه، وتندم على ما مضى، وتعزم على عدم العودة مرَّة أخرى؟! ، ويكون لها نصيبها من حسن التأسي، فعن صفية بنت شيبة قالت: «بينما نحن عند عائشة رضي الله عنها فذكرنا نساء قريش وفضلهن، فقالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ لنساء قريش لفضلاً، وإني والله ما رأيتُ أفضل من نساء الأنصار أشدّ تصديقًا لكتاب الله، ولا إيمانًا بالتَّنزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ فانقلبت رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته، وابنته، وأخته، وعلى كل ذي قرابته فما منهن امرأة إلاَّ قامت إلى مرطها المُرحّل - إزارها المنقوش - فاعتجرت به - غطَّت رأسها ووجهها - تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان».

ماذا نقول لهؤلاء المعاندين؟! إلاَّ أن نُردد قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) ﴾ [سبأ: ٢٤ - ٢٦] ونستشعر برد اليقين مع قوله سبحانه: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣) ﴾ [هود: ١٢١ - ١٢٣] ونُسارع في مرضاة ربنا ولسان حالنا ومقالنا يهتف: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩) ﴾ [يونس: ١٠٩].



لا علاج للأزمة الاقتصادية إلاّ بتحديد النسل!!

لقد أصبحنا كالمستجير من الرمضاء بالنار، وكالعير يقتله الظمأ والماء فوق ظهره محمول، والداء يُعالج بداء آخر، وخرج المرضى ومن لا فقه عنده ولا بصيرة لديه من الساسة والاقتصاديين والخبراء، يُصورون لنا أنَّ المخرج من الضنك والفقر الاقتصادي يكمن في تحديد النسل؛ لأن زيادة السكان تستهلك كل زيادة في الإنتاج، ولم يعدم هؤلاء بعض قُطَّاع الطريق إلى الله من الذين باعوا دينهم بثمن بخس دراهم معدودة، وكانوا فيه من الزاهدين، فحلَّلوا الحرام، وحرَّموا الحلال، وبرَّروا ببعض نصوص الشريعة هذا التصوير المريب وهذا الطغيان المادي.

بعض استدلالاتهم لتبرير هذه الدعوى الفاجرة:

من جملة ما استدلُّوا به من حديث جابر ﷺ : «كنَّا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا» [(١)] وفي رواية : «كنَّا نعزل والقرآن ينزل» وعن أبي سعيد الخدري قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ لي وليدة – يعني جارية – وأنا أعزل عنها، وأنا أريد ما يريد الرجل، وإن اليهود زعموا: أن الموءدة الصغرى العزل. فقال رسول الله ﷺ: «**كذبت يهود، كذبت يهود، لو أراد اللهُ أن يخلقه لم تستطع أن تصرفه**» [(٢)].

وأيضًا عن جابر ﷺ: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا – أي تسقي لنا النخل – وأنا أطوف عليها – أي أُجامعها – وأنا أكره أن تحمل فقال: «**اعزل إن شئت، فإنه سيأتيها ما قُدر لها**» فلبث الرجل ثم أتاه فقال: إن الجارية قد حبلت. فقال: «**قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قُدر لها**» وقد ذهب الأئمة الأربعة وغيرهم إلى جواز العزل مع الكراهة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه النسائي وأبو داود والترمذي وأحمد بسند صحيح.

العلاج كما ورد في الكتاب والسنة:

على افتراض صحَّة الاستدلال بهذه النصوص في هذه المسألة وهو لا يصح - بإذن الله - فعلاج الحالة الاقتصادية المتردية لا يقتصر على تحديد النسل، وإلاَّ فأين نحن كمسلمين من الدعاء، وسؤال الله من فضله، والتعوذ به من الفقر. ومن المعلوم أنَّ العبد إذا أُلهم الدعاء فإنَّ الإجابة معه ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر: ٦٠].

وكان النَّبيُّ ﷺ يسأل ربه الهدى والتُّقى والعفاف والغنى، ويتعوذ من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وغلبة الدين وقهر الرجال، ومن الأدعية المأثورة: « **اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا أخرانا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر** »، وكانوا إذا أجدبوا دعوا بدعاء الاستسقاء.

ومن أعظم أسباب سعة الرزق الاستغفار؛ وذلك لقوله سبحانه: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢)** ﴾ [نوح: ١٠ - ١٢] وورد أنَّ: « **من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل همٍّ فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب** » قال العلماء: لو أنَّ الخلق جميعًا أخذوا بها لكفتهم.

أثر المعاصي في تدمير الاقتصاد:

المعصية سبب كل شر وبلاء في الدنيا والآخرة، وما نزل بلاء إلاَّ بذنب، وما رُفع إلاَّ بتوبة، كما قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد حكى لنا سبحانه ما كان من قوم سبأ ﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ (١٧)** ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧]، ويقول سبحانه: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا**

فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١٦]، ويقول تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠].

الطاعات من أعظم أسباب الرخاء:

ما أكثر المعاني الإيمانية التي يجب علينا أن نأخذ بها ونُربي عليها أنفسنا والنَّاس من حولنا؛ حتَّى نسعد في دُنيانا وأُخرانا: كبرِّ الوالدين؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سرَّه أن يُمَدَّ له في عمره، ويُزاد في رزقه فليبر والديه وليصلْ رحمه**»(١).

قال البعض: بر الوالدين شكر لله تعالى؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** ﴾ [لقمان: ١٤]، فإذا برَّهما فقد شكرهما، ومن شكرهما فقد شكر الله، وقد قال في تنزيله: ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم: ٧] فهو سبحانه يتفضل بالزيادة للشاكرين في الرزق وغيره.

والتوكل مع الأخذ بالأسباب مطلوب ومشروع؛ لقوله سبحانه: ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [الطلاق: ٣].

والاسترجاع من أعظم أسباب الأجر؛ وذلك لقول النبي ﷺ: «**ما من عبد تُصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلاَّ آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها**».

والاستعانة بالصبر والصلاة تسلية وأيّ تسلية، وفي ذلك يقول العليم الخبير: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٤٥].

تربية الناس على معاني الإيمان:

تعويد الناس الأمانة والأكل بالحلال، وإخراج الزكاة، وإتقان العمل، ومحبة الخير للآخرين، وتحذيرهم من الخيانة والربا والأكل بالحرام والغش والرشوة، وربط ذلك كله

---

(١) رواه أحمد والبيهقي.

بالإيمان الذي ندين به لله تعالى، هو من أبلغ الأسباب في تحصيل المطلوب، ولكن يبدو أنَّ الساسة والاقتصاديين والخبراء نسوا ذلك كله أو تناسوه، وتوهموا أنَّ العلاج الاقتصادي في تحديد نسل الأمة.

شروط لابدَّ منها لتجويز تحديد النسل:

هناك شروط لابدَّ منها في جواز تحديد النسل، منها: استئذان الزوج؛ لأن له حقًا في الولد، واستئذان الزوجة الحرة؛ فعن عمر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يعزل عن الحرة إلاَّ بإذنها» (١)، ومنها ألاَّ يستتبع العزل أو الوسيلة المستخدمة في تحديد النسل ضرراً بالزوجة أو بالزوج، وإلاَّ حرم العزل حتَّى وإن رضيت الزوجة؛ إذْ الشرع لم يعطِ العباد الإذن في استلحاق المضرة بأجسادهم؛ لقول النَّبيّ ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**» (٢).

ولا يجوز قطع النسل بالكلية كما في حالات تعقيم الرجال أو ربط المبيض في المرأة دون سبب موجب لذلك؛ إذْ قطع النسل حينئذ مُثْلة لا تجوز، وقد نهى النَّبيُّ ﷺ عن المُثْلَة، كما لا يجوز أن يكون التحديد خشية الفقر، إذْ هذا من سوء الظنّ بالله تعالى، والنصوص التي وردت تُبيح العزل لابدَّ من فهمها على ضوء بقيَّة نصوص الشريعة، ثم هي تتعلق بحالات فردية، لا يصح معها أن نعمم دعوة تحديد النسل ترغيبًا أو ترهيبًا، إنَّ تصرف الحاكم أو الإمام منوط بالمصلحة، ولا مصلحة للأمة في تقليل نسلها؛ لقول رسول الله ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود فإني مُكاثرٌ بكم الأمم**».

دعوات مريبة:

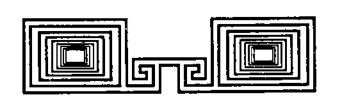
الحثُّ على الزواج والتناسل يتنافى مع هذه الدعوات المريبة التي يُراد من ورائها تقليل نسل الأمة؛ بغية إضعافها، وبالتالي فلا يصح الاستجابة لمثل هذه الدعوات العامة والتي أصبحت على سبيل الحتم والإلزام في أماكن كثيرة، وفي وقت يحرص فيه

(١) رواه أحمد وابن ماجه.
(٢) أخرجه مالك في الموطأ والحاكم والبيهقي والدارقطني وابن ماجه.

أعداء الإسلام على تكثير نسلهم واستغلال الطاقات البشرية في زيادة مظاهر الثروة، وسيبقى الجواز بهذه الضوابط للحالات الفردية التي تدعوها المصلحة المعتبرة لذلك، ومصيبة الاقتصاديين وغيرهم تكون كبيرة عندما يجهلون الدين والدنيا في آن واحد، فلا هُم عملوا بالمعاني الإيمانية ودعوا الأُمَّة لذلك، ولا هُمْ طالبوا بتكثير نسل الأمة مع حسن استخدامه كمصدر من مصادر الثروة، ولذلك فأمثال هؤلاء من نكبات الأُمَّة، بل هم من أسباب دمارها بسبب إلحادهم وطغيانهم المادي.

فهل أنتم مسلمون؟

انظر حين أعلن أهل مكة مُقاطعة بني هاشم، وكان هذا في أول الإسلام، فانحازوا في الشِّعَب، واشتدَّ عليهم الأمر حتَّى أكلوا ورق الشجر، فهل دعاهم الرسول ﷺ إلى تحديد النسل؟!، ولما نبذ المسلمون عهد المشركين ومنعوهم المجيء إلى مكَّة، وكان في ذلك تعطيل لأسواقها ومظنَّة فاقتهم وفقرهم، نزل قوله سبحانه: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ** ﴾ [التوبة: ٢٨] فهل دعاهم سبحانه إلى تحديد النسل بقدر مواردهم أم وعدهم الغنى من واسع فضله، فالأمر يحتاج إلى إيمان، فهل أنتم مسلمون؟! فإذا كانت الإجابة: نعم، فلنترك النُّظُم الوضعيَّة كنظام ماركس والدعوات المستوردة، كدعوة تحديد النسل ﴿ **وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (١٠٥) ﴾ [يونس: ١٠٥].



حتى الموت فقد موعظته!!

ما يكاد يموت الإنسان، إلاَّ ويفكر أهله في السرادق الذي سيُقام لتقبُّل العزاء، ويستأجرون أحد المقرئين لقراءة القرآن على الميت، وهذا وذاك لابدَّ وأن يتناسب مع المستوى الاجتماعي للأسرة، ويتم توزيع الشاي أو القهوة والدخان، وقد يتم الاستدانة من أجل ذلك، وسرعان ما يثور النزاع حول الميراث وقبل دفن الميت، وكثيراً ما تأتي النساء للتعزية بزينتهن وحُليّهنّ، ويدور الحديث حول الدُّنيا، ولو نطق البعض وقال: كلنا سنموت. فلا تعدو أن تكون كلمة باللسان، وينصرف بعدها الكلُّ إلى دنياه.

يا ليتنا انتبهنا:

كأن الموت فيها على غيرنا كُتب، وكأنَّ الحقَّ فيها على غيرنا وجب، وكأنَّ الذي نُشيِّع من الأموات سَفر عمَّا قريب إلينا راجعون، نبوّئهم أجداثهم ونأكل تراثهم، كأنَّا بعدهم مخلدون، وفي رواية جرير بن عبد الله البجلي قال: كنَّا نعد – وفي رواية كنَّا نرى – الاجتماع لأهل الميت وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة.

ولا يجوز أخذ الأجرة على تلاوة القرآن، كما لا يجوز تعاطي الدخان وبيعه وشرائه وصناعته وزراعته، ويا ليتهم تصدَّقوا بثمن السرادق والدخان وأُجْرة المُقرئ عن الميت، والميت أحوج ما يكون لحسنة تُثقل ميزانه، بدلاً من هذا الابتداع وهذا السفه.

ويا ليتنا اتَّعظنا واعتبرنا، وعلمنا أنَّ الموت نهاية لكل حي، وأنَّ أنفاسنا قبل ذلك تُعدُّ، ورحالنا تُشدُّ، والعارية تُردُّ، والتراب من بعد ذلك ينتظر الخد، وأنه ليس عُقبى الباقي غير اللحاق بالماضي، وعلى أثر من سلف يمشي من خلف، وما ثمَّ إلاَّ أمل مكذوب وأجل مكتوب ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فلا داعي لطول الأمل ولا داعي للاعتذار بدنيا لا بقاء لها، فما جنينا من الانهماك في زينتها

وزخرفها إلاَّ قسوة القلب، وفساد الحال ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

لا محالة على القرب سنرحل:

فإذا رأينا ميتًا أو تذكّرنا الموت، علمنا أنَّنا لا محالة على القرب سنرحل، ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ** ﴾ [الجمعة: ٨] وغداً يأتي يوم الحصاد، وتأتي نفس فتقول: ﴿ **يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر: ٥٦]، وتأتي الثانية وتقول: ﴿ **هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (٤٤)** ﴾ [الشورى: ٤٤]، وتقول الثالثة: ﴿ **يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا** ﴾ [الأنعام: ٢٧] وكان الإمام أحمد - رحمه الله - يقول: يا دار تخربين ويموت سكانك.

أصبحنا نكره الموت:

لقد أصبحنا نكره ذكر الموت لا لكوننا أسرفنا على أنفسنا في المعاصي ونُريد أن نتوب، ونستعد للقاء الله، ولكن لأن الموت سيُكدِّر علينا لهونا وعبثنا وفجورنا، ونحن نريد أن نستمتع أكثر وأكثر بدنيانا، ولذلك كرهنا الموت وكرهنا خبره، وخالفنا بذلك كتاب ربنا وسُنَّة نبيّنا، وطريقة سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد كان رسول الله ﷺ يأمر أمته ويقول: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات**» يعني الموت، وروى أنس رضي الله عنه فقال: خطَّ النَّبيُّ ﷺ خطوطًا وقال: «**هذا الأمل، وهذا أجله، وبينما هو كذلك إذْ جاءه الخط الأقرب**»[1]، وفي رواية: «**مثل ابن آدم وجنبه تسع وتسعون منيَّة إن أخطأته وقع في الهرَم**».

الصحابة يقومون بواجبهم في التذكير:

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: «يا أهل دمشق، ألا تستمعون من أخ لكم ناصح، إنَّ من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويبنون شديداً، ويأملون بعيداً، فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً، وأملهم غروراً».

---

(١) رواه البخاري.

وقال: «ثلاث أضحكتني حتَّى أبكتني، طالب دنيا والموت يطلبه، وضاحك بملء فيه ولا يدري أرضى ربه أم أسخطه، وغافل ليس بمغفول عنه».

وكان الرجل يأتي أم الدرداء يستنصحها، فيقول: إني لأجد في قلبي داء لا أجد له دواءً، أجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً، فتقول: «اطلع في القبور، واشهد الموتى».

وكان عليٌّ ﷺ يقول: «إنَّما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل واتباع الهوى؛ فإنَّ طول الأمل يُنسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق».

وإذا مات ابن آدم تبعه ثلاثة: ماله، وأهله، وعمله. فيرجع ماله وأهله ويبقى عمله، وهو إذا وُجِّه للحساب يكون غنيًا عمَّا ترك فقيراً إلى ما قدم، وقالوا: مصيبتان لم يسمع بهما الأولون والآخرون في مال العبد، يُؤخذ منه كله، ويُسأل عنه كله. فلماذا نجعلها تتلاعب بنا على هذا النحو؟!.

جلس عمر بن عبد العزيز يومًا مُتفكرًا متأملاً، ثم نطق فقال: «قبور خرَّقت الأكفان ومزَّقت الأبدان، ومصّت الدم، وأكلت اللحم، تُرى ما صنعت بهم الديدان؟ محت الألوان، وعفَّرت الوجوه، وكسَّرت الفقار، وأبانت الأعضاء، ومزَّقت الأشلاء، تُرى أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء؟ كم من ناعم وناعمة أصبحوا وجوههم بالية وأجسادهم عن أعناقهم نائية، قد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دمًا وصديداً، ثم لم يلبثوا والله إلاَّ يسيراً حتَّى عادت العظام رميمًا، قد فارقوا الحدائق، فصاروا بعد السعة إلى المضايق، ثم راح يُنادي: يا ساكن القبر غداً ما الذي غرَّك من الدنيا؟ أين دارك الفيحاء؟ وأين رقاق ثيابك؟ ليت شعري كيف ستصبر على خشونة الثرى؟ وبأي خديك يبدأ البلى؟.

المبادرة ... المبادرة..

فالمبادرة كما قال الحسن؛ فإنما هي الأنفاس لو حُبست انقطعت عنكم أعمالكم، إنكم أصبحتم في أجل منقوص والعمل محفوظ، والموت والله في رقابكم، والنار بين

أيديكم، فتوقعوا قضاء الله عزَّ وجل في كل يوم وليلة، لقد فضح الموتُ الدُّنيا فلم يترك لذي لب فرحًا، وإنَّ أمرًا هذا الموت آخره لحقيق أن يُزهد في أوله، وإنَّ أمرًا هذا الموت أوله لحقيق أن يُخاف آخره، وإنَّك والله لأن تصحب أقوامًا يُخوفونك، حتَّى تُدرك أمنًا خيرٌ لك من أن تصحب أقوامًا يُؤمنونك حتَّى تلحقك المخاوف.

وكان عمر بن عبد العزيز يقول لسعيد بن عنبسة: «يا عنبسة، أكثرْ من ذكر الموت؛ فإنك لا تكون في ضيق من أمرك ومعيشتك فتذكر الموت إلاّ اتَّسع ذلك عليك، ولا تكون في سرور من أمرك فتذكر الموت إلاّ ضيق ذلك عليك».

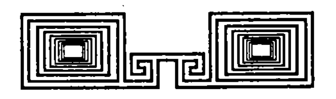
العلم رحمة بين أهله:

كان سعيد بن جبير - رحمه الله - يقول: «لو فارق ذكر الموت قلبي خشيتُ أن يفسد عليَّ قلبي».

ويقول عون بن عبد الله: «كم من مستقبل يومًا لا يستكمله، ومنتظر غداً لا يبلغه، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمر وغروره».

ووصل الأمر بالربيع بن خثيم أنه حفر لنفسه قبراً، وكان ينزل فيه كل يوم ويتمدد، ثم يقوم يذكر لأصحابه مشاعره لما يكون بقبره، وكان رحمه الله يقول: أكثروا من ذكر هذا الموت الذي لم تذوقوا قبله مثله.

فاتقوا الله عباد الله ﴿**فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** (٣٣)﴾ [لقمان: ٣٣]، فكل ما هو آتٍ فهو قريب، والبعيد ما ليس بآتٍ، والسعيدُ من وُعظ بغيره، وما بعد الدنيا من دار إلاّ الجنة أو النار، فاعملوا عمل رجل لا ينجيه إلاّ عمله، وتوكلوا توكل رجل لا يصيبه إلاّ ما كتب له



عجبًا لمن يبكي على من مات جسده ولا يبكي على من مات قلبه وهو أشد!!

المصائب تتفاوت فأعظمها المصيبة في الدين – نعوذ بالله من ذلك – فإنها أعظم من كل مصيبة يُصاب بها الإنسان، يُؤيد ذلك قوله ﷺ: «**المسلوب من سلب دينه**» وكان النَّبيّ ﷺ يقول في دعائه: «**ولا تجعل مُصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا**» ، فإذا رأيت إنسانًا لا يُبالي بما أصابه في دينه من ارتكاب الذنوب والخطايا، وفوات الجمعة والجماعة، وأوقات الطاعات، فاعلم أنه ميت لا يحس بألم المصيبة، فإنك لا تُسمع الموتى، ثم بعد المصيبة في الدين المصيبة في النفس، ثم في الأهل، وهي مقاربة للمصيبة في النفس، ثم المصيبة في المال وهذه كالتي قبلها تتفاوت بحسب فخامة المصاب فيه وحقارته، فأعظمها أنفسها إلى أن تصل إلى شسع[1] النعل، والشوكة فإنها في غاية الحقارة، فإنَّ حرّ المصيبة ينال من القلب بقدر ما فقد وتألم، وشسع النعل في غاية الخسة.

موت النبيّ ﷺ من أعظم المصائب في الدين:

نبه المصطفى ﷺ على أعلى المصائب بقوله: «**المسلوب من سلب دينه**» ويقرب من هذا قوله ﷺ: «**أيها الناس، أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أُصيب بمصيبة، فليتعزّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي**» .

ولا شكَّ أنَّ موت النبي ﷺ، من أعظم المصائب في الدين؛ لأن بموته انقطع الوحي من السماء إلى يوم القيامة، وانقطعت النبوات، وكان موته أول ظهور الشرّ والفساد بارتداد الذين ارتدوا عن الدين من الأعراب، فهو أول انقطاع عرى الدين ونقصانه، وغير ذلك من الأمور التي لا تُحصى، قال أنس رضي الله عنه: «ما نفضنا أيدينا من التراب من قبر رسول الله ﷺ حتّى أنكرنا قلوبنا» [2] .

---

(١) رباط النعل.

(٢) رواه ابن ماجه.

وقد روى ابن ماجه عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: «كان الناس على عهد رسول الله ﷺ إذا قام المصلي لم يعد بصر أحدهم موضع قدميه، فتوفي رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر رضي الله عنه، فكان الناس إذا قام يُصلي لم يعد بصر أحدهم موضع القبلة، فتوفي أبو بكر رضي الله عنه وكان عمر رضي الله عنه فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يعد بصر أحدهم موضع القبلة، فكان عثمان رضي الله عنه فكانت الفتنة، فتفلتت الناس في الصلاة يميناً وشمالاً».

يقول السفاريني في «غذاء الألباب»: «قلت: والآن تفاقم الأمر وتلاشى الحال، فكم من قائم في الصلاة وهو غير مكترث بها حتى لا يفرق بعين قلبه بين وقوفه فيها وبين وقوفه في الأسواق، فيا مقلب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك، يا الله إنَّك لا تُخيّب من دعاك» اهـ.

ولا ندري ماذا سيقول لو رأى ما نحن عليه الآن من ردة وجحود لدين الله، وتبديل لشرع الله، وترك للصلاة بالكلية دون رادع، ومن انقسامات مريبة بين الدين والدولة، والدنيا والآخرة، والأرض والسماء، وبعض الساعات والبعض الآخر، وبعض الرجال والبعض الآخر، وبعض العبادات والبعض الآخر، ومن انفصال بين العلم والعمل في حسِّ الكثيرين من المسلمين، حتَّى عاد الأمر غريبًا كما بدأ غريبًا، هذا فضلاً عن فشو الزنا والخمر والربا والجهل بدين الله، وكلها مصائب في الدين تفوق بكثير مصيبة العباد في دنياهم، ومن المعلوم أنَّ الدين إذا ضاع ضاعت الدنيا، ولا خير في حياة بلا دين ولا دنيا لمن لم يحيي دينه، وكما قال البعض:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه ... جاد بدنياه لما يتوقع

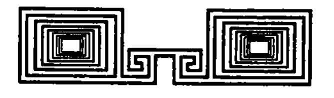
والسؤال الآن: متى بكينا على من مات قلبه بالكفر والإلحاد والزندقة؟ ومتى كان منَّا الحزن على من تلوث باشتراكية أو ديمقراطية أو فرعونية..؟ مرَّ أبو الدرداء رضي الله عنه على الخوارج وهم قتلى، فبكى، فقال له أبو غالب: لماذا تبكي؟ فقال أبو الدرداء: إنما

أبكي رحمة، قد كانوا مسلمين. ثم قال: كلاب أهل النار، شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوهم.

البكاء على مذابح المسلمين في البوسنة:

ونحن هل بكينا على أهل البوسنة والهرسك عندما كانوا يعيشون تحت وطأة الشيوعية، بل كان الشيوعي الخبيث «تيتو» يعاملهم معاملةً أسوأ من معاملة الدرجة العاشرة، وقِسْ على ذلك بقية الأفراد والشعوب التي انحرفت عن منهج ربها، وانظر لحالك تجاههم، ولا مانع أبداً من البكاء على المذابح التي تحدث هنا وهناك، أو الموت أو القتل الذي يُصيب الأفراد والجماعات، ولكن بكاءنا ينبغي أن يكون أشد إذا ماتت القلوب، وتخرَّبت الأرواح وبعدت النفوس عن كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ؛ ولأن الجسد قد يموت ولكن الروح تُحلِّق في حواصل طير خضر تسرح من الجنة حيث شاءت، وينتقل الإنسان بذلك شهيداً إلى ربه، بعكس إذا ما مات القلب، وبقي الجسد، فإنَّ صاحبه يكون كالأنعام بل أضل، ولا ينجو من عذاب الله يوم القيامة إلاَّ من أتى ربه بقلب سليم ﴿**يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)**﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

ومن هنا قال من قال - وصدق فيما قال - : «عجبًا لمن يبكي على من مات جسده، ولا يبكي على من مات قلبه وهو أشد». فاللهم يا مُقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.



هل تكفي البروتينات والفيتامينات كغذاء للقلب والروح؟!

اعتناء الناس كبير بأبدانهم، وحرصهم على سلامتها وصحتها أمرٌ يفوق الوصف، فتجد هذا يتحدَّث في التكامل الغذائي، وأنَّ الغذاء المناسب يشتمل على الأملاح والڤيتامينات والبروتينات والنشويات والسكريات... ويُؤلف الثاني في كيفية الوقاية من الأمراض العضوية، وخصوصًا أمراض القلب، وتكثر التحذيرات هنا وهناك، وتُعْقَد المؤتمرات، وتُلقى البرامج والندوات في التوعية الصحية للكبار والصغار والرجال والنساء، فالعقل السليم في الجسد السليم كما يقولون.

ولا يخفى على أحد قيمة الصحة البدنية؛ فالصحَّة تاج على رؤوس الأصحاء لا يشعر بها إلاَّ المرضى، وقد يكون المرض الجسماني عائقًا عن الكثير من الطاعات، ولكن الملاحظ في هذا الجانب هو الطغيان المادي في وصف الداء والدواء، والغفلة عن الكثير من الأغذية النافعة التي وردت في الطب النبوي، كما يتهاون الأطباء في الكثير من العلل الفتّاكة، ولا ينتبهون لمقدماتها وأسبابها ويهدرون العلاقة الوثيقة بين القلب والجسد بلا مبرر، وفي الحديث: «**ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»(١).

أحوال القلوب:

القلب بالنسبة للأعضاء كالملك بالنسبة للجنود، وقد تكلَّم العلماء في أحوال القلوب، فذكروا منها القلب السليم، وهو الذي سلم من كل شهوة تُخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تُعارض خبره، ولا ينجو يوم القيامة إلاَّ من أتى الله به كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)**﴾

[الشعراء: ٨٨، ٨٩].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

والقلب الميت هو الذي لا يعرف ربه ولا يعبده، فهو متعبد لغير الله حبًا وخوفًا ورجاءً، وإن أحبَّ أحبَّ لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن منع منع لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وصاحب هذا القلب لا يُرجى له خير ولا صلاح في الدنيا ولا في الآخرة إن لم يحيا الإيمان ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والقلب المريض فيه من محبة الله تعالى والإيمان به، والإخلاص له، والتوكل عليه ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص عليها والحسد والعجب والكبر، وحب الرياسة والعلو والفساد في الأرض ما هو مادة هلاكه وعطبه، وهذا القلب يحتاج إلى تعاهد ودواء؛ لكي يسلم من عطبه ويصح من مرضه وإلاَّ فيخشى عليه الموت.

وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس، فذلك قلب المنافق، عرف ثم أنكر وأبصر ثم عمي، وقلب تمده مادتان مادة إيمان ومادة نفاق وهو للغالب عليه منهما».

أهمية الطاعات لحياة القلوب وسلامتها:

الطاعة نور في الوجه وقوة في القلب والبدن، والمعصية بضد ذلك، فعن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطاعة نور في الوجه وقوّة في البدن والمعصية بضد ذلك**»، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه - أيضًا - قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشْرِبَها نُكتت فيه نُكتة** (١) **سوداء، وأي قلب أنكرها نُكتت فيه نُكتة بيضاء، حتَّى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود مربادًا** (٢) **كالكوز مجخيًا** (٣) **لا يعرف معروفًا**

---

(١) **نُكتة**: الأثر اليسير.

(٢) **أسود مربادًا**: شديد السواد متجعد.

(٣) **مجخيًا**: مقلوبًا، المراد كالكأس المقلوب لا يدخله ماء - أي لا يدخل الخير قلبه.

ولا يُنكر منكرًا إلاَّ ما أُشرب من هواه، وقلب أبيض لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض» (١) .

خطورة المعاصي وضررها:

وللمعاصي من الآثار المُضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلاَّ الله عزَّ وجل، وليس في الدنيا والآخرة شرٌّ وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي، ولذلك كان ابن المبارك يقول:

رأيت الذنوب تُميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانُها
وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

أسباب مرض القلوب:

آفات اللسان :

ومن أعظم أسباب مرض القلب آفات اللسان، كالكذب والغيبة والنميمة والفحش والبذاء والكلام فيما لا يعني، والمدح، ففي حديث معاذ ﷺ قوله ﷺ : **«وهل يكب الناس في النار على وجوههم** - أو قال: **مناخرهم - إلاَّ حصائد ألسنتهم»** (٢) وقال ﷺ : **«من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»** (٣) .

فضول النظر :

ومن ذلك إطلاقه النظر إلى ما حرَّم الله تعالى، وهذا من شأنه أن يُفرق القلب ويشتته ويبعده عن الله، كما أنه يضعف القلب ويحزنه ويكسبه ظلمة، وإذا أظلم القلب أقبلت عليه سحائب البلاء والشر من كل مكان، كما أنَّ فضول النظر يُقسي القلب ويسمح بدخول الشيطان إليه مما يوقع العبد في ذلِّ اتِّباع الهوى، كما أنَّ النظرة

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.
(٣) رواه البخاري ومسلم.

تجرح القلب وتفعل فيه ما يفعل السهم في الرمية، وفي ذلك إذهاب نور البصيرة وإيقاع القلب في ذُلِّ اتِّباع الهوى وأسر الشهوة، ولذلك أمر سبحانه عباده المؤمنين بغضٍّ البصر، فقال سبحانه: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور: ٣٠]، وقال: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾ [النور: ٣١].

فغض البصر يورث القلب أُنسًا بالله عزَّ وجل ويُقوي القلب ويفرحه، ويفتح للعبد باب العلم ويسهل عليه أسبابه، فهناك صلة وعلاقة وثيقة بين العين والقلب.

أضرار قرناء السوء:

من هذه السموم الضارة مخالطة قرناء السوء، قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً** ﴿٢٧﴾ **يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً** ﴿٢٨﴾ **لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً** ﴿٢٩﴾ ﴾

[الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

والمرءُ على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يُخالل، ومَثَلُ الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، وشأن الكفرة والمجاهرين بالبدع والمعاصي كشأن نافخ الكير، بل أضر؛ فهو إما أن يحرق ثيابك وإما أن تشم منه ريحًا خبيثة، وهؤلاء لا ينبغي للعاقل أن يُجالسهم إلاَّ على سبيل نصحهم وبيان الحق لهم، مع أمن الفتنة على نفسه، وإلاَّ فالسلامة لا يعدلها شيء.

فضول الطعام:

من أسباب مرض القلب، فضول الطعام، ففي الحديث: «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه، وبحسب ابن آدم لُقيمات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»(١)، وصحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

«**الصيام جنَّة**» أي وقاية، وهذه الأحاديث جامعة لأصول الطب، ولو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام، ولأن أصل كل داء التَّخَم؛ فالصيام من أسباب صلاح البدن وصحته، وقلّة الغذاء توجب رقَّة القلب، وقوَّة الفهم وانكسار النَّفس وضعف الهوى والغضب، وكثرة الغذاء توجب ضد ذلك.

يقول ابن القيم – رحمه الله – : «ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني ولا سيما المسرور الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قد قرَّت عينه بمحبوبه، وتنعَّم بقربه والرضا عنه».

مضرة كثرة النوم:

ومن هذه الآفات : كثرة النوم؛ فهي تُميت القلب، وتثقل البدن، وتضيع الوقت، وتورث كثرة الغفلة والكسل، وعمومًا فخير الأمور أوسطها، وعلى العبد أن يتجنب الإفراط والتفريط وأن يتباعد بنفسه عن أمراض الشهوات والشبهات فهي أخطر بكثير من الأمراض العضوية، قال تعالى: ﴿**فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا**﴾ [البقرة: ١٠] ولا ينبئك مثل خبير ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** (١٤)﴾ [الملك: ١٤].

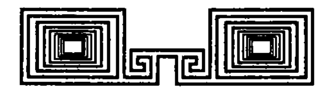
ولنعلم أنَّ القرآن شفاء للنوعين قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء: ٨٢] وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ [يونس: ٥٧]، ومن أصابه مرض من شهوة أو شبهة فليس له أن ييأس، بل عليه أن يتداوى وأن يثق في سعة رحمة الله تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** (١٧)﴾ [الحديد: ١٧].

أغذية نافعة للقلب:

ومن أعظم أسباب حياة القلب وأغذيته النافعة: ذكر الله عزَّ وجل وتلاوة القرآن والاستغفار والدعاء والصلاة على النَّبيّ ﷺ وقيام الليل، ولا يليق بنا كمسلمين أن

نسى المعاني الإيمانية في التداوي والعلاج والأخذ بأسباب الصحّة، حتَّى وإن كان المرض عضويًا، كالتحلي بالصبر والاسترجاع والدعاء، والرُّقى الصالحة؛ ففي الحديث: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**» .

ولنحذر التداوي بالمحرمات كشرب الخمر وتعاطي المخدرات ومصاحبة النساء ومشاهدة الأفلام الخليعة الرقيعة ، بزعم علاج حالات الاكتئاب كما يفعل بعض الأطباء النفسانيين، فقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**تداووا عباد الله، ولا تداووا بحرام**» ، وقال: «**ما جعل اللهُ شفاء أمتي فيما حرم عليها**» فهيا بنا نعود لحظيرة الإيمان ففيه صلاح القلوب والأبدان والأرواح.



عقوق الوالدين بسبب الفقر وضاعة الحال ورثاثة الثياب

هذه المادية التي نعيشها قطعت ما أمر الله به أن يوصل، وجعلت الابن يخجل من والديه ويتبرم بهما ويجترئ عليهما، بل وقد يتبرأ منهما؛ بسبب قلّة ذات اليد أو ضعف المكانة الاجتماعية، أو عمل الوالد الوضيع!! ، وقد قرأنا وسمعنا وشاهدنا من ذلك الكثير، ومن جملة ذلك ما حكاه لي أحد إخواننا، فبينما هو يسير قرب منتصف الليل إذْ وجد امرأة تبكي وقبل أن يسألها، بادرته بالكلام وحكت له قصتها، فقد توسّمت فيه الصلاح، وقالت له: عندي ثلاثة من الأولاد، الكبير في كلية الهندسة، والثاني في كلية الصيدلة، والثالث في الثانوية العامة، وقد قام الكبير بضربها وشتمها، والسبب أنهم لم يضعوا لأولادهم رصيداً في البنك، ولم يأته أبوه بالسيارة التي وعده بها، وقد عيَّر أمه لزواجها من والده الكبير في السن!! وقال لها: إذا رجع أبوه من السعوديّة التي يعمل بها فسيفعل به كذا وكذا من الضرب ونحوه، فانصرفتْ الأم - ولم يكن بها حاجة للمال كما ذكر لي الأخ - وقالت له: إنها لن ترجع لأولادها حتَّى يرجع زوجها من السعودية.

وهذا نموذج من عشرات النماذج التي نحتكُّ بها ليل نهار وتُطالعنا أخبارها هنا وهناك بما يزكم الأنوف من هذا العفن المادي.

أدلة وجوب بر الوالدين:

أين هؤلاء من قوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾

[لقمان: ١٤، ١٥].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يُبايعه على الهجرة،

وتَرَكَ أبويه يبكيان فقال رسول الله ﷺ: «**ارجع إليهما وأضحكهما كما أبكيتهما**»(١).

وقال النووي في «شرح مسلم»: «أجمع العلماء على الأمر ببر الوالدين وأن عقوقهما حرام من الكبائر». اهـ.

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: «قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: إنَّ أمي قدمت وهي راغبة، أَفَأَصِلُ أمي؟ قال: «**نعم صِلِي أمك**»(٢).

قال ابن عيينة: فأنزل الله فيها: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨**﴾

[الممتحنة: ٨].

قال الخطابي: «فيه أنَّ الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة، وإن كان الولد مسلمًا» اهـ.

وعن جابر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إنَّ لي مالاً وولداً وإنَّ أبي يُريد أن يجتاح(٣) مالي. فقال رسول الله ﷺ: «**أنت ومالك لأبيك**»(٤).

عدم إمكان مجازاة الوالدين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يجزي ولد والده إلاَّ أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه**»(٥)، وعن بريدة رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله، إني حملت أمي في رمضاء شديدة لو ألقيت فيها بضعة – قطعة – من لحم لنضجت، فهل أدَّيتُ شكرها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لعلَّه أن يكون بطلقة واحدة**»(٦).

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، وعبد الرزاق في المصنف والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) يأخذ مالي غصبًا.
(٤) أخرجه ابن ماجه، وقال ابن القطان: إسناده صحيح، وقال الحافظ المنذري: رجاله ثقات.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه الطبراني.

وعن معاذ بن جبل ﷺ أنه قيل له: ما حق الوالدين على الولد؟ قال: لو خرجت من أهلك ومالك ما أدّيت حقهما. وأخرج البخاري في كتاب «الأدب المفرد» : أنَّ ابن عمر ﷺ رأى رجلاً يمانيًا يطوف بالبيت وقد حمل أمه وراء ظهره وهو يقول:

إِني لهــا بعيــرها المذلل إِن أذعرت ركابُها لم أذعر

ثم قال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟ قال: لا ، ولا بزفرة واحدة.

والفارق كبير؛ فالأم كانت تسهر على راحتك، وتميط عنك الأذى وهي ترجو حياتك، وأنت قد تصنع بها ذلك وأنت تتمنى موتها، فهل يستوي فعلها مع فعلك؟.

صور برّ الوالدين وثواب من بَرهما :

وقد وردت نصوص الشريعة وتكلَّم العلماء في وجوب برهما، وإن كانا مُشركين، ووجوب الحنث في اليمين عند أمرهما، وتحريم جهاد التطوع وسفر التطوع بغير إذنهما، وتقديم برهما على التطوع بالصلاة، وأنَّ برهما يعدل الجهاد، وهو سبب مغفرة الذنوب كما أنه كفَّارة للكبائر، وأنَّ من برَّ والديه دخل الجنة، وأنَّ رضى الله في رضاهما، وكيف يتحول الشقاء سعادة ببرهما، وأنَّ بر الوالدين يزيد في العمر والرزق، كما وردت النصوص تُفيد مشروعية الدعاء للوالدين، ووجوب النفقة عليهما، وأنَّ من البر لين الجانب لهما، والخشوع لهما عند الغضب، وألاَّ يرفع يديه عليهما إذا كلَّمهما، وألاَّ يسميهما باسمهما عند ندائهما، وألاَّ يمشي أمامهما، وأن يستأذن عليهما، وكذلك القيام لهما، وإمضاء وصيتهما ما لم تشتمل على معصية، والحج عنهما والدعاء لهما، والاستغفار لهما بعد موتهما وزيارة قبرهما، بل وصلة أصدقاء الوالدين، وأن الأم لها ثلاثة أرباع ما للأب من البر، وأن من برَّ والديه برَّهُ أولاده.

النصوص الدالة على تحريم العقوق:

كما وردت النصوص أيضًا تحرم عقوق الوالدين وتُوضح أنَّ ذلك من الكبائر؛ فعن المغيرة بن شعبة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات**،

ووأد البنات ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»(١).

قال الحافظ: إنما خصَّ الأمهات بالذكر؛ لأن العقوق إليهن أسرع من الآباء؛ لضعف النساء، ولينبه على أنَّ بر الأم مقدم على بر الأب في التلطف والحنو، ونحو ذلك، وهو من اختصاص الشيء بالذكر؛ لعظم موقعه. اهـ.

وقال البدر العيني: ذكر الأمهات في الحديث ليس للتخصيص بالحكم، بل لأن الغالب ذلك لعجزهن، وقيل: لأن لعقوقهن مزيد من القبح. واكتفى بذكر أحد الوالدين عن الآخر. اهـ.

وقال تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ [الإسراء: ٢٣]، قال الألوسي: معناه لا تتضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنهما، والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر أنواع الإيذاء قياسًا جليًا، قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ **فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ** ﴾ أي فما تميط عنهما من الأذى – الخلاء والبول –، كما كانا لا يقولانه فيما يميطان عنك من الخلاء والبول.

وقد عدَّ النَّبيُّ ﷺ عقوق الوالدين من الكبائر، وفي الحديث: «**لعن الله من ذبح لغير الله، ثم تولّى غير مولاه، ولعن اللهُ العاق لوالديه، ولعن اللهُ من نقص منار الأرض**»(٢)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة حرَّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنَّة: مدمن خمر، والعاق، والديوث الذي يقر الخبث في أهله**»(٣).

حياة الوالدين فرصة عظيمة:

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح مُطيعًا لله في والديه**

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه الحاكم.
(٣) رواه أحمد والنسائي والبزار والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

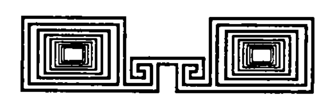
أصبح له بابان مفتوحان من الجنَّة، وإن كان واحدًا فواحد، ومن أمسى عاصيًا لله تعالى في والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار، وإن كان واحدًا فواحد» قال رجل: وإن ظلماه؟ قال: «**وإن ظلماه، وإن ظلماه، وإن ظلماه**» (١).

ومن العقوق: أن يُحزن الإنسان والديه وأن يتسبب في بكائهما بغير وجه حق، وفي الحديث: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟! قال: «**نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**» (٢).

صور شائعة من العقوق ودوافعها :

ومن العقوق كذلك أن يحد الرجل النظر إلى والديه بالغضب والمخالفة، وأن يتبرأ من والديه ويرغب عنهما وأن يتكبر عليهما، هذا فضلاً عن ضربهما أو قتلهما فهذه من الذنوب الكبار العظيمة، وللأسف فقد امتلأت الدنيا بصور العقوق كلها، فهذا يقتل أمه وهي تُصلي بسبب النساء والهيروين، والثاني يقول لأصحابه عن والده إنه خادمه أو ساعيه، والثالث يأمر زوجته بطرد والده ويقول عنه متسول..

وتكدر الحياة في تزايد مستمر بسبب خراب الذمم والقلوب وخلوها من معاني الإيمان، وتسلط الدنيا على العقول والنفوس، حتَّى أصبح الطغيان المادي تيارًا جارفًا في كل ناحية من نواحي الحياة وفي كل زاوية من زواياها، ولله المشتكى وإليه المرجع والمآب، وهو المسئول سبحانه بمنِّه وكرمه أن ينتشلنا من هذا الوحل إلى بر الأمان.



(١) رواه ابن أبي شيبة والحاكم في التاريخ، والبيهقي، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد موقوفًا على ابن عباس.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

يستخفون من الناس
ولا يستخفون من الله وهو معهم

قال الضحاك: لما سرق ابن أبيرق الدرع اتَّخذ حفرة في بيته وجعل الدرع تحت التراب، وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات أن نفرًا من الأنصار - قتادة ابن النعمان وعمه رفاعة - غزوا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، فَسُرِقَتْ درعٌ لأحدهم - رفاعة- فحامت الشبهة حول رجل من الأنصار من أهل بيت يقال لهم بنو أبيرق، فأتى صاحب الدرع رسول الله ﷺ فقال: إن طَعمة بن أبيرق سرق درعي (وفي رواية: إنه بشير بين أبيرق، وفي هذه الرواية، أنَّ بشيرًا هذا كان منافقًا يقول الشعر في ذم الصحابة وينسبه لبعض العرب).

فلما رأى السارق ذلك عمد إلى الدرع فألقاها في بيت رجل يهودي اسمه زيد بن السمين، وقال لنفر من عشيرته: إني غيَّبت الدرع وألقيتها في بيت فلان، وستوجد عنده، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا نبي الله، إن صاحبنا بريء، وإن الذي سرق الدرع فلان، وقد أحطنا بذلك علمًا، فأعذر صاحبنا على رؤوس الناس، وجادل عنه، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك، ولما عرف رسول الله ﷺ أنَّ الدرع وُجدت في بيت اليهودي قام فبرّأ ابن أبيرق، وعذره على رؤوس الناس، وكان أهله قد قالوا للنبي ﷺ قبل ظهور الدرع في بيت اليهودي، أنَّ قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منّا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بيّنة ولا ثبت!!.

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلّمته فقال: «**عمدت إلى أهل بيت يذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بيّنة؟**» قال: فرجعت ولوددت أن خرجت من بعض مالي، ولم أُكلّم رسول الله ﷺ في ذلك، فأتاني عمّي رفاعة فقال: الله المستعان، فلم نلبث أن نزلت: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥)**﴾ [النساء: ١٠٥] - أي بني

أبيرق - وخصيمًا: أي محاميًا ومدافعًا ومجادلاً عنهم، ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٦] أي مما قلت لقتادة. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (١٠٩) وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١١٠)﴾ [النساء: ١٠٦- ١١٠]، أي لو استغفروا الله لغفر لهم، ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (١١٢) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)﴾ [النساء: ١١١، ١١٤]، فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فردَّه إلى رفاعة.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾، أي يستترون كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ [الرعد: ١٠] أي مستتر، وقيل يستحون من الناس، وهذا لأن الاستحياء سبب الاستتار ﴿وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي لا يخفى مكان على الله ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ أي رقيب حفيظ عليهم.

قال القرطبي ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾: أي بالعلم والرؤية والسمع، وهذا قول أهل السنة.

وقال سيد قطب في تفسيرها: «وهي صورة زرية داعية إلى الاحتقار والسخرية، زرية بما فيها من ضعف والتواء، وهم يبيتون ما يبيتون من الكيد والمؤامرة والخيانة، ويستخفون بها عن الناس، والناس لا يملكون لهم نفعًا ولا ضرًا بينما الذي يملك النفع والضر معهم، وهم يبيتون ما لا يرضاه فأي موقف يدعو إلى الزراية والاستهزاء أكثر من هذا الموقف؟.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ إجمالاً وإطلاقًا . . . فأين يذهبون بما يبيتون، والله معهم إذ يبيتون، والله بكل شيء محيط، وهم تحت عينه وفي قبضته »[١] اهـ.

قصة لا تعرف لها الأرض نظيراً:

هذه الآيات تحكي قصة لا تعرف لها الأرض نظيراً ولا تعرف لها البشرية شبيهًا، وتشهد - وحدها - بأنَّ هذا القرآن وهذا الدين لابد أنِ يكون من عند الله؛ لأن البشر - مهما ارتفع تصورهم، ومهما صفت أرواحهم، ومهما استقامت طبائعهم - لا يمكن أن يرتفعوا بأنفسهم إلى هذا المستوى الذي تُشير إليه هذه الآيات إلاَّ بوحي من الله، هذا المستوى الذي يرسم خطًا على الأفق لم تصعد إليه البشرية إلاَّ في ظل هذا المنهج، ولا تملك الصعود إليه أبدًا إلاَّ في ظل هذا المنهج كذلك، إنَّ هذه الآيات نزلت تبرئة ليهودي من يهود التي لا تدع سهمًا مسمومًا تملكه إلاَّ أطلقته في حرب الإسلام وأهله، يهود التي يذوق منها المسلمون الأمرّين في هذه الحقبة - ويشاء الله أن يكون ذلك في كل حقبة! - يهود التي لا تعرف حقًا ولا عدلاً ولا نصفة، ولا تُقيم اعتباراً لقيمة واحدة من قيم الأخلاق في التعامل مع المسلمين على الإطلاق.

دروس مستفادة من القصة:

هل أخذنا درسًا من هذه الآيات البيّنات؟ هل نحن على استعداد أن نُبرئ ساحة المسلمين بعد اتهامهم بالتطرف والإرهاب، ونسبتهم لارتكاب حوادث القتل والتخريب ظلمًا وزوراً بعد أن اتضح أنَّ اليهود على الأقل قد ارتكبوا بعضها لتعكير الأمن وتخريب الاقتصاد، ولتعجيل الإجهاز على الصحوة الإسلامية؟ وهل انتهينا عن الزنا والسرقة وسائر المعاصي والذنوب التي نتكتمها عن الناس ونبديها لرب الناس؟ .

كان الإمام محمد يقول:

إذا خلوتَ الدهر يومًا فلا تقل	خلوتُ، ولكن قلْ عليَّ رقيبُ
لا تحسبن الله يغفل ساعة	ولا أنَّ ما يخفى عليه يغيبُ

---

(١) راجع «في ظلال القرآن» (جـ٢) (ص٧٥٢).

دناءة ونذالة:

إنها لدناءة ونذالة أن نعصي الله ونحن في قبضته، ونجترئ على انتهاك حدوده وهو يرانا ويسبغ علينا نعمه، أين الحياء والخجل من الله، وقد بارزنا الله بالحرب ليس فقط في السر، بل وفي العلن كذلك؟ بل أصبح البعض يتباهى بالزنا وشرب الخمر ومصاحبة النساء . . . وفي الحديث: «**ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلاَّ ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا**» .

إنَّ هذا الحال الذي نعيشه - والذي لا يخفى عليكم - إنما يدل على عدم الخوف من الله كما يدل على عدم الحياء منه سبحانه، والحياء والإيمان قرنا جميعًا فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر. إنَّ الناس لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشوراً، إنما الذي يملك ذلك هو ربنا جل وعلا وبيده الجنة والنار، له الحكم كله وإليه يُرجع الأمر كله ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)﴾ [هود: ١٢٣].

خوف الصحابة حتَّى من الخواطر:

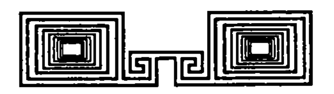
لما علم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك تخوفوا على أنفسهم حتَّى من خواطرهم ومشاعرهم، فإنَّ البعض يقول لرسول الله ﷺ: «**إنَّا لنجد في أنفسنا ما لو خررنا من السماء إلى الأرض لكان أهون علينا من أن نتحدَّث به**» فيقول النَّبي ﷺ: «**ذلك صريح الإيمان**» وقال: «**الحمد لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة**» (أي الشيطان) ، وقال: «**أَوَقَدْ وجدتموه**» وقال أيضًا لمن سأله: «**قلْ: آمنت بالله**» .

ونحن وصفنا هذه الوساوس الشيطانية بوصف المشاعر الصادقة، والوجدانات والأحاسيس الفياضة، والعواطف الدافقة!!!.

حالنا اليوم:

تكلمنا وعملنا بهذه الوساوس دون خوف من الله أو حياء من الناس؛ لأنهم على شاكلتنا في الكثير من الأحيان، بل حالة بعض من ينتسب للعلم والصلاح الآن لا

تبعد عن هذه الآية الكريمة ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ ، فهذا الذي يبتسم ابتسامة عريضة مع إخوانه وأصدقائه وهو دائم الشتم والضرب لزوجته، وهذا الذي يلين جانبه للناس، ثم هو هو الفظ الغليظ مع والديه، وهذا الذي يعيش بوجهين وبمفهومين وبولاءين، وجه له في المسجد فيه أمارات التقى وعلامات الصلاح، والثاني مع الراقصة والمغنية أو فيه أمارات الربا والغش والرشوة... كلها صور لا تتباعد عن هذه الآية، وزيادتها واستشراؤها يدل على صورة من صور الطغيان المادي المعاصر، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.



إضاعة الأولاد والاكتفاء بالقول «بأن كل إنسان مُعلق من عرقوبه»

لا يدَّخر الآباء وسعًا في القيام على مصالح أبنائهم المادية، من طعام وشراب وملبس ومسكن، وتعليمهم أيضًا الطب والزراعة والهندسة.. بل ومساعدة الأبناء أحيانًا في الزواج، ويرون بعد ذلك أنهم قد أدّوا كل ما عليهم وما عسى الواحد منهم إلاَّ أن يموت قرير العين، ومن عجيب الأمر أنَّ الوالد لا يمل أبدًا من نُصح ابنه بالمذاكرة وإتقانها؛ حتَّى يتفوق في دراسته، بينما هو لا يكلف نفسه أن ينصحه مرة بالمحافظة على الصلاة أو تلاوة القرآن، أو غض بصره عن الحرام، وإذا قيل له في ذلك، قال: «كل إنسان معلق من عرقوبه» !! وهذا الذي نحكيه ليس خيالاً ولا هو حالة فردية، بل هذه حالة الأعم الأغلب من الآباء، كلهم يفرح لنجاح ولده في الامتحان وحصوله على الشهادة الجامعية، ويحزن بشدة لرسوبه في دراسته، بينما هو لا يحزن إذا فرَّط ابنه في صلاته، بل قد يصده ويصرفه عنها بزعم أنها ستضيع وقته!!!.

عققناهم صغارًا فعقونا كبارًا:

إنها إضاعة للأمانة، وصورة فجَّة من صور المادية المعاصرة، وإهدار لمعاني التربية الإيمانية الصحيحة، وعقوق للأبناء، ولذلك لا نستغرب إذا عقونا كبارًا، لقد انفصلت الدنيا عن الآخرة، وأصبحت الدنيا هي كل همّنا ومبلغ علمنا، وتوهمنا مع ذلك كله أننا نحسن الصنع ونُؤدي واجبنا بأمانة وإتقان!!، أين نحن من قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم: ٦] ، وفي الحديث: « **كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته** » ؟ .

ولن تزول قدما ابن آدم من عند الله حتى يسأل كل راعٍ عمَّا استرعاه، وحفظ أم ضيّع، وقد أمر الله سبحانه بأداء الأمانة، فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ**

أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢) ﴾

[الأحزاب: ٧٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» (١) وفي رواية: «**وإن صام وصلَّى وزعم أنه مسلم**».

لا بورك في دنيا تأتي على حساب الدين:

لا مانع أبداً من إتقان الدراسة، والأخذ بأسباب النجاح، والفرحة بالحصول على الشهادة الجامعية، ولكن أين الحرص على الصلاة، والتقى، والتزام طاعة الوقت من صلاة وتلاوة للقرآن... وهل هناك تعارض في ذلك؟! كلاَّ؛ فلكل مقام مقال، ولا بورك في دنيا تأتي على حساب الدين، والوالد جزاه الله خيراً على إحسانه لأولاده بالطعام والشراب والمسكن، ولكن أين حرصه على إقامتهم على دين الله، وقيادة المنزل قيادة إسلامية، وتربيتهم على كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، وزجرهم عن مخالفة الشرع الحنيف؟!.

الولد من سعي والديه وكسبهما:

فالولد الصالح هو خير ثروة للإنسان في حياته وبعد مماته؛ ولذلك يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» (٢) والذرية الصالحة يُجمع شملها مع آبائها الصالحين في الجنة ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور: ٢١].

وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ [يس: ١٢]، وقوله عز

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

وجل: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) ﴾ [النجم: ٣٩] قال العلماء: إنَّ ابن الإنسان من سعيه وكسبه، وهو من جملة آثاره، ولذلك فعمله الصالح يُنتفع به الوالدان، دون أن ينقص من أجره شيء، ولو أساء الابن فعليه إساءته طالما قاما بحقّه في التربية الصالحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

بعض أسباب صلاح الأبناء:

ومن دعاء المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) ﴾ [الفرقان: ٧٤]، وقد استحب العلماء الفتح على الصبي بكلمة الحمد والشهادة، وتعليمه معاني السيرة، وتحفيظه القرآن والحديث، وتعويده الأخلاق والآداب الإسلامية.

وفي وصيَّة لقمان لابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) ﴾ [لقمان: ١٧].

حسن اختيار الزوجة:

حرص المسلم على الولد الصالح يجعله يُحسن اختيار الزوجة، وأن تكون ذات دين، ولأن المرأة راعية في بيت زوجها مسئولة عن رعيّتها، وكما قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها　　　أعددت شعبًا طيب الأعراق

هذه الأم ستُربي ابنها على البر والخير، وعلو الهمّة، كحالة هند بنت عتبة عندما دخل عليها أحد أقاربها، وكانت تحمل صغيرها معاوية بن أبي سفيان، فقال لها: «إن عاش معاوية ساد قومه» فقالت: «ثكلته إن لم يَسُدْ قومه»، وكحالة أم سفيان الثوري التي قالت لابنها: «يا بني، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي» وكانت تتخوله [1]

---

(١) **تتخوله**: تتابعه من حين لآخر.

بالموعظة والنصيحة وتقول له: « يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة عن خشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم ترَ ذلك، فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك » .

أهمية الدعاء والذكر في ذلك:

ثم هو يستن بسنن الأنبياء والمرسلين في دعائهم وسؤالهم ربهم الولد الصالح كما في دعاء زكريا عليه السلام: ﴿ **فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝** ﴾ [مريم: ٥، ٦].

والعبد إذا أُلهم الدعاء فإن الإجابة معه ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر: ٦٠] ولا ينسى ما أمره رسول الله ﷺ به «**إذا تزوَّج أحدكم امرأة أو اشترى خادمًا فليقلْ: اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بعيرًا فليأخذ بذروة سنامه، وليقل مثل ذلك**» [١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال: «**لو أنَّ أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا، فقضى بينهما ولد، لم يضره الشيطان أبدًا**» [٢] .

الأذان والتحنيك:

ويُؤذَّن في أذن المولود عند ولادته لما رواه أبو رافع رضي الله عنه قال: « رأيت النَّبيَّ ﷺ أذَّن في أُذُن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة رضي الله عنها بالصلاة » [٣] .

ويحرص على تحنيك [٤] المولود؛ فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: « ولد لي غلام فأتيتُ به النَّبيَّ ﷺ فسمّاه إبراهيم، وحنَّكه بتمرة، ودعا له بالبركة ودفعه إليَّ »[٥] ، وقالت

---

(١) رواه أبو داود وحسّنه الألباني .

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذي .

(٤) أن يقوم من يظن فيه الصلاح بمضغ تمر وأخذ بعضه المختلط بريقه ليوضع في فم الصبي.

(٥) متفق عليه.

عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يُؤتى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويُحنكهم»(١).

العقيقة وحُسن اختيار الاسم:

ثم هو يختار لابنه اسماً حسناً، لما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّكم تُدعونَ يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم؛ فأحسنوا أسماءكم**» (٢)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أحبَّ أسمائكم إلى الله عزَّ وجل: عبد الله، وعبد الرحمن**» (٣).

والعقيقة عن المولود مسنونة عند الاستطاعة عن الغلام شاتان، وأدناها واحدة، وعن الجارية شاة واحدة، وعن سلمان بن عامر الضبي قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دماً، وأميطوا الأذى**»(٤).

تعاهد الأبناء بمعاني التربية:

وكانوا يحرصون على تربية أولادهم تربية إسلامية متكاملة، خُلُقيًا وفكريًا وجسمانيًا، ويغرسون فيهم معاني الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ويُعوّدونهم حب الله ورسوله ﷺ، ومراقبة الله تعالى في السر والعلن، ويُعلمونهم أحكام الحلال والحرام، ويُجنبونهم الكذب والسرقة والسباب والشتائم والخلطة الفاسدة، والميوعة والانحلال، والقدوة السيّئة، ويستحثونهم على الرياضات البدنية النافعة.

ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «علّموا أولادكم السباحة والرماية، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبًا».

دور المربي الصالح:

وكان الآباء يدفعون بأبنائهم إلى المربّين ويُزوّدونهم بالنَّصائح، فقد روى الجاحظ أنَّ

---

(١) رواه أبو داود، وصحح الألباني إسناده.

(٢) رواه أبو داود بإسناد حسن.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

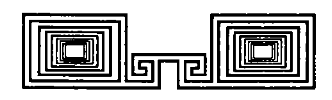
عقبة بن أبي سفيان، لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنيَّ إصلاح نفسك؛ فإنَّ أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنتَ، والقبيح عندهم ما استقبحتَ، وعلّمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وتهددهم بي، وأدّبهم دوني، وكنْ لهم كالطبيب الذي لا يعجل الدواء حتَّى يعرف الداء، ولا تتكلنَّ على عذر مني؛ فإني قد اتّكلت على كفاية منك».

ولما دفع هارون الرشيد ولده الأمين إلى المؤدب قال له: «أقرئه القرآن، وعرّفه الأخبار، وروِّه الأشعار، وعلمه السُّنَنَ، وبصّره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلاَّ في أوقاته، ولا تمرَّنَّ بك ساعة إلاَّ وأنت مُغتنم فائدة تُفيده إياها من غير أن تُحزنه فتميت ذهنه، ولا تُمعن في مسامحته، فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدّة والغلظة».

مخاطر عظيمة تُهدد صغارنا:

ومن الخطر العظيم أن نترك أولادنا لوسائل الإعلام الخربة كالتلفزيون ونحوه، ومناهج التعليم العلمانية اللادينية، وأبناء الأقارب والجيران الفاسدين، والمجلات والبرامج التي تُعوّد الأطفال الخياليات والخرافات والخُزعبلات، وحياة الأساطير، فلابدَّ من تعاهدهم بكل صور الحفظ والصيانة؛ لأنهم أمانة بين أيدينا، ولتعلم أنَّ قلبك وقلوبهم بيد الله سبحانه وتعالى، وما علينا إلاَّ أن نأخذ بالأسباب الشرعية، ونتوكل على خالق الأرض والسماوات في جلب النفع ودفع الضر. وكان سعيد بن المسيب يُطيل في صلاته، ويقول لابنه: والله، إني لأُطيل في صلاتي رجاء أن أُحْفظ فيك. ويتلو قوله سبحانه: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢].

فحفظ الأبناء بصلاح الآباء؛ فاحفظ الله يحفظك، واسأل الله من فضله؛ فالخير كله بيديه والشر ليس إليه.



الزلازل ومقياس

«ريختر»

لقد أصبحنا نفسر الماء بعد العسر بالماء، ففي الآونة الأخيرة كثُرتْ الزلازل عندنا، وخرج الفلكيون وأصحاب المراصد يقولون: إنَّ الهزات التي وقعت وتراوحت قوّتها بين (٤,٣ - ٢,٥) ريختر، جاءت نتيجة تحركات أرضية بخليج العقبة، بدأت يوم كذا ولا تزال مستمرة وأنَّ الهزات بلغت (١٣) هزّة، وقالوا: إنَّ سبب الزلزال تحركات في القشرة الأرضية بالعقبة على الفالق التحويلي الذي يمتد من شدوان والعقبة فجبال طوروس، وأكّدوا أنَّ المنطقة المعروفة بحزام الزلازل بالبحر الأحمر لها نشاط زلزالي ترصده أجهزة الزلازل بالمرصد، لكنها تكون خفية وبعيدة لدرجة أنَّ الأفراد العاديين لا يشعرون بها، وقالوا عن صخور أسوان إنها موصل جيد للزلازل.

تزييف وتدليس لا مثيل له:

وقد أراد بعض هؤلاء أن يستدخل الطمأنينة على نفوس الناس، فقال لهم: إنَّ الزلزال لن يحدث بالليل!! وإنَّ الزلازل قد انتهت ولن تتكرر!! وخرج بعض الملاحدة يصف الزلزال بأنه غضب أعمى!! - كما وصفوا القدر يومًا فقالوا: قدر أحمق الخطى!! - وعلى العكس والنقيض، قال بعض من ينتسب للعلم الشرعي: هذا الزلزال عنوان محبة الله لنا!!. وأنَّ قتلى الزلزال شهداء. وكعادة إبليس وجنوده في تسمية الأشياء بغير اسمها أطلقوا على الزلزال اسم ظواهر، أو كوارث طبيعية!!.

حقيقة الزلازل:

وبعيداً عن هذه المادية الطاغية، واستصحابًا لما جاء في كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، وإبراءً للذمة في نصح الأمة نقول: هذا نذير، ولا عاصم اليوم من أمر الله إلاَّ من

رحم، ولا ملجأ ولا منجا من الله إلاَّ إليه، وكما قال سبحانه: ﴿ **وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا** ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٩].

كثرة الزلازل علامة من علامات الساعة:

ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتَّى تكثُر الزلازل**» (١)، وعن سلمة بن نفيل السكوني قال: كنَّا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه: «**وبين يدي الساعة موتان شديد، وبعده سنوات الزلازل**» (٢).

قال ابن حجر: وقد وقع في كثير من البلاد الشمالية والشرقية والغربية كثير من الزلازل، ولكن الذي يظهر أنَّ المراد بكثرتها شمولها ودوامها، ويُؤيد ذلك ما روي عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي أو على هامتي فقال: «**يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدَّسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك**» (٣).

كثُر الخبث فلا تستغرب توالي المصائب:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر الأمة خسف ومسخ وقذف**» قالت: قلتُ: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا ظهر الخبث**» (٤).

وقد جاء الخبر أنَّ الزنادقة والقدرية يقع عليهم المسخ والقذف؛ روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه سيكون من أمتي مسخ، وقذف، وهو في الزنادقة والقدرية**» (٥).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وصححه الألباني.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر.

والخسف قد وجد في مواضع الشرق والغرب قبل عصرنا هذا، ووقع في هذا الزمن كثير من الخسوفات في أماكن متفرقة، وهي نذير بين يدي عذاب شديد، وتخويف من الله لعباده، وعقوبة لأهل البدع والمعاصي؛ كي يعتبر الناس، ويرجعوا إلى ربهم، ويعلموا أنَّ الساعة قد أَزِفَت، وقد جاء الوعيد للعصاة من أهل المعازف وشاربي الخمور بالخسف والمسخ والقذف، روى الترمذي عن عمران بن حصين ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف**» فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله، ومتى ذلك؟ قال: «**إذا ظهرت القينات** (المغنيات) **والمعازف وشُربت الخمور**» .

وروى ابن ماجه عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، يُعزف على رؤوسهم بالمعازف، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير**» ، والخسف المذكور فيه يكون حقيقًا ويكون معنويًا (١) .

معرفة الداء والدواء:

وهذه الروايات تدُلُّكَ على الداء والدواء، وإلاَّ فطمأنة الناس بالباطل وتسمية الأشياء بغير اسمها، قلبٌ للحقائق وتعمية للخلق، وإهدار لحقوقهم وإبعادهم عن مرضاة ربهم، وإذا كان الملاحدة والزنادقة يعتبرون الطبيعة إلهًا لهم، ويستخدمون كلمة الطبيعة مكان كلمة الله، فكل الأشياء عندهم ظواهر طبيعية وكوارث وخصائص طبيعية... فإن المسلمين يُدققون في الألفاظ والتعبيرات، وصياغة المسلمين تفترق عن صياغة غيرهم؛ لأنّ لهم ربًا يعبدونه، هو خالق الخلق ومالك الملك، ولا يكون في ملكه إلاّ ما يريد ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** (٨٢) ﴾ [يس: ٨٢] .

---

(١) رواه ابن ماجه.

لكل عقيدة تأثير:

وإذا كان لكل مقدّمة نتيجة، ولكل عقيدة تأثير، فما الذي ننتظره، عندما ينتشر الربا، ونسمح بالهيمنة اليهودية الصليبية، ونُطارد الحجاب في وسائل الإعلام، ويفشو الغش والكذب والرشوة، وتُصبح حياتنا عبارة عن موسيقى وأغاني وسهر ولهو ومجون، وتمتلئ الشوارع بأفيشات السينما العارية، ولا نقوم لله بحقه تجاه إخواننا في البوسنة والصومال وروسيا والهند وبورما وكشمير... ونُهاجم الدين بزعم مواجهة التطرف والإرهاب، ونُصبح حربًا على الإسلام والمسلمين، هل ننتظر خيراً من وراء ذلك؟! .

كان بعض العلماء يقول: أنتم تنتظرون المطر، وأنا أنتظر حلول العذاب. وأقول كيف به لو رأى حالنا؟! وإلاَّ فقد كان في وقت صلاح وتقى، ولكن لظهور بعض المعاصي، كان منه هذا التخويف، ولم يكن متشائماً.

ما نزل بساحة غيرنا يحل بنا إذا عملنا بعملهم:

فالمعصية عاقبتها وخيمة، قال سبحانه: ﴿ **فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)** ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وقال: ﴿ **فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣)** ﴾ [الأنعام: ٤٣].

وبأسه سبحانه لا يُردُّ عن القوم المجرمين، يأتيهم ليلاً أو نهاراً فلا يستطيعون له دفعًا، حتَّى وإن رصدته الأجهزة الحسَّاسة المستوردة، وأقمنا البيوت المتينة وفق عامل الأمان الزلزالي!!، وما إعصار «أندرو» وفيضان «المسيسبي» بأمريكا منكم ببعيد، فلا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّب لحكمه سبحانه ﴿ **قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ** ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** ﴾ [النساء: ٧٨] ﴿ **أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ**

نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) ﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

حال أسوأ من حال المشركين:

لا ينبغي أن يكون حالنا أسوأ من حال المشركين، فقد كانوا إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مُخلصين له الدين، كانوا يُلقون أصنامهم، ويقولون: يا رب، ويوحدونه سبحانه حال الشدّة، والبعض منّا يقول: آثارنا بخير لم تُصب بسوء، وهو يرى الناس يفترشون الأرصفة بعد أن تهدَّمت بيوتهم!!، نحتاج لطاعة ربنا والاستقامة على شرعه في عسرنا ويسرنا ورخائنا وشدَّتنا ومنشطنا ومكرهنا فقد ﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١)** ﴾ [الأنبياء: ١].

كان مطرف بن عبد الله يقول: يا إخوتاه، اجتهدوا في العمل؛ فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه، كانت لنا درجات في الجنَّة، وإن يكن الأمر شديداً كما نخاف ونُحاذر لم نقل ربّنا أخّرنا نعمل صالحًا غير الذي كنَّا نعمل، نقول قد عملنا فلم ينفعنا ذلك.

العلاقة وثيقة بيننا وبين حالة الكون من حولنا:

الواجب علينا أن نأخذ درسًا وعظة وعبرة ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧)** ﴾ [آل عمران: ١٣٧] فالعلاقة وثيقة بين هذا المخلوق وبين حالة الكون من حوله، يقول سبحانه: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)** ﴾ [الإسراء: ١٦]، ويقول سبحانه: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩)** ﴾ [الطلاق: ٨، ٩].

وقد كان رسول الله ﷺ إذا تغير الهواء، أو هبَّت ريح عاصف، كان يتغير ويدخل الحجرة ويخرج؛ كل ذلك مخافة عذاب الله، كما تذكر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. ولما خسفت الشمس في حياة النبي ﷺ قال: «**إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله عزَّ**

وجل لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة»، وفي رواية: «فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبّروا وتصدقوا وصلّوا» (١)، وفي رواية: «إذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره».

سبيل النجاة:

فهذا هو سبيل النجاة والمخرج من الكرب والفتنة لا مجرد الخروج إلى الحدائق والأماكن الفسيحة حال وقوع الزلزال، وقد علم الثلاثة الذين دخلوا الغار وأطبقت عليهم الصخرة أنه لا نجاة إلاَّ بالضراعة إلى الله والالتجاء إليه؛ فهو سبحانه فارج الهمّ، وكاشف الغم، ومُجيب دعوة المضطرين، ورحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، ولنعلم أنَّ البلاء بالنسبة للمؤمن رحمة، وبالنسبة للكافر نقمة، وشأن المنافق كشأن البعير عَقَله (٢) أهله، ثم حلّوه، فلم يدرِ لم عقلوه، ولم يدرِ لمَ حلوه. والمؤمن بضد ذلك؛ فهو يعيش حياة البصير ويعلم أنه ما نزل بلاء إلاَّ بذنب وما رُفع إلاَّ بتوبة.

اللهم لا تجعل مُصيبتنا في ديننا:

إنَّ الاحتفال بالإله حورس، ووفاء النيل، والإسكندريات، والسينمائيات، والبغي والظلم، وسائر صور الصد عن سبيل الله هو من أعظم المصائب التي ابتلينا بها، وقد كان رسول الله ﷺ يتعوذ ويقول: «ولا تجعل مصيبتنا في ديننا»؛ فمصيبة الدين أعظم من مصيبة البدن ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠]، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]. ولما تساءل الصحابة يوم أُحد عن سبب الفشل والقتل الذي استحرَّ بهم وقالوا: ﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ كانت الإجابة: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ثم شرعت الآيات توضح الأسباب: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي

---

(١) رواه البخاري.

(٢) **عقله**: ربطه.

الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

مواجهة المحن:

نحتاج لصبر وثبات في مواجهة المحن: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)** ﴾ [البقرة: ٤٥]، وأن نسترجع ونقول: «**إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها**»، وأن نحذر جحود النعم؛ ففي تفسير قوله سبحانه: ﴿ **سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ(١٨٣)** ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣] قال العلماء: يسبغ عليهم نعمه ويمنعهم شكره. وقالوا: كلَّما أحدثوا ذنبًا أحدث لهم نعمة ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)** ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥] وعلينا أن نُقلع عن الظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات.

هل دعا المظلومون فتزلزلت الأرض؟!

الظلم والبغي بمثابة سهم يُطلقه صاحبه، ثم يعود أول ما يعود إلى نحره هو، وما الذي يتصور إذا ارتفعت أكفّ الضراعة من المظلومين إلى خالق الأرض والسماوات، سيستمطرون البلاء على البلاد والعباد، وسترتفع الرحمة، وتنزل اللعنة والنقمة على الظلمة الفجرة والساكتين عليهم ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)** ﴾ [إبراهيم: ١٣ – ١٧] ودعا نوح عَلَيْهِ السَّلام: ﴿ **فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ**

عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [القمر: ١٠ - ١٥].

وقال النَّبيُّ ﷺ لمعاذ رضي الله عنه عندما وجَّهه لأهل اليمن: «**واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» وأعظم الظلم أن تجعل نداً لله وهو خلقك، ولا طاقة لأحد بحرب الله، ومن بارز ربه بالحرب واجترأ على انتهاك حدوده، أوشك ربنا أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

حكم بليغة في الزلزال:

إنَّ الزلزال ابتلاء لا يخلو من حكم بليغة، فلعلَّنا نعود بسببه إلى ربنا تائبين إليه سبحانه، وإلاَّ فإنَّ نفوسنا كانت بحاجة إلى زلزلة شديدة بعد عربدتها حتَّى تعلم أنها في قبضة الله، وأنَّ السلاح والعتاد وسائر الحسابات المادية لا تُغني من الحق شيئًا.

كان لابد من تصحيح المفاهيم، وكانت الزلازل فرصة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورد الحق إلى نصابه، وكانت تذكرة ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾** ﴾ [ق: ٣٧]، فقد قرّبت لعقولنا مفاهيم عظيمة تتعلق بالنصر على الأعداء، وأنَّ النصر من عند الله، وقد يتم بالرّيح، وجنود لم تروها كالملائكة، وبزلزلة الأرض من تحت أقدام هؤلاء الأعداء، ويأتيهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، وتُبين لنا قصور المراصد وكذب الفلكيين، وكل من يرجم بالغيب، ويقول: الزلزال لن يتكرر أو لو حدث فسيكون أضعف من سابقه، أو لن تحدث الزلازل بالليل، فازداد المؤمنون إيمانًا مع إيمانهم، بعظيم قدرة الله في خلقه، وبديع صنعه، وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد .

هي السنن:

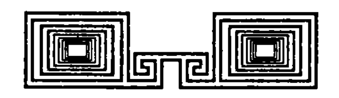
علم المسلم أنَّ أمريكا وروسيا وأوربا والنظام العالمي الواحد.. ليس ببعيد عن قدرة الله، وأنَّ هؤلاء لا يقولون للشيء كنْ فيكون، وكما انتهت فارس والروم من قبل،

فكذلك هؤلاء يرحلون بظلمهم وبغيهم إذا استمروا عليه ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً (٤٣) ﴾ [فاطر: ٤٣] .

عودة الحياة بدائية :

وقد دلَّت نصوص الشريعة على أنَّ الحياة ستعود بدائية قرب قيام الساعة، وتكون الحرب على الخيول وبالسيوف، والزلازل تقرب هذه الصورة إلى الأذهان، ونحن نترك الواقع يُفسر لنا هذه الأمارات، و لابد وأن تحدث وتقع وفق خبر الصادق المصدوق ﷺ .

لقد اتَّضح لكل ذي عينين أنَّ أولى الناس بالمحبة هم الذين يأمروننا بالمعروف، حتَّى وإن كان مرًا فهو سبيل النجاة، وسفينة نوح التي من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها هلك، حتَّى وإن كان المتخلف هو كنعان بن نوح، وظنَّ أنّه سيأوي إلى جبل يعصمه من الماء؛ لأنه لا عاصم يومئذ من أمر الله إلاَّ من رحم، فأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له، واخرجوا من البلاء والكرب ما وسعكم الجهد، واعلموا أنه لا سبيل لذلك إلاَّ بطاعة الله.



الأوكازيون والفرص

الفرص، كلمة أصبحت لا تُطلق في حياتنا إلاَّ على ما له علاقة بالدرهم والدينار، وعلى كل ما هو مادي؛ فأصبحت الهجرة إلى أمريكا أو كندا، والتأشيرة من أجل فرصة، والدخول في مشروعات اقتصادية واستثمارية حتَّى وإن كانت محرمة... فرصة، طالما سنُحقق من ورائها ربحًا ماديًا حتى لو خسر الإنسان دينه بسببها؛ ولذلك هذه الأوكازيونات التي تُباع فيها السلع رخيصة وزهيدة فرصة، وما أكثر الأمثلة الدالة على سوء أو قصور استخدام كلمة فرصة، وكذلك فالأمر يستدعي وقفة واستدراكًا.

لحظاتك وأنفاسك فرصة:

وإلاَّ فمتى اعتبرت عمرك وحياتك ولحظاتك وأنفاسك فرصة، واشتريت بها نعيمًا لا ينقص لأبد الآباد؟! لا شكَّ أنَّ النعيم المقيم والخلود في الجنات، ومرضاة الرب سبحانه هو ما تتطلع إليه النفوس المؤمنة التي ترجو رحمة ربها، وتخشى عذابه، وتضنّ بالخطرات واللحظات عن التبديد فيما لا طائل تحته، ولا فائدة وراءه، وتُبادر وتُسارع امتثالاً لقول النَّبي ﷺ: «**بادروا بالأعمال سبعًا، هل تنتظرون إلاَّ فقرًا مُنسيًا أو غنى مُطغيًا، أو مرضًا مُفسدًا، أو هَرَمًا مُفندًا، أو موتًا مُجهزًا، أو الدجال، فشر غائب يُنتظر أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال، فستكون فتنٌ كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويُصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»(٢).

وعن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: صليتُ وراء النَّبيّ ﷺ بالمدينة العصر فسلم، ثم قام مُسرعًا فتخطَّى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم.

عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته فقال: «**ذكرت شيئًا من تبر عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته**» (١) والتبر قطع ذهب أو فضّة.

المبادرة باغتنامها:

عن جابر رضي الله عنه قال: «قال رجل للنبي ﷺ يوم أُحد: أرأيت إن قُتلتُ، فأين أنا؟! قال: «**في الجنة**» فألقى تمرات كنّ في يده، ثم قاتل حتّى قُتل» (٢) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النَّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: «**أن تصدقَ وأنت صحيح شحيحٌ تخشى الفقر وتأملُ الغنى، ولا تُمهل حتّى إذا بلغت الحلقوم، قلتَ: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان كذا**» (٣) .

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨] ، ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، واعلم أنَّ عمرك هو رأس مالك، وكل نَفَسٍ أعظم من ملء الأرض ذهبًا «**فمن قال سبحان الله وبحمده غُرست له نخلة في الجنة**» ، وفي الحديث: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظم**»، «**ومن قال: سبحان الله وبحمده، غُفرت ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر**» أفليست هذه فرصة؟

التوبة قبل حلول الأجل فرصة:

أوَليست المبادرة بالتوبة النصوح قبل حلول الأجل فرصة؟! فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: «**إنَّ الله عزّ وجل يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر**» (٤) والغرغرة هي: بلوغ الروح الحلقوم، وهذا بالنسبة لعمر الإنسان، أمَّا بالنسبة لعمر الزمن فقد ورد عن

---

(١) رواه البخاري.

(٢، ٣) متفق عليه.

(٤) رواه الترمذي وأحمد وحسّنه الألباني.

أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**»[١] .

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وقد قال تعالى: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١] وهل هناك فرصة أعظم من الفلاح والنجاح الحقيقي؟!.

بابان مفتوحان إلى الجنة:

وحَيَاة الوالدين فرصة عظيمة، فما بعد البر إلاَّ العقوق، والبر واجب والعقوق كبيرة من الكبائر، ومن أصبح وله والدان أصبح وله بابان مفتوحان إلى الجنة، وإن كان واحداً فواحد، وفي الحديث: «**رَغِمَ**[٢] **أنف امرئ أدرك أبويه أو أحدهما فلم يُدخلاه الجنةَ**» أي إن فاتته هذه الفرصة فمتى يُدرك مثلها.

رفع العلم وبسط الجهل:

ووجود العلماء وكتب أهل العلم فرصة عظيمة يجب أن تُغتنم قبل فواتها؛ ففي الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويُثبت الجهل**» ، وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتقارب الزمان ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج** (أي القتل) » .

ومن المعلوم أنَّ الجهل مُصيبة، وما عُصيَ الله بمعصية أعظم من الجهل بالدين، والإنسان عدو ما يجهل، وأسير ما يعلم، وقبض العلم يكون بقبض العلماء، ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء،**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) التصق بالتراب وأصابه الذل.

حتَّى إذا لم يبقَ عالمًا اتَّخذ النَّاس رؤوسًا جهّالاً، فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا» [١] .

ومن أشراط الساعة أن يُلتمس العلم عند الأصاغر، وهم أهل البدع، كما قال ابن المبارك - رحمه الله - .

منه بدأ وإليه يعود:

ووجود المصاحف وحفظة القرآن فرصة عظيمة لحفظ القرآن الكريم وتجويده، وتعاهده، ومعرفة أحكامه وتفسيره، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «**لينزعن القرآن من بين أظهركم يسرى عليه ليل، فيذهب من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء**» [٢] وهذا لا يُقال بالرأي، فحكمه حكم المرفوع.

قال ابن تيمية - رحمه الله - : «يُسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف» .

وأعظم من هذا أن لا يذكر اسم الله تعالى في الأرض، كما في الحديث ، عن أنس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتَّى لا يقال في الأرض: الله، الله**» [٣] وما من بيت أو مسجد إلاَّ وفيه الكثير من المصاحف فأقبلوا على كتاب ربكم، تحيا قلوبكم وأرواحكم، واستزيدوا من الأجر والثواب ؛ فمن قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وفي الحديث: «**لا أقول لكم «الم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**» .

الأخ الصالح فرصة:

والأخ الصالح فرصة عظيمة، يُذكرك إذا نسيت، ويُعينك إذا ذكرت، وأهلك قد

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني، وقال ابن حجر: سنده صحيح ولكنه موقوف. والموقوف: قول الصحابي، والمرفوع ما نُسب للنبي ﷺ.

(٣) رواه مسلم.

يشغلهم ميراثك بعد وفاتك، أما هو فيبكيك، ويدعو لك، وأنت تحت الثرى وفي أجواف القبور، فكيف تبكي مثل هذا بعد موته، وفي الحياة تركت وصله؟ بل وقد يشفعه ربنا فيك يوم القيامة، وهو في الدنيا بمثابة قلعة لك، فاستكثروا من القلاع ولا تفوتوا هذه الفرصة، رحمكم الله .

المسجد الحرام مهوى الأفئدة فسارع بزيارته :

وإذا كانت نفوس المؤمنين تهفوا لبيت الله الحرام، ولزيارة المدينة فبادروا باغتنام هذه الفرصة قبل فوات الأوان، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن سعيد ابن سمعان قال: سمعت أبا هريرة ﵁ يُخبر أبا قتادة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يُبايع لرجل ما بين الركن والمقام ، ولن يستحل البيت إلاَّ أهله ، فإذا استحلّوه فلا يسأل عن هلكة العرب ، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خرابًا لا يعمر بعده أبدًا ، وهم الذين يستخرجون كنزه**» (١) .

فالكعبة لم تُهدم بعد، ولله الحمد، والحنين موجود ﴿ **رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** (٣٧) ﴾ [إبراهيم : ٣٧] والصلاة في الحرم المكي بمئة ألف صلاة فيما سواه؛ فبادروا بالحج والعمرة، فقد تعرض الحاجة وتضل الراحلة، وتفوت الفرصة.

سيحدث للحرم المدني ما حدث للحرم المكي :

عن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلاَّ العوافي** (يريد عوافي السباع والطير) **وآخر من يحشر راعيان من مزينة يُريدان المدينة ، ينعقان فيجدانها وحشا ، حتَّى إذا بلغا ثنية الوداع خرًّا على وجوههما**» (٢) .

قال ابن كثير: «والمقصود أنَّ المدينة تكون باقية عامرة أيام الدجال، ثم تكون

---

(١) قال ابن كثير: هذا إسناد جيد قويّ. وقال الألباني: هذا إسناد صحيح.

(٢) رواه البخاري.

كذلك في زمان عيسى بن مريم الرسول عليه الصلاة والسلام، حتَّى تكون وفاته بها، ودفنه بها، ثم تخرب بعد ذلك. ثم ذكر حديث جابر ﷺ قال: أخبرني عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليسيرن الراكب بجنبات المدينة ثم ليقولن: لقد كان في هذا حاضر من المسلمين كثير**» (١).

وهذا المذكور في الحديث لم يقع حتَّى الآن قطعًا، ومازالت المدينة بخير والحمد لله؛ فاحرصوا على زيارتها، فالصلاة في مسجد رسول الله ﷺ بألف صلاة فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام، وزوروا البقيع وشهداء أُحُد، وصلُّوا في مسجد قباء فهي فرصة، وأي فرصة، فما بعد الدنيا من دار إلاَّ الجنة أو النار.

الدنيا سوق قام ثم انفضَّ:

ولا حرج عليك في أن تبيع وتشتري ما لا حرمة فيه؛ فالنفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت، وإذا كنت من رواد الأوكازيون فتذكَّر أنَّ الدُّنيا بمثابة سوق قام، ثم انفضَّ، ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أوموبقها، وتذكَّر بإسراعك إليها أنك أحوج إلى اللحاق بركب الإيمان الذي سبقك بطاعة الله، وأنَّ حاجتك إلى طاعته سبحانه أوكد من حاجتك إلى الطعام والشراب والماء والهواء، وتخيَّل نفسك تاجرًا تُريد أن تربح أعظم الربح، وتخاف الخسارة، وكيف يكون عرضك للتجارة، وحرصك على تحسينها ومواصلة الليل بالنهار في مواسم الكسب - كما هو الحال في الأوكازيونات -؟! ثم قل لنفسك: وأنا الآن في تجارة مع الله، وعمري هو رأس مالي، والأمر إما جنَّة وإما نار، والحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، واللهُ يُضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم، وهو سبحانه لا يُخلف وعده، ولا يضيع أجر المحسنين، وقد جعل العاقبة للمتقين، فلابدَّ من مراقبته سبحانه، وإخلاص العمل له والاستنان بسُنَّة نبيه ﷺ.

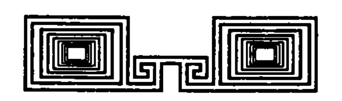
---

(١) رواه الإمام أحمد، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

غداً ينكشف الغطاء:

فإن أبيت إلاَّ الغش والتدليس، فغداً ينكشف الغطاء ويتبيّن لمن كانت بضاعته النفاق، أنَّ ما حصله كان سرابًا يحسبه الظمآن ماء ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩)** ﴾ [النور: ٣٩] واعلم أنه لا يجوز التكسب من حرام كالخمر والقمار والتعاملات الربوية، وأنَّ الله لا يبارك في الحرام كما لا يحل السفر لبلاد المشركين إلاَّ للقادر على إظهار دينه؛ وذلك لأنَّ دين الإنسان هو أغلى ما يمتلك، فليس المفلس على الحقيقة هو من لا درهم له ولا متاع، ولكن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج، ويأتي وقد شتم هذا، وضرب هذا، وسفك دم هذا، وأخذ مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، حتَّى إذا فنيت حسناته أخذ هو من سيّئاتهم، فطُرحت عليه، وطرح بها في النار ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [فاطر: ٣٢] .

فاحذر في تجارتك مع ربك، أن يقل ميزان حسناتك، واحرص أن تكون من السابقين بالخيرات بإذن الله، وتذكَّر قول شداد بن أوس رضي الله عنه : «اعلموا أنكم لن تروا من الخير إلاَّ أسبابه، ولن تروا من الشر إلاَّ أسبابه، الخير بحذافيره في الجنة، والشر بحذافيره في النَّار، والدُّنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر، ولكل دار بنون؛ فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا» .



غالب موالاة الناس ومعاداتهم لأجل الدنيا

لم يسلم مفهوم الولاء والبراء هذا الجانب العقائدي من هجمات شرسة، وسهام كثيرة أطلقها أعداء الإسلام والمسلمين؛ رجاء إماتة هذه الأمة والقضاء على دينها ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقد استخدموا في سبيل ذلك كل الوسائل والأساليب، وأعتاها الغزو الفكري لهذه الأمة، وركَّزوا على كل القطاعات والفئات، وقد ازدادت ضراوة هذه الحرب حدة، وكما نجح إبليس لعنه الله في صرف العباد عن واجب الشكر، كذلك نجح أولياؤه في تغيير مفهوم الولاء والبراء عند غالبية المسلمين، حتَّ أصبحنا نسمع من يقول: إخواننا النصارى، وأصدقاؤنا اليهود. والله غالب على أمره ومُتم نوره ولو كره الكافرون.

واقع الأمة:

ونُشاهد هذه الأمة التي تنتسب لدين الله، وهي توالي الشرق تارة، وترتمي في أحضان الغرب تارة أخرى، وتقيم معاهدات الصداقة مع الروس، وجمعيات الصداقة مع الفرنسيين، ويخرج هذا يُنادي بوطنية، وذاك بقوميّة، وأصبحت رايات الفرعونية، والسلام العالمي، والتعايش السلمي، وزمالة الأديان، و الشرعية الدولية، والنظام العالمي الواحد...

رايات مرفوعة في بلدان المسلمين، وتقطَّعت الأواصر والصلات بين المسلمين بسبب الحدود المصطنعة، ولا تكاد الأمة تُحرك ساكنًا تجاه المذابح التي تعقد للمسلمين في البوسنة والصومال وفلسطين والهند وكشمير وروسيا وبورما والعراق.. وكأن الأمر لا يعنيها، وإن استطعنا شيئًا فعلى سبيل الشجب والاستنكار، وأصبح معيار التعامل والتآخي عند الكثيرين هو معيار الوطن والقبيلة والعشيرة واللطف والظُرف والانضمام للحزب حتَّى وإن كان شيوعيًا.

البدائل الكثيرة التي رفعها الكفار:

قال صاحب كتاب «أهمية الجهاد»[١]: فإنَّ الكفار قاتلهم الله لم يقتصروا على راية واحدة يرفعونها للمسلمين بدل إسلامهم، ولم يقتصروا على خطة واحدة، بل كثرت خططهم وشعاراتهم وراياتهم، وذلك من باب تكثير السهام على الفريسة، فإن أخطأها الأول أو العاشر لم يُخطئها العشرون أو الثلاثون.

والذي لا تروق له القومية تجذبه شباك الوطنية أو الإنسانية أو زمالة الأديان أو التعايش السلمي أو الإشتراكية وهكذا دواليك، ولا ينجو منها إلاَّ من اعتصم بالكتاب والسُّنَّة. والوطنية هي تقديس الوطن بحيث يصير الحب فيه والبغض لأجله، والقتال من أجله وإنفاق الأموال من أجله حتَّى يغطي على الدين، وحتَّى تحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية، فالوطنيون يحبون أبناء وطنهم، وإن كانوا على غير ملَّتهم أكثر من محبّتهم لمن كانوا على ملَّتهم إذا لم يكونوا في وطنهم، بل قد يصل الأمر بالوطنيين إلى اجتماعهم على محاربة المسلمين مع الكفار؛ لأن الكفار من أبناء وطنهم!! وإذا وصل الحال بالإنسان إلى هذه الدرجة فقد عُبد الوطن من دون الله.

والعصبية للوطن من جنس العصبية للقوم كلها من دعاوي الجاهلية، والوطنية في العصر الحاضر التي نسمع الدعوة لها في ديار الإسلام، بضاعة مستوردة كغيرها من المستوردات، وما أكثرها، تكتلات كثيرة وروايات عديدة، ومذاهب أرضية مادّيّة عفنة أصبحنا نوالي لأجلها، ونُعادي ونُقاتل لأجلها، ونُسالم لأجلها كما صنعنا أيام دعوة القومية العربية، وفي الحديث: «**من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة، فقُتل، فقتلته جاهلية**»[٢]، والعمّية هو الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهه، وقال النبي ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله**»[٣] اهـ.

---

(١) صاحب كتاب أهمية الجهاد، علي بن نافع العليّاني.
(٢، ٣) رواه مسلم.

موالاة أهل هذه العقيدة ومعاداة أهلها:

إن أوجب الواجبات على العباد معرفة التوحيد وما يُنافيه من الشرك، وكما قال صاحب رسالة «الولاء والبراء في الإسلام»: «فإنَّ بعد محبة الله ورسوله تجب محبّة أولياء الله ومعاداة أعدائه، فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يُوالي أهلها، ويُعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويُبغض أهل الإشراك ويُعاديهم، وذلك من ملّة إبراهيم والذين معه، الذين أمرنا بالاقتداء بهم، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة: ٤] وهو من دين محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)** ﴾ [المائدة: ٥١]، وهذه في تحريم موالاة أهل الكتاب خصوصاً، وقال في تحريم موالاة الكفار عموماً ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ [الممتحنة: ١].

بل لقد حرَّم الله على المؤمن موالاة الكفار، ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسبًا، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣)** ﴾ [التوبة: ٢٣] وقال تعالى: ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال: وقد جهل كثير من الناس هذا الأصل العظيم، حتَّى لقد سمعت بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة في إذاعة عربية يقول عن النصارى إنهم إخواننا، ويا لها من كلمة خطيرة، وكما أنَّ الله سبحانه حرَّم موالاة الكفار أعداء العقيدة الإسلامية، فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبَّتهم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**

وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦] وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠] فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون يقتدي آخرهم بأولهم ويدعو بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض» اهـ.

ما كان لله دام واتصل:

وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧] قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ يريد يوم القيامة، ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي أعداء، يُعادي بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ فإنَّهم أخلاَّء في الدنيا والآخرة، قال معناه ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

وحكى النقَّاش: أنَّ هذه الآية نزلت في أُميَّة بن خلف الجُمَحي وعقبة بن مُعيط، كانا خليلين، وكان عقبة يُجالس النَّبي ﷺ، فقالت قريش: قد صبأ عقبة بن أبي معيط، فقال له أُمية: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً، ولم تتفل في وجهه، ففعل عقبة ذلك، فنذر النَّبيُّ ﷺ قتله، فقتله يوم بدر صبراً (حبس الإنسان للقتل) وقُتل أُمية في المعركة، وفيهم نزلت هذه الآية.

وذكر الثعلبي - رحمه الله - في هذه الآية قال: كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فقال: يا رب، إنَّ فلانًا كان يأمرني بطاعتك، وطاعة رسولك، وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويُخبرني أني مُلاقيك، يا رب، فلا تُضله بعدي، واهده كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما، فيقول الله تعالى: ليُثنِ كل واحد منكما على صاحبه. فيقول: يا رب، إنه

كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويُخبرني أني ملاقيك، فيقول الله تعالى: ونِعْمَ الأخ ونِعْم الصاحب كان.

قال: ويموت أحد الكافرين، فيقول: يا رب، إنَّ فلانًا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك، فأسألك يا رب ألاَّ تَهْدِه بعدي، وأن تُضله كما أضللتني، وأن تهينه كما أهنتني، فإذا مات خليله الكافر، قال الله تعالى لهما: ليُثْنِ كل واحدٍ منكما على صاحبه، فيقول: يا رب، إنه كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويأمرني بالشرِّ وينهاني عن الخير ويُخبرني أني غير ملاقيك، فأسألك أن تُضاعف عليه العذاب، فيقول الله تعالى: بئس الصاحب والأخ والخليل كنت، فيلعن كل واحد منهما صاحبه.

قلت - أي القرطبي - : والآية عامة في كل مؤمن ومتق وكافر ومُضل. اهـ.

بعض مظاهر موالاة الكفار:

وأنا أذكر لك بحول الله وقوته أمورًا عامة مجملة ومختصرة تتعلق بمفهوم الولاء والبراء؛ حتَّى تستبين حجم الغربة ومدى الطغيان المادي المعاصر الذي طرأ على هذا الأصل، فمن مظاهر موالاة الكفار:

[١] **التَّشبه بهم في الملبس والكلام وغيرها**؛ لقول النَّبي ﷺ: «**من تشبَّه بقوم فهو منهم**».

[٢] **الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين**، إذا كان يقدر على الهجرة فرارًا بدينه؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا**

وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠)﴾ [النساء: ٩٧ – ١٠٠] فلم يعذر الله في الإقامة في بلاد الكفار إلاَّ المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة، وكذلك من كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم.

[٣] **السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس**، أما لو سافر لضرورة العلاج أو التجارة أو التعلم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلاَّ بالسفر إليهم؛ فيجوز بقدر الحاجة، وإذا انتهت الحاجة، وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين ولابدَّ أن يكون مُظهرًا لدينه، مُبتعدًا عن مواطن الشرِّ، وكذلك يشرع السفر إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله.

[٤] **إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم**، والذب عنهم، وهذه ردة عن الإسلام.

[٥] **الاستعانة بهم والثقة بهم**، وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، واتخاذهم بطانة ومستشارين؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران: ١١٨] ومن ذلك قول النبي ﷺ للرجل الذي أراد أن يخرج معه في القتال: «**ارجع فلن أستعين بمشرك**»، وكان ذلك يوم بدر، واعترض عمر على أبي موسى الأشعري لما ولَّى كاتبًا نصرانيًا.

[٦] **التأريخ بتاريخهم**، وترك التاريخ الهجري الذي ارتبطت به الأحكام التكليفية، وهذا من جملة التَّشبه بهم، وفيه إحياء لشعائرهم، وإضاعة لأحكام المسلمين.

[٧] **مشاركتهم في أعيادهم** أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها؛ أعيادهم من أعظم شعائر دينهم الباطل وهم ودوا لو بذلوا الأموال في سبيل مشاركة المسلمين لهم في أعيادهم، وفي تفسير قوله سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] قال عمر وغيره: هي أعياد المشركين، ولأن السخطة تتنزل عليهم.

[٨] **مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة** والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم، دون النظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد، وهذا لا يمنعنا من أن نأخذ العلوم النافعة من كل من أفلح فيها، ولنعلم أنَّ ما هم عليه ليس بحضارة؛ لأن الحضارة هي التي تقوم على أساس إقامة العبودية لله في الأرض، والكفار يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون.

[٩] **التَّسمي بأسمائهم** وهجران الأسماء الإسلامية.

[١٠] **الاستغفار لهم والتَّرحم عليهم**، وذلك لقوله سبحانه: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ [التوبة: ١١٣] وليكن معلومًا أنَّ هذه المظاهر بعضها أشد حرمة من بعض.

ومن مظاهر موالاة المؤمنين:

[١] الهجرة إلى بلاد المسلمين، وهجر بلاد الكفار.

[٢] مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم.

[٣] التألم لألمهم والسرور بسرورهم.

[٤] النصح لهم ومحبَّة الخير لهم، وعدم غشهم وخديعتهم.

[٥] احترامهم وتوقيرهم، وعدم تنقصهم وعيبهم .

[٦] أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشدة والرخاء.

[٧] زيارتهم ومحبَّة الالتقاء بهم والاجتماع معهم.

[٨] احترام حقوقهم.

[٩] الرفق بضعفائهم .

[١٠] الدعاء لهم والاستغفار لهم.

ودلائل هذه المظاهر كثيرة في كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ.

أقسام الناس فيما يتعلق بأمر الحب والبغض:

ثم من الناس من يُحب محبة خالصة لا معاداة فيها، وهم المؤمنون الخُلَّص من الأنبياء والصديقين والشهداء، ومنهم من يُحب من وجه، ويُبغض من وجه، وهم عصاة المؤمنين، ومنهم من يُبغض ويُعادي بغضًا ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معها، وهم الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم، فهؤلاء لا محبة ولا أخوة ولا صداقة ولا مودَّة ولا موالاة بيننا وبينهم. وإن جاز لنا عيادتهم في مرضهم ورحمتهم بالرحمة العامة: كإطعامهم من جوع وسقياهم من عطش ومداواتهم من مرض، إلاَّ لو كان حربيًا، ويجوز التزوج من الكتابية، وأكل ذبائح أهل الكتاب إذا ذبحوا ذبحًا شرعيًا، كما تجوز هديتهم والبيع والشراء معهم، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، والعدل واجب حتى مع الكافر، وبهذا المعنى وذاك وردت نصوص الشريعة.

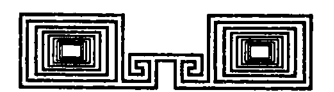
إشكالات وحلها:

ولابد من الانتباه إلى أن الإنسان إذا تزوج من كتابية لا يجوز له أن يُحب ما هي عليه من دين باطل حتى وإن عاشرها بالمعروف، وكذلك الرجل يُصاحب والديه بالمعروف دون محبة ما هم عليه من شرك، وأما قوله تعالى: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ⑧ ﴾ [الممتحنة: ٨] ففيها الأمر بالبر، والبرُّ شيء والمودّة شيء آخر؛ ولذلك فالرحم الكافرة توصل من المال ونحوه، مع بغضنا لما هي عليه من كفر وعدم مودتنا لها.

ولو نظرت نظرة سريعة لنفسك وللدنيا من حولك مع استصحابك لما ذكرناه في مسألة وقضية تتعلق بمفهوم الولاء والبراء يهولك حجم الضياع، ومدى الهوَّة المادية التي انحدرنا فيها شراً وفساداً، مصداق قوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

قال الحافظ ابن كثير: «ومعنى قوله: ﴿ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل »اهـ.

وهذا ما حصل في هذا الزمان، والله المستعان[١].



(١) راجع رسالة الولاء والبراء لصالح بن فوزان.

الراقصة والمغني والممثل
هم الأسوة والقدوة

أجرت الجامعة الأمريكية استفتاء وسط الشباب لمعرفة طموحاتهم وآمالهم، ووجدوا أنَّ نسبة لا تقل عن (٩٠٪) من الشباب يتمنَّى أن يكون ممثلاً أو لاعب كرة قدم أو مذيعًا. وقد تعجبت الجامعة لهذا الحال المتدني؛ وإلاَّ فمن الذي سيكون أديبًا ومفكرًا وسياسيًا وإداريًا؟!!.

أين الحرص على الصلاح والتقى؟!

ونحن نتعجب أيضًا بدورنا ونقول: أين التأسي بالأنبياء والمرسلين، ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين؟ أين الحرص على الصلاح والتقوى؟! لقد انطلق ركب الإيمان ومضى إلى ربه، وكلّهم يرجو ربه ويخاف سوء الحساب، كلهم يتمنى رضوان الله جلَّ وعلا؛ جعلوا الهموم همًا واحدًا؛ فكفاهم الله أمر دنياهم، وأخرجوا الدنيا من قلوبهم ووضعوها في أيديهم، وأحسنوا التوكل على ربهم، فدانت لهم الدنيا شرقًا وغربًا، وأقاموا حضارة على منهج العبودية، أعزَّهم ربنا بعد ذلة، وقوَّاهم بعد ضعف، وجمعهم بعد فرقة، ومكَّن لهم دينه الذي ارتضى لهم، وأبدلهم من بعد خوفهم أمنًا، وأقامهم في طاعته، والاستقامة هي أعظم كرامة، ومع اصطفائهم، كانوا يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يُؤمرون؛ تشبهًا بالملائكة.

افترقت الأماني والمخاوف:

وكان الواحد منهم يقول: لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن، وكان الثاني يقول: لو وقفت بين الجنة والنار، ولا أدري إلىٰ أيتهما أصير لوددتُ أني أكون ترابًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير. وكان البعض يقول: أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي. ومنهم من قال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي.

وكانوا يشتهون قيام ليالي الشتاء، وظمأ الهواجر - الصيام مع شدَّة الحرّ - ويتمنون أن يتقبل الله منهم سجدة؛ وذلك لقوله سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** (٢٧) ﴾ [المائدة: ٢٧] ، وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا** (٧٢) ﴾ [مريم: ٧٢] ، وهؤلاء الأفاضل عن علم وقفوا، وببصر نافذ أدركوا ما خفي علينا.

علو الهمَّة:

كانوا إذا دعوا ربهم قالوا: ﴿ **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** (٧٤) ﴾ [الفرقان: ٧٤] وهذا يدل على علوّ همَّتهم، ولا عجب فقد تربوا على ذلك، فهذه هند بنت عتبة، يأتيها أحد أقاربها وهي تحمل معاوية بن أبي سفيان، وكان صغيراً ، فقال لها: إن عاش معاوية ساد قومه، فتقول: ثَكِلْته إن لم يَسُدْ قومه. وكان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جدّ فيهم - أي عظم - .

دواعي الاستقامة:

إنَّ هناك أموراً عظيمة صاغت هذه الكلمات وهذه الأفعال الإيمانية، منها معرفة الصالحين من عباد الله بالغاية التي من أجلها خُلقوا: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** (٥٦) ﴾ الذاريات: ٥٦]، وأنَّ هذه المهمة لابدَّ وأن تستمر حتَّى الممات ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** (٩٩) ﴾ [الحجر: ٩٩]، وأنَّ العبادة هي ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** (١٦٣) ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] وأنهم مأخوذ عليهم من سمعهم وأبصارهم وسائر جوارحهم ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** (٣٦) ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

وأنَّ الله أعلم بما يُصلح عباده؛ لأنه خالق الخلق ومالك الملك، العبد عبده، والأمر أمره، والحلال ما أحل، والحرام ما حرَّم، والدين ما شرع ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** (١٤) ﴾ [الملك: ١٤] وإذا أمرنا فعلينا بالسمع والطاعة ﴿ **سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** (٢٨٥) ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ، ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

ومنها: معرفتهم بالدنيا وسرعة انقضائها، وقرب زوالها، وقلّة وفائها، ولذلك قالوا: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة، وإن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل. وقال آخر: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فألقها في نحره ونافسه في الآخرة. لقد آثروا السلامة وطلبوا النجاة، واستعلوا على الدنيا بحطامها الفاني، وكانوا يتعوذون بالله من فتنتها، ومنها معرفتهم بأنَّ الموت نهاية كل حي من المخلوقين ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ** (٤٠) ﴾ [مريم: ٤٠].

وكما قال الحسن: إنَّ أمرًا هذا الموت آخره لحقيق أن يُزهد في أوله، وإن أمرًا هذا الموت أوله لحقيق أن يُخاف آخره، وما بعد الدنيا من دار إلاَّ الجنَّة أو النار، ولو كانت الآخرة خزف يبقى، والدنيا من ذهب يفنى لكان على العاقل اللبيب أن يُؤثر الخزف الباقي على الذهب الفاني، فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى ؟!.

ومنها: أنَّ التفاضل بين العباد إنما يكون بالتقى والصلاح ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٣] وهذا هو الذي يُتنافس فيه مع إخلاص النية لله تعالى: ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** (٢٦) ﴾ [المطففين: ٢٦] ، ﴿ **لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ** (٦١) ﴾ [الصافات: ٦١] بحق في متابعة الفرائض بالنوافل والحرص على حياة الإيمان، وقد صدق فيهم قول القائل:

إنَّ لله عبادًا فُطَنَا	طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا	أنها ليست لحيٍ وطنا
جعلوها لجة واتخذوا	صالح الأعمال فيها سُفنا

ومنها: إدراكهم لمعنى السعادة الحقيقية، وأنها تكمن في طاعة الله سبحانه والعمل بأمره: ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ** (١٢٣) **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** (١٢٤) ﴾ [طه: ١٢٣]، ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ**

الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨] وكان عندهم التعظيم لحرمات الله ولشعائره سبحانه ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢] ولأن الله تعالى أحق أن يطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.

تبديل الحال وتغييره:

ولقد تبدَّل الحال وتغير، ولم يقف الأمر عند هذا الحد في الوضوح والسلامة، وكما قال النبيُّ ﷺ: «**لن يأتي على النَّاس زمان إلاَّ والذي بعده شر منه حتَّى تلقوا ربكم**» تلاعبت الدنيا بنا يمينًا وشمالاً، ولا أقول ركب البعض مراكب الشُبَه، بل أقول مراكب الفسق والفجور والإلحاد والزندقة، وكأنه لا يعرف ربًا يعبده ولا نبيًا يتابعه ولا دينًا يستقيم عليه، وانطلقوا هائمين على وجوههم كالبهائم السائمة، يُقلدون اليهود والنصارى حذو النعل بالنعل، ويأخذون ما عليه الغرب والشرق من زبالات، بل لو استطاعوا أخذ النجاسات الموجودة في أمعائهم لأخذوها، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴿٢٢﴾ ﴾ [الملك: ٢٢].

حقيقة التأسي:

لقد وصلت معاني الأسوة إلى الحضيض عندما أصبح الممثل والراقصة والمغني والزعامات الملحدة ولاعب الكرة والمذيع التليفزيوني... هم قدوتنا والجبل الشامخ الذي نتطلع له!! بل وحتَّى الأدباء والكتاب والمفكرين والساسة، الذين تباعدوا عن نور الوحي، لا يجوز الانبهار بهم وتحسين صورتهم في نظر العامة؛ فلا أسوة في الشر.

وكان ابن مسعود ﷺ يقول: «لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن، وإن كفر كفر»، ولا يصح أن يكون الإنسان إمعه، يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تُحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم، إنَّ الدنيا بمفهومها وبلوثتها الماديّة هي التي صاغت عقول وقلوب هؤلاء الشباب ومن كان على شاكلتهم، فكانت هذه التطلعات طلبًا لشهرة زائفة.

وماذا عليهم لو آمنوا؟!!

ولو أحسنوا لأخلصوا العلم، وحرصوا أن يكونوا العلماء العاملين الداعين إلى الله على بصيرة من أمرهم وأمر الناس، ومن الأتقياء الأخفياء، الذين يخفى أمرهم على أهل الأرض ويُعرفون في أهل السماء، يُعمّرون الدنيا بطاعة الله، ويُؤدون حق الله في عملهم المباح المشروع ويُؤثرون الباقي على الفاني، فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع.

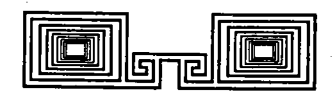
ولو قُدِّر واشتهروا، فسيبذلون شهرتهم في مرضاة ربهم، حرصًا منهم على تعبيد الخلائق لله تعالى، إنَّ هذه النسبة الكبيرة من الشباب بمثل هذه التطلعات والآمال إنما تعكس خطرًا كبيرًا على مستقبل هذه الأمة؛ فهم قادة الغد، وجنود المستقبل.

الأمر يتطلب جهاداً كبيراً:

وإذا كنَّا ننشد إقامة مجتمع إسلامي يتحاكم بكتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ فلابد من دعوة وجهاد كبير للعودة بشباب الأمة، وكل طوائفها لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام علمًا وعملاً واعتقاداً ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** (١٠٠) ﴾ [التوبة: ١٠٠]

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

وما لم يكن يومئذ دينًا، فليس اليوم دينًا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلُح به أولها، كما قال الإمام مالك - رحمه الله - فهيّا بنا نُبلغ الحق إلى الخلق حتَّى نرد التطلعات والمفاهيم إلى حظيرة الإيمان، وإلاَّ فكفانا ضياعًا ومذلّة ومهانة وسط الشعوب والأمم.



التخصصات انفصلت عن معاني الإيمان

ما هي الصبغة التي انصبغ بها الفلكي والسياسي والمدرس والطبيب والأديب والمفكر والمربي، ومن يقوم بحل مشاكل الناس... ؟! وهل هذه المهمات والمهن تُشبع أهلها بروح الإيمان؟! وحتَّى إن صلّوا وصاموا وزكّوا وحجّوا، فهل علموا أنَّ معنى العبادة شامل لعملهم، ولابد من الاستقامة في هذه الأعمال على الكتاب والسُّنَّة؟!.

انقسامات مُريبة:

لا يخفى عليك كيف انفصلت الأرض عن السماء، والدنيا عن الآخرة ، والروح عن الجسد ، وبعض العبادات عن البعض الآخر، وبعض الرجال عن البعض الآخر، وبعض الساعات عن البعض الآخر، بعد أن كانت كلها حسبة واحدة وتوزن بميزان واحد ، فلا فاصل بين الأرض والسماء، فعملك هنا ونظرك في السماء، والأرض تستقيم على الوحي المنزَّل، وعملنا هنا وحساباتنا حسابات أخروية، ولأننا ننتقل من حياة إلى حياة؛ فالدنيا أمامنا ممتدة أمانًا إلى أبد الآبدين، ومكانًا لجنّة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «**إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع ألا تقوم حتَّي يغرسها ، فليغرسها ؛ فإنَّ له بذلك أجراً**».

ووسّع ﷺ في مفهوم الصدقة فقال: «**تبسّمك في وجه أخيك صدقة**» ، والعبادة مفهوم واسع لكل ما يحبه الله ويرضاه، والنَّبيُّ ﷺ بعد أن أقام المسجد دخل السوق ونظمه.

أصبحنا نعيش بوجهين وبمفهومين :

والرجال كلهم يجب أن يستقيموا على أمر ربهم في أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم سواء كانوا حكامًا أو محكومين.. فلكيين أو مفكرين. لقد نشأت أجيال وطوائف تعيش بوجهين وبمفهومين وبولاءين، وجه لها في المسجد فيه أمارات التُّقى

وعلامات الصلاح، والثاني: في السوق فيه الربا والغش، وكل صور الضياع ويتوهمون بذلك أنهم قد أدُّوا كل ما عليهم. وقِسْ على ذلك بقيّة المهن والأعمال، وما عسى الواحد من هؤلاء بعد ذلك إلاَّ أن يموت قرير العين، وكأنه أدى ما عليه من أمانة، وأكل بعرق جبينه كما يقولون!!.

ساعة لربك وساعة لنفسك:

وتولدت المقولة: «ساعة لربك وساعة لنفسك» تبريرًا للمعاصي والفجور، وتقليداً لمنطقي الجاهلية الأولى: «اليوم خمر وغداً أمر»، وقالوا: «دعْ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» وقصروا بدورهم معنى الإسلام والعبادة والطاعة على مجرد الصلاة والصيام والزكاة والحج، وهذا في أحسن وأصلح أحوالهم، وإلاَّ فهناك جمهرة كبيرة تعيش بالنوايا الطيّبة والقلوب البيضاء حتَّى دون صلاة ولا صيام!! ويقولون: «ربك رب قلوب» وهؤلاء أشبه بالمرجئة الذين فصلوا العلم عن العمل، وقالوا: «لا يضر مع الإيمان ذنب».

الكفر بالله للحاق بركب الحضارة والتقدم:

وأفسد من هؤلاء وأولئك من كفر بخالق الأرض والسماوات، وترك دين ربه وراءه ظهريًا بزعم اللحاق بركب الحضارة والمدنية، وظنًا منه أنَّ الدين يقفُ معترضًا في طريق العلم كحالة الكنيسة مع العلم المادي التجريبيّ في أوربا، فوصف بعض بني جلدتنا دين الله بأنه رجعية وتخلف وجمود... وهؤلاء راجت عليهم حيل التغريب وتخييل الغزو الفكري، وإلاَّ فديننا يأمرنا بالأخذ بأسباب القوّة: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال: ٦٠]، «**والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**» كما في الحديث الشريف.

والعلوم النافعة تُؤخذ من كل من أفلح فيها كالزراعة والصناعة والهندسة والطب ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء: ٩] أي التي هي أسد وأعدل في كل ناحية من نواحي الحياة. أما علوم الهداية فلا تُؤخذ إلاَّ من الكتاب والسُّنَّة ﴿**الْيَوْمَ**

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] والعبادات تُؤخذ دون زيادة أو نقصان، أمَّا المعاملات: فالأصل فيها الإباحة إذا روعيت ضوابطها الكلية مثل «**لا ضرر ولا ضرار**»، «**إنّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**» فطالما لا تتصادم وسائل التطور والتقدم مع ما جاء في الكتاب والسُّنَّة فلا حرج في اعتبارها والأخذ بها.

حالة الفلكي المعاصر:

وبعد هذا الإجمال والاختصار، فلو نظرنا في المهمات والأعمال لوجدنا عجبًا، فالفلكي يتكلم في إثبات الرؤية بالحساب الفلكي دون الالتفات لقوله سبحانه: ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ [البقرة: ١٨٥] ولا علاقة له بقول النَّبي ﷺ: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته**» ويتكلم بمقياس ريختر، وكأنه لم يسمع ولم يقرأ عن عظيم قدرة الله، وأنَّ خالق الأسباب قادر على تعطيلها ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** (٨٢) ﴾ [يس: ٨٢].

ويستهجن بشدة الحديث عن آثار الذنوب والمعاصي في حدوث الزلازل، فهي عبارة عنده عن عدم استقرار في القشرة الأرضية.. وبكل جرأة وكذب سيقول الزلزال لن يتكرر مرة ثانية، أو لن يحدث بالليل، كما سمعنا!! ولا يردعه رادع من أن يتكلم عن المطر الغزير الذي سيحدث غداً والرياح الشمالية والشمالية العكسية... ولا يمكن أن يتنازل مثلاً ويُعلق الأمر على المشيئة، ويقول إن شاء الله، بل يسخر من ذلك سخرية شديدة؛ لأنها حسابات علمية عنده!! حتَّى وإن استبان للناس خطأه مرات ومرات، فلا مطر حدث ولا رياح هبَّت، وفي الحديث: «**من قال مُطرنا بنوء كذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب**».

سياسي ميكافلي:

والسياسي لا علاقة عنده بدين الله فالسياسة شيء والدين شيء آخر، أو بتعبير آخر لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، يُعبر البعض بتعبير آخر على سبيل

الاستهجان فيقول: تديين السياسة، وتسييس الدين، ومن المعلوم شرعًا أنَّ هذا هو أقصر طريق إلى الكفر، كما قال العلماء، فلا فاصل بين الدين والسياسة، إذ الخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)** ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠] .

فالإسلام شامل لكل ناحية من نواحي الحياة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية، والنَّبيُّ ﷺ حكم الأمة في حربها وسلمها، وأبرم المعاهدات، وأتمَّ المفاوضات، ونزل في ذلك كله على وحي ربه، ولذلك فلسنا بحاجة لسياسات مكيافيلية تُبرر الغاية فيها الوسيلة؛ فوسائلنا مشروعة، وغاياتنا يجب أن تكون محمودة، ولنعلم أنَّ النظم الإدراية لا حرج فيها إذا لم تتصادم مع الشرع، وكان من شأنها تحقيق مصلحة العباد.

مدرس أشبه بلوحة نخرة:

والمدرس قد يكون أشبه بلوحة نَخِرة في سفينة في عرض المحيط؛ فهو لم ينصبغ أثناء دراسته بحياة الإيمان، ولا هو وضع طاعة ربه نُصب عينيه بعد أن تقلَّد مُهمَّة التدريس، والتعليم عندنا إما تعليم علماني أو تعليم تبشيري، وعلى المدرس أن يجتهد وأن يعرق في نقل حضارة الفراعنة، ونظرية دارون، والخصائص الطبيعية، وزعامة سعد زغلول، ومعاني القومية والاشتراكية للطلاب!!! حتَّى وإن خالفت عقيدته وعقيدة أبناء المسلمين، فهذه مهنته ومهمته التي يؤديها، بل لقد تحصَّل بعض الأساتذة على الدكتوراة من البلدان الشيوعية، وجاءوا إلى بلدان المسلمين ينفثون سمومهم في جسد هذه الأمة.

صبغ المناهج بصبغة الإسلام:

فأين الأمانة وتأدية الرسالة، وتنقية العلوم من كل ما يُخالف دين الله؟ ولماذا لا

نصبغ الجغرافيا والتاريخ صبغة إيمانية ونتخول الطلبة بالعظات والعِبَر التي تُحبب إليهم معاني الإيمان؟ إنَّ اللسان الذي صيغت به العلوم - حتَّى وإن كانت حقة - ليس عالميًا، بل هو لسان محلي، ولسنا أقل من الشيوعيين الذين رفضوا تربية أجيالهم على علوم الغرب الليبرالية، وأعادوا صياغة العلوم صياغة ماركسية؛ حتَّى تتواصل حلقاتهم وأجيالهم.

وإذا كانت مواد التدريس قد فُصّلت على غير أجسام المسلمين، فالواجب علينا أن نتقي الله في ديننا وفي أبناء أمتنا، ودورك كبير أخي المدرس في القيام بهذا الواجب، فتعلم أمر دينك، واعمل به، وادعُ الدنيا بأسرها، وأبناءك الطلاب للاستقامة عليه.

نحتاج طبيباً مؤمناً:

وهل فكَّر الطبيب في الدعاء لمريضه بالشفاء أو رقيته أو حثِّه على الصلاة؟ وهل نظر للأدوية المستخدمة، وهل هي حلال أم حرام؟ وهل حرص على ستر المريضة وعدم الانفراد بها في حجرة الكشف؟ أمور كثيرة لعله لم يُفكر فيها؛ اكتفاءً بالقراءة في كتب الطب، وتعلم كيفية تشخيص الداء ووصف الدواء العضوي المادي المناسب.

ولا حرج في القراءة والاطلاع، ولكن لا ينبغي أن يكون المسلم كحاطب بليل يوشك أن يحمل حية تلدغه، ولابد من صبغ الحياة بدين الله، والأمر سهل ويسير على من يسّر الله عليه، فيا ليتك تتعرف على الطب النَّبوي، وتكون طبيبًا للقلوب والأبدان، فتعلّم أمر دينك، وأتقن معاني الإيمان كما أتقنت علوم الطب، وإلاَّ فمن تطبب بغير طب فهو ضامن، وقد قال رسول الله ﷺ: «**تداووا عباد الله، ولا تداووا بحرام**»، وقال ﷺ: «**وما جعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها**».

رسالة للأديب والمفكر والشاعر:

وأنت أخي الأديب والمفكر والشاعر.. عقلك وقلمك أمانة عندك، فلا داعي لإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، واشغل فكرك بذكر الله ومعرفة نعمه وعظيم قدرته

في خلقه، وما بثَّه في كونه من آيات باهرات، ولا تشغل الناس بالأدب الغريزي وأدب الجنس!! فلا تأدب في ذلك لا مع الله ولا مع المخلوقين، ولا تعتذر بالمشاعر الفيَّاضة والأحاسيس والوجدانات الصادقة!!، واضبط عقلك وفكرك وقلمك بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، فإذا وجدت مشاعرك بضد ذلك فأنزلها منزلة الوساوس التي لأن تخر من السماء إلى الأرض لكان أهون عليك من أن تجدها، دورك كبير إن أنت اتَّقيت الله وقُمتَ بواجب الدعوة إليه سبحانه.

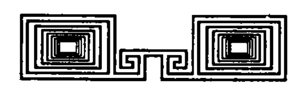
يا ليتك تدعم جانب النقص الموجود في قصص الأطفال، نحتاج لقصص إسلامي بلا خرافات ولا شعوذات ولا أساطير ولا كذب، كما نحتاج أيضًا لمراجعة هذا التفلت وهذا العبث الذي يطلق عليه اسم الفكر الحر المستنير، الذي هو شبيه بالفن السريالي والشعر الحر، وباختصار نحن بحاجة لمراجعة حياتنا وفق ما جاء في كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ.

إليك أيّها المربي:

وأنت أخي المربي، اعلم أنَّ السلوك مرآة الفكر، والاستقامة هي أعظم كرامة، فلا تكتفي بنظريات دوركايم، ونظريات الاجتماع، ومعاني التربية المأخوذة عن الغرب، والتي تُعلي من شأن الجنس وعظمة الرجل الأوروبي، وتجحد وجود الخالق جلَّ وعلا.

لقد زيَّف الغرب نظريات، واعتبرها علومًا ودرستها الجامعات على أساس ذلك وهي أشبه بزبالات، كنظرية فرويد فيما يتعلق بالجنس، وماركس فيما يتعلق بالبطن، وداروِن فيما يتعلق بالتطور والنشوء والارتقاء، ودور كايم فيما يتعلق بنسبية الأخلاق.

إنَّ أنظار تلامذتك مُسلَّطة على أفعالك قبل أقوالك، والدعوة بالسلوك أبلغ من الدعوة بالقول، ونحن بحاجة لجيل يتربى تربية إسلامية؛ حتَّى يُفكر بعقلية المسلمين، ويقود البلاد قيادة إسلامية؛ فاستعن بالله على ذلك.



لماذا تأخرت مكانة العلماء عن الطبيب والمهندس..؟

كما انزوت وضعُفت قيمة المساجد في دنيا الناس، ويتَّضح ذلك بنظرة سريعة على عدد الرجال داخل المسجد وخارجه وقت الصلاة، وكلمات الهداية داخله والضلالة خارجه، فهو أشبه بمصباح خفت ضوءه وسط دياجير الظلام ودنيا مملوءة صخبًا وضجيجًا وانحرافًا وفجورًا، وكذلك الأمر بالنسبة للبرامج الدينية إذا قورنت ببقية البرامج الرياضية والفنيّة والثقافيّة والترفيهية في الإذاعة والتليفزيون والجرائد والمجلات.

صفحة الفكر الديني وحصة الدين:

يقولون: صفحة الفكر الديني، وكل ما قبلها وما بعدها يعدم ما جاء فيها -هذا على فرض صحّته - ونفس الأمر هو هو في سائر وسائل الإعلام، انفصال مريب بين الدين والدنيا كالانفصال الموجود في حياة المربي والمدرس والفلكي... ونفس الأمر هو هو بالنسبة لحصة الدين، التي وُضعت في آخر اليوم الدراسي بعد إرهاق الطلاب بالرياضة والإنجليزي .. فالدين عبارة عن حصة في أحسن أحواله كسائر الدروس والحصص فضلاً عن أن يكون مُهملاً على مثل هذا النحو من جملة المواد الإضافية التي لا يرسب فيها الطلاب، وشأنه كشأن التربية الرياضية، أو لا يدخل في المجموع.. وهذا هو منهج دانلوب (١) ، الذي ارتضيناه يومًا لوضع نظام التعليم لأبناء هذه الأمة.

المعاهد الدينية في ذيل القائمة:

وما حدث لحصة الدين حدث مثله للمعاهد والمدارس الأزهرية، فهي تأتي في

---

(١) قس إنجليزي استقدمه المستعمرون للإشراف على إعداد مناهج التعليم المصرية في مطلع هذا القرن، ولا تزال الأسس والقواعد التي أرساها هي المعمول بها إلى اليوم في مدارسنا، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

ذيل القائمة بعد المدارس التبشيرية والعلمانية، وكذلك جامعة الأزهر إذا قورنت بجامعة القاهرة أو الإسكندرية.. من حيث القيمة والإقبال والاهتمام، وهذا كله يفسر لك لماذا تأخرت مكانة العلماء عن الطبيب والمهندس.. ويصلُح شاهداً ومثالاً ودليلاً على تأخر الدين، وما يمت له بصلة في حياتنا، وهذه صورة من صور الطغيان المادي المعاصر.

فضل العلم والعلماء:

إنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنَّما ورَّثوا العلم؛ فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وفي الحديث الصحيح: «**من يُرد الله به خيراً يُفقهه في الدين**» إذاً وبمفهوم المخالفة فإنَّ من لم يرد الله به خيراً لم يفقهه في الدين، وقد أمر سبحانه بالرجوع إلى العلماء وإلى أقوالهم، فقال تعالى: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** (٧) ﴾ [الأنبياء: ٧]، ومدحهم سبحانه وأثنى عليهم بقوله: ﴿ **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ** (٤٩) ﴾ [العنكبوت: ٤٩] وقد أمر سبحانه نبيَّه بأن يصرف بصره عن الدنيا وما فيها، ودلَّه على شرف العلم فقال: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** (١١٤) ﴾ [طه: ١١٤].

ورفع درجات العلماء فقال: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** (١١) ﴾ [المجادلة: ١١]، وبيّن أنهم أهل خشيته فقال: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٨]، وبيّن سبحانه أنَّ العلماء هم الذين يفهمون مراده ويستفيدون من آياته فقال: ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ** (٤٣) ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال أيضاً: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وفي معرض الامتنان على أنبيائه وما حباهم به من نعمه قال سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿ **وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** (١١٣) ﴾ [النساء: ١١٣] وقال عن موسى عليه السلام: ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ**

حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [القصص: ١٤]، وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا** ﴾ [يوسف: ٢٢]، وقال عن نبيه داود عليه السلام: ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** (٢٠) ﴾ [ص: ٢٠] وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿ **فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا** ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقال في حق الخضر عليه السلام: ﴿ **فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا** (٦٥) ﴾ [الكهف: ٦٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **الدُّنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلاَّ ذكر الله، وما والاه، وعالم ومتعلم** »[١].

أقوال نورانية:

وقال بعض السلف: « إذا أتى عليَّ يوم لا أزداد فيه علمًا يُقربني إلى الله، فلا بورك لي في شمس ذلك اليوم ». وسُئل ابن المبارك عن أحسن الناس فقال: « العلماء » قيل: مَنْ الملوك؟ قال: « الزُّهَّاد » قيل: فمن السفلة؟ قال: « الذي يأكل بدينه » وكان البعض يقول: أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء فاته من أدرك العلم. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: « من رأى أن الغدو إلى العلم ليس بجهاد فقد نقص في عقله ورأيه ».

وعن علي رضي الله عنه : « الناس ثلاثة، فعالم رباني، ومُتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال؛ العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على الإنفاق، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه، ومحبة العلم دين يدان به ».

وفي وصيَّة لقمان لابنه: « يا بني جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك؛ فإنَّ الله سبحانه يُحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض بوابل السماء ».

ويقول الحسن: لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

وصية معاذ بن جبل رضي الله عنه :

يقول معاذ بن جبل : « تعلَّموا العلم؛ فإنَّ تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين والصبر على البأساء والضراء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم خير قادة سادة هداة، يقتدى بهم، أدلة في الخير، تُقص [1] آثارهم، يبلغ العبد به منازل الأبرار والدرجات العلى، والتفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به يُطاع الله عزَّ وجل، وبه يُعبد، وبه يُوحّد ويُمجّد، وبه توصل الأرحام، وبه يُعرف الحلال والحرام، وهو إمام والعملَ تابع له، يُلهمه السعداء، ويُحرمه الأشقياء » .

كلماتهم أسمع في الأمة من الحكام :

قالوا : « صنفان إذا صلحا صلح سائر الناس، وإذا فسدا فسد سائر الناس : العلماء والأمراء »، وهؤلاء وأولئك هم أولوا الأمر منًّا، وكلاهما يحرص على الاستقامة على أمر الله في علمه وحكمه، وقد كانت كلمة العلماء في وقت مضى أسمع في الأمة من الحكام، ففي محنة الإمام أحمد، وأثناء سجنه أتاه تلميذه أبو سعيد يقول له : « يا إمام، قلها – أي وافق المأمون – فإنَّ لك عيالاً » فقال له الإمام : « انظر من الشرفة » فنظر أبو سعيد، فوجد خلقًا كثيراً، كلهم أمسك ورقة وقلمًا، يُريد أن يكتب ما سيقوله الإمام، فرجع يصف له المشهد، فقال له الإمام : « والله ما يكون لي أن أنجو بنفسي وأُضل هؤلاء » ، وكان أشبه بالأمة وحده – رحمه الله – .

لقد صانوا العلم فرفعهم الله مكانًا عليًا، وكانوا هداة مهتدين ، يُذكر أنَّ أم الإمام أبي حنيفة – رحمه الله – أتته وهو في حبسه ، فقالت له : يا نعمان إنَّ علمًا ما أفادك غير الضرب لحقيق أن تزهد فيه، فقال لها : والله يا أمه، لو أردتُ به الدنيا لوجدتها، ولكني أردتُ أن أصون العلم، فلم أعرض نفسي فيه للهلكة، والعلم شريف من أراد به الدنيا وجدها، ومن أراد به الآخرة وجدها .

---

(١) تقص : تتتبع .

لا نقبل تسمية العلماء برجال الدين:

وقد استبدل البعض في عهود الغربة كلمة العلماء برجال الدين على غرار ما هو موجود عند رجال الكنيسة، وانقسم الرجال في أوربا تبعًا لذلك إلى رجال الدولة ورجال الدين، وهذا لا يجوز في الإسلام، وعند المسلمين؛ لأن الدين عندنا لا ينفصل عن الدنيا، ورجال الدولة يجب عليهم أن يحكموا بدين الله، والعلماء لا تقتصر مهمتهم على حيّز المساجد فقط، أو الحديث في بعض القضايا والمناسبات التي لا تعلُّق لها بالحكم، إنَّ ديننا ليس دينًا كهنوتيًا، بل هو دين يطالب أبناءه جميعًا - حكامًا ومحكومين - أن يعملوا بإسلامهم لإسلامهم، وأن يعلموا الحق، ويرحموا الخلق، ويُؤدوا الأمانة، ويبلّغوا الرسالة، ويقوموا لله بحقه نصحًا وبيانًا.

لحوم العلماء مسمومة:

يجب علينا أن نعلم أنَّ الطعن في علماء الأمة المعتبرين، يفتح الباب على مصراعيه للطعن في الدين، فلننتبه ولنحذر؛ فإنَّ لحوم العلماء مسمومة، وسُنَّة الله في هتك منتقصيهم معلومة، وإذا لم يكن العلماء بأولياء لله فليس لله ولي، أما علماء السوء هم أشبه بقطّاع الطريق إلى الله، والذين يُحلون الحرام، ويُحرمون الحلال، ويجعلون الدين مطيَّة ووسيلة لنيل الدنيا، فهؤلاء لابد من تحذير الناس منهم ولا كرامة.

لابد للدين أن يتقدَّم ليقود الدنيا:

لابد من إعادة الحق إلى نصابه حتَّى يتقدَّم الدين ليقود الدنيا بأسرها في الحكم والسياسة والفن والرياضة والاجتماع والأخلاق، وحتَّى يحدث الاتّساق بين الدنيا والآخرة، الدين والدولة، والإسلام والمسلمين، والعقول السوية والفطر المستقيمة، والكتب المنزلة والرسل المرسلة، وهذا كله يتطلب أن يقوم العلماء بدورهم، فلا تتأخر مكانتهم عن إينشتاين وأديسون.. فحاجة البشرية إلى الهداية أوكد بكثير من حاجتها إلى العلوم المادية التجريبية مهما كان نفعها وفائدتها، بل أوكد من حاجتها إلى الماء والطعام والشراب.

كيف نحل مشاكلنا؟

أصبح الإنسان المعاصر لا يفكر إلاَّ في عضلاته، وجوارحه، ويعوِّل على حوله وطوله، ويتباهى بعقله ورأيه، وينزل في حكمه على العرف والعادة، وكلها من أسباب نكده وتعاسته، وصورة من صور الطغيان المادي الذي أصبح يجري منّا حتَّى النخاع، ويحدث على مستوى الأفراد والدول والجماعات.

إذا حدثت الخصومة أو ثارت مشكلة فالأعراف لا تقتصر على أعرافنا، بل تتعداها إلى الأعراف الدولية، وهناك شريعة لأهل البوادي «سِلْوَهم» وشرعية دولية، ونظام لكل دولة، ثم النظام العالمي الواحد، إذا كان هذا هو مسلك من كفر بالله أو انحرف عن منهجه سبحانه، فإنَّ المسلم له شأن وللناس شأن؛ لأنَّه يُؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، ولذلك فهو يعلم أنه لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، وأنه لا تغير من حال إلى حال إلاَّ بفضل الله.

للمسلم شأن وللناس شأن:

ولذلك إذا حدثت المشكلة أو ثارت الخصومة فهو يدعو ربه؛ لمعرفته أنَّ العبد إذا أُلهم الدعاء، فإن الإجابة معه، ويستغفر ربه؛ لأنَّ من لزم الاستغفار جعل اللهُ له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب، ويسترجع؛ لقول النَّبي ﷺ: «**ما من عبد تُصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها إلاَّ آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيراً منها**»(١).

كما أنه يحرص على طاعة ربه؛ فهي سبب كل خير وصلاح ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، قال العلماء: لو أنَّ

(١) رواه مسلم ومالك وأبو داود.

الخلق جميعًا أخذوا بها لكفتهم، وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** (١٢٨) ﴾ [النحل: ١٢٨] فمن كان الله معه فمن عليه؟ معه الفئة التي لا تُغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** (٧) ﴾ [محمد: ٧].

ويُقلع المسلم عن المعاصي والذنوب؛ فهي سبب التسليط وحلول المصائب بالبلاد والعباد ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** (٣٠) ﴾ [الشورى: ٣٠] وكان بعض العلماء يقول: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خُلُق دابتي وخادمي وامرأتي؛ فيا ليتنا نتهم أنفسنا قبل اتهام الآخرين، ويقول كل منَّا لنفسه: منك أتيت. ثم لابد من العفو والصفح وكظم الغيظ؛ لقوله سبحانه: ﴿ **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ [النور: ٢٢] فنقول: بلى يا ربنا، على كثرة خطايانا نحب أن تعفو عنَّا، فكذلك إذا ثارت الخصومة مع الزوجة أو غيرها، وقالوا: كنْ كالشجر يُقذف بالحجر فيُلقي الثمر ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** (١٣٤) ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

فلا يجوز مواجهة الخطأ بالخطأ، ولا المعصية بالمعصية؛ فقد أمرنا أن نتقي الله فيمن لا يتقي الله فينا، وأن نعدل فيمن جار علينا وأن نُعين العباد على طاعة الله بدلاً من إعانة الشياطين على نفوسهم، كما أنَّه لابد من الاستعانة بالصبر والصلاة ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** (٤٥) ﴾ [البقرة: ٤٥] والواجب علينا أن نردَّ الحقوق لأصحابها، ونتحلل من حقوق الآدميين، وننزل على حكم الله تعالى.

رد حكم ما تنازعنا فيه لكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ:

يقول سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** (٥٩) ﴾ [النساء: ٥٩]، فمن مقتضيات الإيمان أن نردّ حكم ما تنازعنا فيه لكتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ، لا نرده للعرف وللعادة، ولا نرده للعقل ولا للرأي، ولا

نُحكّم النظم الوضعية والقوانين الطاغوتية الكفرية، ولا نلتفت للنظام العالمي الواحد، ولا للأمم المتحدة إذا خالفت قوانينها حكم الله جلّ وعلا؛ فالدين ما شرعه سبحانه لا هذه الشرعية الدولية المزعومة.

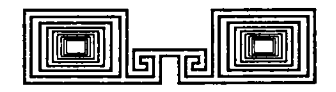
والواجب على المسلمين أن يذعنوا لأمر ربهم، وأن يخضعوا لحكمه، إن كانوا يُؤمنون بالله واليوم الآخر، وإلاّ فليتّخذوا لهم ربًا سواه ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا (٣٦)** ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فليس لنا أن نختار مع الله أو مع رسول الله ﷺ، بل حكى الشافعي إجماع الصحابة فمن بعدهم على أنه من استبانت له سُنَّة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس أيًا كان، وقال سبحانه: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)** ﴾ [النساء: ٦٥]، إنه التسليم لحكم الله ظاهراً أو باطنًا ﴿ **وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾.

فلا نجد غضاضة ولا ضيقًا ولا حرجًا من حكمه سبحانه، وسواء كانت الخصومات على مستوى الأفراد أو الدول والجماعات، بل أهل الكتاب إذا رفعوا إلينا قضية أو كانت الخصومة بينهم وبين المسلمين حكمنا فيهم بكتاب الله وسُنَّة نبيّه ﷺ، ولابد من الحذر من أن نتصف بصفة المنافقين الذين وصفهم ربنا بقوله: ﴿ **وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠)** ﴾ [النور: ٤٩، ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١)** ﴾ [النساء: ٦٠، ٦١] فسمَّاهم ربنا منافقين رغم ادّعائهم الإيمان.

نصائح غالية تصلك بالناس :

من السهل اليسير أن نهدم علاقتنا بالآخرين إذا تجارى الإنسان مع هواه أو وساوس الشياطين؛ فلتكن على حذر وتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الإسراء: ٥٣] وقلْ كما قال أبو بكر: «والله أنا كنت أظلم»، أو كما قال الرجل الذي أصلح النَّبي ﷺ بينه وبين خصمه: «حقي لأخي».

وإذا كنت غاضبًا فاجلس، وإلاَّ فنم أو قم وتوضّأ، فسيذهب غضبك وتنتهي المشكلة بسلام بإذن الله، ولا داعي للفُجْر في الخصومة؛ فإنَّ من خصال المنافقين: «**إذا خاصم فجر**»، والطاعة مطلوبة في العسر واليسر والمنشط والمكره، فلا تكن ممن يعبد الله على حرف، ولا تنسى قيمة الهديّة في غرس معاني المحبة «**تهادوا تحابوا**»، ﴿ **ادْفَعْ** بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ [النساء: ٩٦]، «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**» وجماع حسن الخلق أن تعطي من حرمك، وأن تصل من قطعك، وأن تعفو عمّن ظلمك، و تذكر أنَّ خير المتقاطعين من يبدأ بالسلام.



أين البركة؟!!

لقد انتزعت البركة من الأقوال والأفعال، والأعمال والأموال، والطعام والشراب، إنّ نظرة سريعة، ومقارنة يسيرة بين ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وبين ما نحن عليه الآن، لتوضح لك كيف امتلأت حياتهم بركة بينما غابت البركة من حياتنا؛ فمنهم من كان يقوم الليل بالقرآن كله في ركعة واحدة، أو يظل يردد آية واحدة طوال الليل، كحالة عثمان بن عفان وتميم الداري وأسماء بنت أبي بكر ﷺ أجمعين.

لا نصلح مقياسًا لهؤلاء الأفاضل:

ونحن اليوم عندما نقرأ ذلك نستغربه بشدّة، وذلك لأننا نقيسه بما نحن فيه، ولاشك أننا لا نصلح مقياسًا وميزانًا لهؤلاء الأفاضل، وقرأنا وطالعنا كيف خرجوا يجاهدون في سبيل الله، يتناوبون البعير الواحد، منهم من يركب ومنهم من يمشي، ويسيرون مئات الأميال كما حدث في ذات الرقاع وغزوة تبوك، ويُظهرون قوة عظيمة في قتال الأعداء، وكانوا يبكون إذا حيل بينهم وبين الخروج لملاقاة الأعداء، كما حدث من السبعة الذي أرجعهم النبي ﷺ من غزوة تبوك، فقد رجعوا وهم يبكون ﴿**وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ** ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢]، وكانوا سيخرجون لملاقاة الروم في عام شديد الحر بعد أن طابت الثمار، فأين نحن من ذلك؟!!.

عظيم قوة النبي ﷺ:

وقد صارع النبيُّ ﷺ ركانة ثلاث مرات فغلبه، على الرغم من أن ركانة أحد مشاهير العرب في القوة، وكان يتعبد قبل ذلك في غار حراء الليالي ذوات العدد، وتُزوده أم المؤمنين خديجة لمثلها، ووقف يوم حنين بمفرده بعد أن انكشف أصحابه يقول: «**أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبد المطلب**».

وكان يقوم الليل حتَّى تتورم قدماه الشريفتان، فإذا قيل له في ذلك، قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**» ويطوف على نسائه في ليلة واحدة، وحكى لنا كيف طاف نبيُّ الله سليمان على مئة امرأة في يوم. وكان النبيُّ ﷺ يواصل الليل بالنهار في سبيل إبلاغ الحق إلى الخلق، فهل كان ذلك بسبب الوجبات الكاملة التي تحتوي على البروتينات والأملاح والفيتامينات... ؟!، نحن عندما نُطالع السُّنن نجد أنَّ النَّبيَّ ﷺ ربط الحجر على بطنه من شدَّة الجوع يوم الأحزاب على الرغم من ثباته، وكانت تمر عليهم الأيام والليالي ولا يوقد في بيته نار، صلوات الله وسلامه عليه، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي.

كانوا فرسانًا بالنهار رهبانًا بالليل:

كانوا لربما أكلوا ورق الشجر الأيام الطوال، وكانوا إذا وجدوا أكلوا أكل الرجال، وإذا فقدوا صبروا صبر الرجال، وعلى الرغم من ذلك كانوا فرسانًا بالنهار رهبانًا بالليل، وعن عروة عن عائشة ﵂ أنها كانت تقول: «والله يا ابن أختي إنَّا كنَّا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في بيوت رسول الله ﷺ نارا» قال - أي عروة -: قلت: يا خالة - يقصد أم المؤمنين - فما كان يعيشكم؟ قالت: «الأسودان، التمر والماء» إلاَّ أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت له منائح، فكانوا يُرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه» [(١)].

البركة في المجهولات والمبهمات:

وعن عائشة ﵂ قالت: «توفي رسول الله ﷺ وما في رَفِّي من شيء يأكله ذو كبد إلاَّ شطر شعير في رقٍ لي فأكلتُ منه حتَّى طال عليَّ فكِلْتُهُ فَفني» [(٢)].

قال النووي - رحمه الله - في شرح هذا الحديث: «إنَّ البركة أكثر ما تكون في المجهولات والمبهمات، و أما الحديث الآخر «كيلوا طعامكم يُبارك لكم فيه» فقالوا:

(١، ٢) رواه مسلم.

المراد أن يكيله منه لأجل إخراج النفقة منه بشرط أن يبقى الباقي مجهولاً، ويكيل ما يُخرجه لئلاّ يخرج أكثر من الحاجة أو أقل » اهـ.

مظاهر قلَّة البركة:

لقد كثرت حساباتنا المادية وتعلقنا بالدرهم والدينار، ولم نلتفت إلاَّ للبروتينات والڤيتامينات، فكانت الطراوة والليونة والضعف الظاهر عند الرجال والنساء، فهل منَّا من يقوى على صعود مثل جبل حراء والمكث فيه الليالي ذوات العدد (على سبيل الافتراض، وإلاَّ فلا يجوز ذلك)؟ وهل منَّا من يقوى على السَّير أميالاً لملاقاة عدو، ويبكي إذا مُنع من ذلك؟ وهل منّا من يثبُت في مواجهة الأعداء مع ربطه الحجر على بطنه؟ وهل من نسائنا من تقدر وتقوى على الحمل والوضع مرات كثيرة، ولربما قامت الأم على خدمة أولادها في نفس يوم وضعها، أم أنَّ طاقتها لم تعد تحتمل إلا ولادة واحدة أو اثنتين أو ثلاثة، وتعتذر بالضعف الظاهر على الرغم من تناول البروتينات والڤيتامينات؟!.

البركة تتناقص من جيل إلى جيل:

فإذا انتقلنا إلى الأجيال التي أتت بعد ذلك لوجدنا أنَّ الأمة توارثت هذه البركة جيلاً بعد جيل، وإن خفّت حدّتها وصورتها من جيل إلى الذي بعده. انظر إلى علم الأئمة الأربعة وكيف انتشرت مذاهبهم، وبلغت الآفاق على الرغم من عدم وجود دوائر الاتصال الحديثة، وانظر كيف ألَّف العلماء المؤلفات العظيمة، وهل بمقدور أحدنا الآن أن يكتب مثلها في مثل هذا الزمن؟ إن الإجابة معلومة مسبقًا، لقد امتلأت أيامهم بالطاعات المتنوعة علمًا وتعليمًا وذكرا وتسبيحًا، وصلاة وقيامًا، جهادًا وتصنيفًا...

ماذا نقول عن حياة مباركة؟ أما نحن فنفتتح اليوم ونختمه بلا عمل يُذكر، وإن وُجد فلا يُقارن بما قرأناه في حياة هؤلاء الأعلام، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على قلَّة صلاحنا من جهة، وتقارب الزمان من جهة أخرى، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال

رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتّى يتقارب الزمان**» (١)، وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتَّى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة**» (٢).

المراد بتقارب الزمان:

قال يوسف بن عبد الله الوابل في كتاب «أشراط الساعة»: وللعلماء أقوال في المراد بتقارب الزمان، منها:

[١] أنّ المراد بذلك قلّة البركة في الزمان. قال ابن حجر: قد وجد في زماننا هذا فإننا نجد من سرعة مرّ الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا.

[٢] إنَّ المراد بذلك هو ما يكون في زمان المهدي وعيسى عليه السلام من استلذاذ الناس للعيش وتوفر الأمن، وغلبة العدل، وذلك أنَّ الناس يستقصرون أيام الرخاء وإن طالت، وتطول عليهم مدة الشدة وإن قصرت.

[٣] أن المراد تقارب أحوال أهله في قلة الدين حتَّى لا يكون منهم من يأمر بمعروف وينهى عن منكر؛ لغلبة الفسق وظهور أهله، وذلك عند ترك طلب العلم خاصة والرضى بالجهل؛ وذلك لأنَّ الناس لا يتساوون في العلم، فدرجات العلم تتفاوت كما قال تعالى: ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** (٧٦) ﴾ [يوسف: ٧٦]، وإنما يتساوون إذا كانوا جهالاً.

[٤] أنَّ المراد تقارب أهل الزمان بسبب توفر وسائل الاتصالات والمراكب الأرضية والجوية السريعة التي قرَّبت البعيد.

[٥] أن المراد بذلك هو قصر الزمان وسرعته سرعة حقيقية، وذلك في آخر الزمان، وهذا لم يقع إلى الآن، ويؤيد ذلك ما جاء أنَّ أيام الدجال تطول حتَّى يكون

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد والترمذي، وقال ابن كثير: إسناده على شرط مسلم.

اليوم كالسَّنة وكالشهر وكالجمعة في الطول، فكما أنَّ الأيام تطول فإنها تقصر، وذلك لاختلال نظام العالم وقرب زوال الدنيا.

كلام قيّم جداً لابن أبي حمزة:

قال ابن أبي حمزة: يُحتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان قصره على ما وقع في الحديث: «**لا تقوم الساعة حتَّى تكون السَّنة كالشهر**» وعلى هذا فالقصر يحتمل أن يكون حسيًا ويحتمل أن يكون معنويًا، أما الحسي: فلم يظهر بعد، ولعله من الأمور التي تكون قرب قيام الساعة. وأما المعنوي: فله مدة منذ ظهر، يعرف ذلك أهل العلم الديني ومن له فطنة من أهل السبب الدنيوي، فإنهم يجدون أنفسهم لا يقدر أحدهم أن يبلغ من العمل ما كانوا يعملونه قبل ذلك، ويشكون ذلك ولا يدرون العلّة فيه، ولعلَّ ذلك بسبب ما وقع من ضعف الإيمان لظهور الأمم المخالفة للشرع من عدَّة أوجه، وأشد ذلك الأقوات ففيها من الحرام المحض ومن الشبه ما لا يخفى، حتَّى إنَّ كثيراً من الناس لا يتوقف في شيء، ومهما قدر على تحصيل شيء هجم عليه ولا يبالي.

والواقع أن البركة في الزمان وفي الرزق وفي النبت إنما يكون من طريق قوَّة الإيمان واتباع الأمر واجتناب النهي، والشاهد لذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الأعراف: ٩٦].

البركة المنزوعة تُردُّ قرب قيام الساعة:

ولا سبيل لإنكار البركة شرعًا وواقعًا، فقد بيّن رسول الله ﷺ في أحاديث علامات الساعة كيف أن الدجال يخرج وينزل المسيح حتَّى يُدركه بباب لُدّ (وهو بفلسطين) فيقتله، ثم يخرج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيهلكهم ربنا جلَّ وعلا، ببركة دعاء المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ثم يرسل الله مطرًا لا يُكِنُّ منه بيت مدر ولا وبر فيغسلُ الأرض حتَّى يتركها كالزلقة، ثم يُقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة [1] من الرمانة،

(١) العصابة: الجماعة.

ويستظلون بقحفها [١] ، ويُبارك في الرسل [٢] حتَّى أنَّ اللقحة [٣] من الإبل لتكفي الفئام [٤] من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ [٥] من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون [٦] فيها تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة» [٧] وواضح من الحديث أنَّ البركة المنزوعة تُرد إلى الأشياء قرب قيام الساعة.

البركة من الله وسببها الطاعة:

وقد وردت الآيات تُبيّن أنَّ البركة من الله، وأنه سبحانه بارك في بعض مخلوقاته، وأنها لا تُطلب إلاَّ بطاعته، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦)**﴾ [آل عمران: ٩٦] ، وقال: ﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩)**﴾ [ق: ٩] وقال عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ**﴾ [القصص: ٣٠] وقال عن نبيه عيسى عليه السلام: ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ**﴾ [مريم: ٣٠] ، وقال سبحانه: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا**﴾ [فُصلت: ١٠] .

وقال جلَّ وعلا عن بني إسرائيل لما استقاموا: ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾ [الأعراف: ١٣٧] وقال عن نبيه ﷺ: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**﴾ [الإسراء: ١] ، وقال عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿**تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾ [الأنبياء: ٨١] .

وفي معرض الثناء على نفسه سبحانه يقول: ﴿**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾ [الأعراف:

---

(١) قحفها: قشرتها الفارغة.
(٢) الرسل: اللبن.
(٣) اللقحة: التي تدرُّ اللبن.
(٤) الفئام: الجماعة.
(٥) الفخذ: دون القبيلة.
(٦) يجامع الرجال النساء علانية مثل الحمير.
(٧) رواه مسلم.

٥٤]، وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ①﴾ [الفرقان: ١] وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢].

ووصف كتابه فقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ①٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥] وقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ⑤٠﴾ [الأنبياء: ٥٠]، والآيات في ذلك كثيرة.

تعطّلت المصالح والمنافع في ظل الطغيان المادي:

فالواجب علينا أن ننتبه، وإلاَّ فقد تعطّلت كثير من المنافع والمصالح والخيرات بسبب الطغيان المادي المعاصر، وتعلق الإنسان بحوله وطوله وذكائه.. ونسيانه ربه وطاعته سبحانه، والتي هي من أعظم أسباب السعادة وحصول الرزق، ومن ذلك ما ورد عن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يرد القضاء إلاَّ الدعاء، ولا يزيد في العمر إلاَّ البر**».

وقد أورد الغُماري عدة روايات في هذا المعنى تحت عنوان «باب من برَّ والديه زاد الله في عمره» ثم قال: قد تُسْتَشْكل هذه الأحاديث مع ما تقرر من أنَّ الآجال مُقدّرة لا تزيد ولا تنقص: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ⑥١﴾ [النحل: ٦١].

كيف نُفسر زيادة العمر والرزق؟

قد أجاب العلماء عن هذه بأجوبة:

الأول: أنَّ الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وأما الأول الذي دلَّت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى كأنه يُقال للملك مثلاً: إنَّ عمر فلان مثلاً مئة إنْ برَّ والديه، وستون إن عقهما، وقد سبق في علم الله أن يبرّ أو يعق.

فالذي في علم الله لا يتقدّم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يُمكن فيه الزيادة والنقصان وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ③٩﴾ [الرعد: ٣٩]، فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم

الكتاب هو الذي في علم الله تعالى، فلا محو فيه البتة، ويُقال له: القضاء المبرم، ويُقال للآخر: القضاء المعلق.

الثاني: أنَّ المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت. حكاه القاضي عياض في «الإكمال» وضعفه النووي في «المنهاج»، ونحوه للطيبي في «شرح المشكاة» فإنه قال بعد كلام له: ويجوز أن يكون المعنى أنَّ الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلاً، فلا يضمحل سريعًا كما يضمحل أثر قاطع الرحم، ومن هذه قول الخليل عليه السلام: ﴿ **وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ** ﴿٨٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٤].

الثالث: ما أخرجه الطبراني في «الصغير» بسند ضعيف عن أبي الدرداء، قال: ذكر رسول الله ﷺ: «**من وصل رحمه أُنسئ له في أجله**» فقال: إنه ليس زيادة في عمره، قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ** ﴾ لكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده. وعنده في «الكبير» من حديث أبي مشجعة الجهني: إنَّ الله لا يُؤخر نفسًا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر ذرية صالحة.

الرابع: أنَّ المراد نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله، وبه جزم ابن فورك، وقال غيره: نفي الآفات عنه في جميع شئونه.

الخامس: أنَّ الزيادة في الأوقات المعدودة لا في الأنفاس المحدودة، ذكره المناوي في «التيسير».

السادس: وهو الذي ارتضاه الجمّ الغفير وصحّحه النّووي، أنَّ الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته مما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك.

قال الحافظ: ومثل هذا ما جاء أنَّ النَّبي ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر، وحاصله أنَّ البر يكون سببًا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية، فيبقى به الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، ومن جملة ما يجعل له من التوفيق: العلم الذي ينفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح. اهـ.

قال الغماري: «الأول من هذه الأقوال هو الأحق بالقبول لما فيه من إبقاء النصوص الشرعية على ظواهرها وعدم تأويلها، وقد ورد ما يدل على أنَّ المراد بالزيادة حقيقتها مما لا يحتمل تأويلاً، ولا يقبل دخيلاً؛ فعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال: «**إني رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه، فردَّ ملك الموت عنه**» (١) اهـ.

الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة:

إن طاعة الله وبرّ الوالدين سبب حلول النماء والزيادة والبركات، والمعصية بضد ذلك، وفي الحديث: «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة**» (٢) ، وكثرة الحلف قد تكون سببًا من أسباب التغرير، ويترتب عليه قلَّة التعظيم لله، وعند مسلم: «**إياكم وكثرة الحلف في البيع؛ فإنه يُنفق ثم يمحق**» لا ينبغي أن ننسى السنن، وأن ندور مع إسلامنا حيث دار بعيداً عن هذا الطغيان الجارف، وأنْ نعلم أنَّ الزيادة والنماء وحلول البركة في الأرزاق والأعمار، وسائر الأشياء من أعظم أسبابها استقامة الحال والدعاء.

أدعية نافعة لحصول البركة:

وقد وردت أدعية كثيرة تحمل هذا المعنى، فاحرص عليها ففيها الخير الكثير، ومنها: «**أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم: فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه، وأعوذ بك من شر ما فيه، وشر ما قبله وشر ما بعده**» ، ويقول بين ظهراني وضوئه: «**اللهم اغفر لي ذنبي، ووسّع لي في داري، وبارك لي في رزقي**» ، وفي دعاء الاستخارة يقول: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علاَّم الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أنَّ هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسّره لي، ثم بارك لي فيه، اللهم إن كنت تعلم**

---

(١) رواه أبو موسى المديني في الترغيب، وقال: هذا حديث حسن جداً.

(٢) رواه البخاري وغيره.

أنَّ هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخيرَ حيث كان، ثم رضّني به» .

وإذا أدَّى مالاً كان اقترضه قال: «بارك الله لك في أهلك ومالك»، وإذا أُتيَ بباكورة الثمر وضعها على عينيه، ثم على شفتيه، وقال: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنا، بركة مع بركة»، وإذا رأى من أخيه ما يُعجبه قال: «اللهم بارك فيه» وإذا رأى من نفسه أو ولده أو ماله أو غير ذلك شيئًا فأعجبه، وخاف أن يُصيبه بعينه، أو يتضرر بذلك قال: «اللهم بارك فيه ولا تضره» .

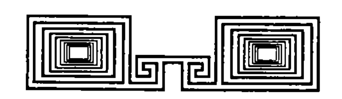
وإذا أكل عند قوم وفرغ، فليدعُ لهم: «اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم»، وإذا شرب لبنًا قال: «اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه» وإذا فرغ من طعامه قال: «اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه» .

ويُقال للزوج عقب عقد النكاح: «بارك الله لك وبارك عليك، وجمع بينكما في خير» وتقول النساء الحاضرات: «على الخير والبركة وعلى خير طائر» .

وفي الحديث: «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى في الصلاة علينا أهل البيت، فليقل: اللهم صلِّ على محمد النَّبيّ، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته، وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد» وفي دعاء القنوت الذي علَّمَه النَّبيُّ ﷺ لسبْطِهِ الحسن: «وبارك لي فيما أعطيت»... آمين.

بعض ما يجوز وما لا يجوز من التبرك:

ولا يجوز طلب المدد والبركة من المقبورين، كما لا يجوز التبرك بالأشجار والأحجار إلاَّ الحجر الأسود، وقد وردت وتواترت الأخبار بجواز التبرك بآثار رسول الله ﷺ .



الاستخفاف بمعاني الصبر والاستضعاف

بعض أهل التهور والاندفاع ممن تلوث باللوثة المادية، إذا سمع من يعظ ويُذكِّر بوجوب الصبر، وكيف وصلنا إلى حالة من حالات الاستضعاف، يحكيها الواقع الذي يعيشه المسلمون، يستهجن ويستخف بالكلمات، ويراها إضاعة للوقت، كيف وعضلاته مفتولة وجوارحه قويّة، وهكذا تجاهل البعض السُّنن الشرعية والكونية أمام حسابات الجوارح والعضلات، فكانت النكبات، وكانت الجحور التى أبى البعض إلاَّ أن يُلدغ منها ليس فقط مرة بل ألف مرة.

نسينا أموراً عظيمة:

إنَّ هذا الفريق نسي معاني عظيمة ذكرها سبحانه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ، يقول تعالى: ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ** (١٣٧) ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وهذا هو المذكور في قوله سبحانه: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** (٢٤) ﴾ [السجدة: ٢٤]، وهو أيضاً المذكور في قوله جلَّ وعلا: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (٥) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ** (٦) ﴾ [القصص: ٥، ٦].

ويقول العلماء: لما أخذوا برأس الأمر (أي بالصبر واليقين) جعلهم ربنا أئمة.

الآيات تأمر النَّبيّ ﷺ بالصبر:

وانظروا إلى السورة التي بها أُرسل صلوات الله وسلامه عليه، يقول سبحانه فيها مُخاطبًا نبيّه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** (١) **قُمْ فَأَنذِرْ** (٢) **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** (٣) **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** (٤)

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ ﴾ [المدثر: ١ – ٩]، ويقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ۝٧ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ۝٨ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ۝٩ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ۝١٠ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ۝١١ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ۝١٤ ﴾ [المزمل: ١– ١٤].

وقد تشابه الأمر بالصبر هنا مع الأمر بالصبر هناك، وأعقب ذكره بخبر القيامة: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾، ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾ من صبر فما أقل ما يصبر، ومن جزع فما أقل ما يتمتع، فهي لحظات معدودات سرعان ما تُسلم الإنسان لحياة أخروية.

الصبر من أعظم أسباب النصر:

وقد سأل عمر أشياخ بني عبس: بمَ كنتم تنتصرون على عدوكم؟ فقالوا: «ما لقينا عدواً إلاَّ صبرنا لهم كما صبروا لنا»؛ فالصبر من عدة النصر وأسبابه، ولذلك قال النَّبيُّ ﷺ: «**وأنَّ النصر مع الصبر**»، ولذلك ورد الأمر به والثناء على أهله في أكثر من موضع من كتاب الله تعالى.

الثناء على الصابرين:

يقول سبحانه: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ ﴾ [الطور: ٤٨] وقال: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝٤٨ ﴾ [القلم: ٤٨]، وقال: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ ﴾ [فصلت: ٣٥] وقال: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ ﴾ [الرعد: ٢٢]، وقال: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وأثنى على رسله بقوله: ﴿ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [الأنعام: ٣٤] . وبشَّر الصابرين بقوله: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧] .

والمؤمن إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾ [الزمر: ١٠] وقال: ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

وخصَّ في الانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر تمييزاً لهم بهذا الحظ الموفور، فقال في أربع آيات من كتابه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) ﴾ [إبراهيم: ٥]، وقال عز وجل: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) ﴾ [المؤمنون: ١١١] . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**من يتصبَّر يُصبره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**» [١] والإيمان نصفه صبر ونصفه شكر.

ولكنكم تستعجلون!!

وكان النَّبيُّ ﷺ يمر بعمار وسُميّة وياسر، وهم يُعذَّبون ويقول: «**صبراً آل ياسر؛ فإنَّ موعدكم الجنة**» ولما أتاه خباب بن الأرت يقول له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟! -- وكان ممن يُعذّب - ولم يزد النَّبي ﷺ على أن بيّن له السّنن وقال له: «**قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليُتمنّ الله هذا الأمر حتّى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلاَّ الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**».

---

(١) رواه البخاري.

فالعجلة هي هي، وكأنَّ هؤلاء المعاصرين لم يأخذوا درسًا من قصَّة موسى مع فرعون؛ فقد التقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحَزَنًا، وتربَّى موسى على سرير فرعون، وأكل من طعامه، ثم كان هلاكه على يده، بعد أن علا في الأرض واستكبر هو وجنوده بغير الحق.

سوء الفهم يُضاف إلى الطغيان المادي:

وقد ازداد الطين بلة عند هذا الفريق لما قرأ آيات الصبر منسوخة، فانضاف سوء الفهم إلى الطغيان المادي الجارف الذي يعوّل على الجوارح والعضلات، وكانت النتيجة أن أهدرت هذه المعاني الجميلة التي تتعلق بمعنى الصبر وأثره، وقد نسى هؤلاء أنَّ الواقع هو الذي يُحدد أي الأحكام هو الأنسب في مراحل الجهاد، وأنَّ التطبيق إنما يكون بحسب الظروف الموجودة، فلابدَّ من النظر بعين الاعتبار لحالة المسلمين وما هم عليه من ضعف أو قوة وإلاَّ فكيف يكون الجهاد واجبًا على الناس وهم غير قادرين ولا مستطيعين؟!!.

الواجب على من كان مستضعفًا:

يقول ابن تيمية - رحمه الله - : «فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف، فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة: فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتَّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون».

حد العجز والاستضعاف:

وقد تكلم العلماء على حد الاستطاعة وحد العجز والاستضعاف، فقال ابن جُزي الغرناطي المالكي: «لا يجوز الانصراف من صف القتال إن كان فيه انكسار للمسلمين، وإن لم يكن فيجوز لمتحرف لقتال أو متحيز إلى فئة. والتحرف للقتال هو

أن يظهر الفرار وهو يريد الرجوع مكيدة في الحرب، والتحيز إلى الجماعة الحاضرة جائز، واختلف في التحيز إلى جماعة غائبة من المسلمين أو مدينة.

ولا يجوز الانهزام إلاَّ إذا زاد الكفار على ضعف المسلمين، والمعتبر العدد في ذلك على المشهور، وقيل: القوة، وقيل: إذا بلغ عدد المسلمين اثنى عشر ألفًا لم يحل الانهزام، ولو زاد الكفار على الضِّعْف، وإن علم المسلمون أنهم مقتولون، فالانصراف أولى، وإن علموا مع ذلك أنهم لا تأثير لهم في نكاية العدو وجب الفرار. وقال أبو المعالي: «لا خلاف في ذلك».

إشكال ودفعه:

وقد يُشْكَل على ذلك قوله سبحانه: ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وفيها تحريض على القتال، واستشعار للصبر واقتداء بمن صدق ربه.

قال القرطبي: «هكذا يجب علينا نحن أن نفعل، لكن الأعمال القبيحة والنيَّات الفاسدة منعت من ذلك حتَّى ينكسر العدد الكبير قُدَّام اليسير من العدو كما شاهدناه غير مرة وذلك بما كسبت أيدينا».

وفي البخاري: وقال أبو الدرداء: «إنما تقاتلون بأعمالكم» وفيه مُسندًا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**هل تُرزقون وتُنصرون إلاَّ بضعفائكم**».

فالأعمال فاسدة والضعفاء مُهملون والصبر قليل، والاعتماد ضعيف، والتقوى زائلة، قال الله تعالى: ﴿ **اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (٢٠٠) ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا** ﴾ [المائدة: ٣٢]، وقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** (١٢٨) ﴾ [النحل: ١٢٨] وقال: ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ** ﴾ [الحج: ٤٠] وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (٤٥) ﴾ [الأنفال: ٤٠].

فهذه أسباب النصر وشروطه وهي معدومة عندنا غير موجودة فينا، فإنَّا لله وإنَّا إليه

راجعون على ما أصابنا وحلَّ بنا!، بل لم يبقَ من الإسلام إلاَّ ذكره، ولا من الدين إلاَّ رسمه لظهور الفساد ولكثرة الطغيان، وقلَّة الرشاد حتَّى استولى العدو شرقًا وغربًا برًا وبحرًا، وعمَّت الفتن وعظُمت المحن ولا عاصم من أمر الله إلاَّ من رحم». اهـ.

دفع مال للكفار عند ضعف المسلمين :

وقد تكلم العلماء في دفع مال للكفار عند ضعف المسلمين، وإذا خيف استئصالهم، كما يجوز فداء الأسير بالمال، فدفع صغار أعظم منه وهو القتل والأسر وسبي الذرية الذي يُفضي سبيهم إلى كفرهم يكون من باب أولى وأحرى (١) .

وحديثنا هذا إنما هو تقرير للواقع وحكمه، وليس فرحًا بما قد يصل إليه الحال هنا أو هناك في هذا الوقت أو غيره، كما أنه ليس مُبررًا نُعلق عليه تكاسلنا وتخاذلنا في الأخذ بالأسباب والعمل على إظهار أمر ربنا: ﴿ **وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③** ﴾ [العصر]، فالمسلم طوع إشارة ورهين أمر، ومن شأنه أن يُعظم حرمات الله ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ㉜** ﴾ [الحج: ٣٢] ويعلم أنَّ الله لايضيع أهله، بل من ظنَّ أنَّ الله يضيع أولياءه، فقد ظنَّ ظن السوء برب العزة جل وعلا.

تجفيف منابع الإسلام:

ولسنا ممن يجهل حجم المخططات التي يعمل بها الأعداء في الداخل والخارج لإماتة هذه الأمة، ولا ما يُنادي به البعض من تجفيف منابع الإسلام في الإعلام والتعليم وشتَّى نواحي الحياة وهذا الإظلام الذي يُطلق عليه ظُلمًا وزورًا اسم التنوير، ونعلم كيف تتعاون الاستخبارات الأوروبية والأمريكية لمواجهة المسلمين، ولا يخفى على أحد أفعال اليهود لتخريب الاقتصاد وتعكير الأمن؛ لإلصاق التهمة بالمسلمين، ولا ننسى ما يحدث للمسلمين في البوسنة وفلسطين وروسيا والصومال والهند وبورما

(١) راجع كتاب «تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد» (ص ٢٣ – ٣١).

وكشمير، وهنا وهناك، ونرى أن ذلك كله يتطلب صبراً كبيراً، لا جُبْنَ فيه، ولا خور معه، ولا يأس ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف : ٨٧] .

كيف تكون المواجهة؟

لابدَّ من الإعداد الإيماني لمواجهة الكربات والمصائب، مع الاحتساب والاسترجاع ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤] لابد من تجديد معاني التوكل وعلو الهمة والحياء من الله، وأن يعترينا الخجل عندما نرى من تُسمى « بالأم تريزا » تنتقل بدعوتها التبشيرية من حي الزبالين بمصر إلى العراق في أعقاب حرب الخليج ، فهل نبذل لدعوتنا نصف ساعة، أو ربع ساعة، ونكون بذلك قد أدَّينا مهمتنا؟!.

سلفية الفكر عصرية المواجهة، وخطأ من ينادي بذلك:

ولسنا في حاجة للتغيير أو التبديل أو رفع شعار « سلفية الفكر عصرية المواجهة » بل لابد من تخطئة هذه العصرية المزعومة؛ فلن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلُح به أولها، وهذا المنهج الذي ندين به، وهو منهج الرجوع للكتاب والسُّنَّة بفهم سلفنا الصالح، ومن تابعهم بإحسان ليس بقاصر، بل هو منهج التقدم لا الرجوع للوراء، ولكن التقدم فيما يقبل التقدم كبناء المصانع والمدارس والمستشفيات والأخذ بأسباب القوة كائنة ما كانت دون التفريط في طاعة الله ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] فالتطور والتحضر والتقدم إنما يكون مع استمساكنا بكل ما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ .

هذا المنهج شامل لكل ناحية من نواحي الحياة، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو اجتماعية أو أخلاقية، شامل للحرب وللسلم، للمسجد والسوق، والجسد والروح، والفرد والجماعة، كما أنه منهج الأصالة لا التقليد، وليس معنى

أخذنا للعلوم النافعة ممن أفلح فيها أن نُفرط في معنى من معاني الهداية والدين، فلا خير في دنيا خلت من معاني الإيمان والدين.

أينقص الإسلام وأنا حي؟!

حسبنا إن رأينا مذلة ومهانة، وكانت حياة الاستضعاف، وقال البعض: ردة ولا أبا بكر لها، أن يكون قولنا جميعًا ما قاله أبو بكر: «أينقص الإسلام وأنا حي؟!» وننهض على ساق عزمنا متأسين بالأنبياء والمرسلين في علوِّ همَّتهم مُقدّرين حجم الغربة ومدى انحراف التصورات والأفكار والمعتقدات، وأننا نأوي إلى ركن شديد؛ فهو سبحانه الذي نَصَرَ عبده، وأعزَّ جندَه، وهزم الأحزاب وحده.

مُبشرات:

وقد رأينا كيف دُمِّر الاتحاد السوفيتي، وكان الجهاد الأفغاني - على قلَّة عدده وعتاده - بمثابة أول مسمار في نعش الشيوعية العالمية، وبإذن الله يتم تدمير أوربا وأمريكا بظلمهم، إن لم يعودوا إلى ربهم، فهم في قبضته سبحانه، وانظروا إلى فعل فيضان المسيسبي، والرياح التي تهب على أمريكا فتُتلف المليارات وتُدمر المدن، ولا يستطيعون لها دفعًا، كما حدث في إعصار أندرو.

وقد قرأنا وطالعنا كيف انتصر المسلمون يوم الأحزاب بأمور لم تكن في حسبانهم، وهي الريح والملائكة، وقد نصرهم الله قبل ذلك ببدر على قلَّة عددهم ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)** ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وأخبر النَّبيُّ ﷺ عن فتح مدينة جانب منها في البر، وجانب منها في البحر، وذلك بالتكبير، وذكر النووي أنَّ هذه المدينة هي القسطنطينية.

سلاح الإيمان أمضى من كل سلاح:

قصَّ النَّبيُّ ﷺ على أمته قصَّة الدجال، وبيَّن أنه سيمكث أربعين يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وسائر أيامه كأيامكم، وكيف أنه خارج خلة (١)

---

(١) طريق بينهما.

بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالاً ، وأُمرنا أن نقرأ عليه فواتح سورة الكهف، ولما قال الصحابة له: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟، قال: «**أقدروا له قدره**» وأمر أُمَّته فقال: «**يا عباد الله فاثبتوا**» .

كما وضَّح لأمته كيف يُهلك ربنا يأجوج ومأجوج ببركة دعاء المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ثم يدعو عليهم مرة ثانية فيُرسل اللهُ مطرًا يجرفهم إلى البحر بعد أن تجوى [١] الأرض من نتن ريحهم، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة عند مسلم وغيره، فهل يليق بنا بعد ذلك أن نستهين بالمعاني الإيمانية كالصبر والتوكل والدعاء والصلاة، وهل النصر لا يتم إلاَّ بسلاح وعتاد؟! وحتَّى لو كان الأمر كذلك - جدلاً - فماذا يفعل العباد حال استضعافهم، ولا مقدرة عندهم على امتلاك السلاح والعتاد؟! وهل تستبعدون أن ينصرهم ربنا عز وجل على الرغم من استضعافهم، إن ارتبتم فراجعوا ما ذكرناه أو راجعوا إيمانك.

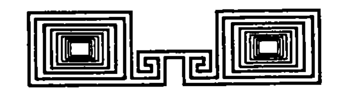
حققوا ما أمركم يُنجز لكم ما وعدكم :

إنَّ وعد الله لا يتخلف عن عباده ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** ﴾ [غافر: ٥٥] فإن حققنا ما أمرنا سبحانه به من الصبر والاستغفار، أنجز لنا وعده الحق، حتَّى وإن كنَّا مستضعفين في الأرض، وقال سبحانه: ﴿ **وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا** ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، فمع الصبر والتقوى لا يضرنا كيدُ العدو، وإن كان ذا تسليط، فالتعرف على العوائق الخارجية لا ينبغي أن يشغلنا عن عوائق النفس وإقامتها على معاني الإيمان، وإلاَّ فالناس كالإبل المئة لا تكاد تجد فيها راحلة [٢] ﴿ **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ** ﴾ [هود: ٨٨] ، ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف: ٥٣]، وقد حذرنا سبحانه فقال: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٩].

---

(١) تمتلئ برائحتهم.
(٢) قد كثر الناس، ولكنها كثرة كغثاء السيل، لا نفع فيها إلاَّ قليل كقلة الناقة الجيدة بين الإبل.

ونحن لو فتشنا في أنفسنا لوجدنا الكثير مما يُخالف شرع الله، وأقل القليل من المعاصي كافٍ في استمطار البلاء، وتسلط الأعداء، وتأخير النصر والتمكين ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠)﴾ [الشورى: ٣٠] فلنتهم أنفسنا؛ فهي حَرِيَّة بكل شر وسوء.



أفراح أم أحزان؟

لقد ضبط هذا الدين لأهله مشاعرهم وأحاسيسهم، متى يفرحون، ومتى يحزنون، بل وكيف يظهرون فرحتهم وحزنهم، فليس هو دين الكآبة والحزن، وليس لهم أن يتفلتوا من أوامر ربهم بزعم استدخال السرور على نفوسهم ونفوس الآخرين، كما يصنعون في مناسبات الزواج وغيرها ويُسمّون ذلك فرحًا.

مخالفات شرعية تحدث في الفرح:

وفيه تختلط النساء بالرجال، وتُشرب الخمور والمخدرات والدخان، وترقص النساء، ويُغني الرجال، ويُعزف بالمعازف، وتتعرى النساء، ويكشفن عن عوراتهن، هذا بالإضافة لمصافحة الرجال للنساء الأجنبيات، وإلباس الرجل لمخطوبته الشبكة ودبلة الخطوبة، وقيامهما بالرقص أمام المدعوين أحيانًا، وقيام الناس بالتصفيق والصفير، وفي مثل هذه المناسبات تُستأجر المسارح والفنادق وفرق الرقص والغناء، وتُقام الزينات، وتذهب العروس إلى حلاق السيدات «الكوافير» لتزيينها وتصفيف شعرها... كل هذا يحدث في يوم واحد نبدأ به زواجنا، ونُطلق عليه اسم الفرح.

كيف نفرح بمعصية الله؟!!.

كان الواجب علينا أن نحزن لأقل القليل مما يقع، فكيف إذا انضاف واجتمع وأصبح نمطًا وسلوكًا عند الأعم الأغلب من الناس، لا يستطيعون تركه أو الخلاص منه، وترى طائفة من هؤلاء أن مثل هذا الفجور يُغتفر لهم ويُعفى عنه في مثل هذه المناسبات، وإن لزم الأمر توبة، فهم سيواقعونه، ثم يتوبون منه بعد فعله!! أليست هذه صورة من صور الطغيان المادي المعاصر الذي أنسانا ربنا وديننا وأنفسنا؟! أوليست هذه أحزانًا من باب تسمية الأشياء باسمها؟، وإلاَّ فكيف نفرح بالمعصية وكيف تظهر فرحتنا بالفسق والفجور، ومُبارزة الله بالحرب؟ قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ**

فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

صور من الفرح المذموم:

ذكر سبحانه صوراً من الفرح المذموم أدّى بأصحابه لمخالفة أمره جلَّ وعلا فقال: ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ (٢٦) ﴾ [الرعد: ٢٦] وقال: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ [غافر: ٨٣].

وقال سبحانه عن قارون: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) ﴾ [القصص: ٧٦]، وقال سبحانه: ﴿ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [غافر: ٧٥]، وقال عن المنافقين في انصرافهم عن الجهاد: ﴿ وَيَتَوَلَّوْا وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) ﴾ [التوبة: ٥٠] وقال: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، وقال عن التفرق المذموم: ﴿ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) ﴾ [الروم: ٣٢]، وقال أيضاً عن المنافقين: ﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال: ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، وقال مُصوراً حالة الإنسان إذا انقشع البلاء عنه: ﴿ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) ﴾ [هود: ١٠].

ندور مع إسلامنا حيث دار:

إنَّ المسلم الحق هو الذي يفرح بطاعة الله ويحزن بمعصيته، ويُحب المطيعين، ويُبغض العاصين ويتباعد بنفسه عن أماكن اللهو والفسق، ويحرص على رضى ربه، حتَّى وإن سخطت عليه الناس، ويدور مع إسلامه حيث دار، فلا يُحب إلاَّ ما يحبه الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) ﴾ [يونس: ٥٨] وقال عن الشهداء: ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [آل عمران:

١٧٠] وقال: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤، ٥]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦].

نحن كذلك لا نحبّ الكآبة:

كان النبيُّ ﷺ ألين الناس، ضحّاكًا بسَّامًا، هاشًا باشًا، يتعوذ بالله من الهمِّ والحزن، ويُعلم أمته أن تقول في دعائها: «**اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همِّي**»، وقد أمر النَّبيُّ ﷺ أُمَّته بكل ما يحقق فرحها الحقيقي في الدنيا والآخرة، ونهاها عن كل ما من شأنه أن يستدخل عليها حزنًا حقيقيًا أيضًا في الدنيا والآخرة.

الشرع يحض على حجاب المرأة وعدم اختلاطها بالرجال:

فقد أمر المرأة بالصيانة والتحفظ والتحجب والتستر والتباعد عن أماكن الرجال؛ فالمرأة مأمورة بتغطية جسدها حتَّى قدمها، وفي الحديث: «**المرأة عورة**» ولما قيل له: فكيف تصنع النساء بذيولهن؟. قال: «**يرخينه شبرًا**» قيل: إذًا تكشف سوقهن. قال: «**يُرخينه ذراعًا لا يزدن عليه**».

وهي تطوف حول الكعبة خلف صفوف الرجال، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، وفي الحديث: «**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها**»، وقد نهاها الشرع عن الخضوع بقولها أو الضرب برجلها إظهارًا لزينتها فقال سبحانه: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقال: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

ولا يجوز أن تسافر سفرًا اصطلح عليه عرفًا وصف سفر إلاَّ مع زوج أو محرم، وقد

أمرت بستر زينتها عن الرجال الأجانب ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ** ﴾ [النور: ٣١] ولا يحل للرجل أن يُصافح المرأة الأجنبية، ففي الحديث: «**لأن يُطعن أحدكم في رأسه بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأة لا تحل له**» وقد ذكرت أم المؤمنين أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يُبايع النساء إلاَّ كلامًا، وما مسَّت يده يد امرأة.

حرمة تعاطي المخدرات والدخان:

ولا يحل تعاطي المخدرات، والهيروين أضر من الحشيش، وكلاهما أشرّ من الخمر، وقد علمتم كيف لعن في الخمر عشرة ﴿ **فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** (٩١) ﴾ [المائدة: ٩١]، بل الدخان - أيضًا - من جملة الخبائث المحرمة، وهو ضار بالصحة، وقد كتبتْ عليه شركات إنتاجه «ضار جداً بالصحة» وفي الحديث: «**لا ضرر ولا ضرار**».

النهي عن التَّصفيق والصَّفير:

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً** ﴾ [الأنفال: ٣٥] قيل أي تصفيقًا وصفيراً، والإنسان إذا نابه شيء في صلاته تُصفق النساء ويسبح الرجال، وتصفيق النساء يكون بأن تضرب بباطن كفها على ظهر كفها الثانية، وقد حذَّر سبحانه فقال: ﴿ **وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً** (٣٧) ﴾ [الإسراء: ٣٧] فلا يجوز للرجل أن يرقص، وقد حذَّر الشرع من مشية الاختيال إلاَّ في الحرب.

صور التبذير والسفه في أفراحهم:

لا يجوز التبذير والسفه والسرف ﴿ **وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا** (٢٦) **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ** ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧] فإنه يُحجر على الإنسان في نفقة الدرهم في حرام حتَّى وإن كان غنيًا.

عن أبي أُمامة عن رسول الله ﷺ قال: «**إن إبليس لما أُنزل إلى الأرض قال: يا**

رب، أنزلتني إلى الأرض، وجعلتني رجيماً، فاجعل لي بيتاً. قال: الحمام. قال: فاجعل لي مجلساً. قال: الأسواق، ومجامع الطرق. قال: فاجعل لي طعاماً. قال: كل ما لم يُذكر اسم الله عليه. قال: فاجعل لي شراباً. قال: كل مسكر. قال: فاجعل لي مؤذناً. قال: المزمار. قال: اجعل لي قرآناً. قال: الشعر. قال: اجعل لي كتاباً. قال: الوشم. قال: اجعل لي حديثاً. قال: الكذب. قال: اجعل لي رسلاً. قال: الكهنة. قال: اجعل لي مصائداً. قال: النساء».

الإمام ابن القيم - رحمه الله - وكلام قيّم يتعلق بالأفراح:

قال الإمام ابن القيم: وشواهد هذا الأثر كثيرة، فكل جملة منه لها شاهد من السُّنَّة أو من القرآن، ثم قال: وكون المزمار مؤذنه في غاية المناسبة فإنَّ الغناء قرآنه والرقص والتصفيق اللذين هما المكاء والتصدية صلاته، فلابد لهذه الصلاة من مؤذن وإمام ومأموم، فالمؤذن الزمار، والإمام المغني، والمأموم الحاضرون.

وروى الترمذي عن جابر ﷺ قال: «خرج النَّبيّ ﷺ مع عبد الرحمن بن عوف إلى النخل، فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه، فوضعه في حجره، ففاضت عيناه، فقال عبد الرحمن: تبكي وأنت تنهى الناس؟! فقال: «**إني لم أنهَ عن البكاء، وإنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة وخمش وجوه وشق جيوب ورنة، وهذا هو رحمة** (أي البكاء) **ومن لا يرحم لا يُرحم، لولا أنه أمر حق ووعد صدق، وأنَّ آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك أشد من هذا، وإنا بك لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب**».

أقوال العلماء في تحريم الغناء:

حكى أبو عمرو بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع الذي جمع الدف والشبابة، فقال في فتاويه: وأما إباحة هذا السماع، وتحليله، فليعلم أنَّ الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاجتماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء

المسلمين، ولم يثبت عن أحد ممن يُعتد بقوله في الإجماع والخلاف أنه أباح هذا السماع.. إلى أن قال: «مع أنه ليس كل خلاف يستروح إليه ويعتمد عليه، ومن يتبع ما اختلف فيه العلماء أو يأخذ بالرخص من أقاويلهم تزندق أو كاد» اهـ.

وقد حكم الأكثرون من العلماء بخطر وحرمة الغناء؛ لأنه ينبت النفاق في القلب، قال عبد الله بن الإمام أحمد: سألت أبي عن الغناء فقال: يُنبت النفاق في القلب، وقال: لا يُعجبني، ثم ذكر قول الإمام مالك - رحمه الله - : إنما يفعله عندنا الفساق. قال عبد الله: وسمعت أبي يقول: سمعت يحيى القطان يقول: لو أنَّ رجلاً عمل بكل رخصة، بقول أهل الكوفة في النبيذ، وقول أهل المدينة في السماع، وأهل مكة في المتعة لكان فاسقًا. وقال سليمان التيمي: لو أخذت برخصة كل عالم وزلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله.

قال ابن القيم - رحمه الله - في «إغاثة اللهفان»: «قد تواتر عن الإمام الشافعي - رحمه الله - أنه قال: خلفت ببغداد شيئًا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن، فإذا كان هذا قول الشافعي في التغبير، وتعليله له أنه يصد عن القرآن وهو شعر مزهد في الدنيا، يُغني به مغنٍ، ويضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطع أو حجرة على توقيع غناه، فليت شعري ما يقول في سماع التغبير عندنا [1]، كتفلة في بحر قد اشتمل على كل مفسدة وجمع كل محرم، فالله بين دينه وبين كل متعلم مفتون وعابد جاهل.

قال سفيان بن عيينة - رحمه الله - : كان يقال: احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل، فإنَّ فتنتهما فتنة لكل مفتون» اهـ.

القانون المصري حتَّى (١٩٣٨م) يرد شهادة المغني والممثل:

وإذا كان هذا هو قول الإمام ابن القيم عن الغناء في عصره وأنه قد اشتمل على كل مفسدة وجمع كل محرم، فماذا كان يقول عن الغناء الفاحش الماجن وكلمات

(١) بالمقارنة لما وجد في عصر ابن القيم من المعازف، ونقول نحن: فكيف لو رأى ما في زماننا؟!!!.

العشق والهيام التي تنبعث من المخانيث أشباه الرجال، ولا رجال الذين يُطلق عليهم وصف المغنيين والمطربين والفنانين، كما تنبعث من متهتكات فاجرات على أعين الملأ، وبمصاحبة الموسيقى الصاخبة التي تشبب [١] النفوس وتدعو لمواقعة الفواحش وتهيج الكوامن، ووسط اختلاط مريب، وردوا شهادة المغني وفسقوه وأطلقوا على المغنين وصف المخانيث، بل كان القانون المصري حتَّى سنة (١٩٣٨م) يرد شهادة المغني والممثل، ثم تبدل الحال وتغير!!.

أين هذا الفحش من غناء الجاريتين وإنشاد الصحابة؟

ولا يجوز لأحد أن يستدل بغناء الجاريتين الصغيرتين للسيدة عائشة ﵂ يوم العيد بغناء بُعاث - وهي الحرب التي دارت بين الأوس والخزرج - وما كان فيها من شجاعة وكرم، ولا أن يستدل بإنشاد حسان بن ثابت وبإنشادهم يوم الخندق:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبّت الأقدام إن لاقينا
إنَّ العدا قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

كلام نافع ومفيد في كتاب غذاء الألباب:

قال صاحب كتاب «غذاء الألباب» مانصه:

تنبيهات:

الأول: جزم الإمام المحقق ابن القيم في إغاثة اللهفان بحرمة الغناء، وقال: إنه من مكائد الشيطان ومصائده التي يكاد بها من قلَّ نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين، وقال: إنه المكاء والتصدية، ومراده والله أعلم بهذه العبارة، حيث اقترن بآلة لهو محرمة، بدليل قوله من مكائد الشيطان الغناء بالآلات المحرمة التي تصد القلوب عن القرآن وتجعلها عاكفة على الفسق والعصيان، فهو قرآن

---

(١) **تشبب**: تهيج.

الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق غاية المنى، فلو رأيتهم عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه وانصبت انصبابة واحدة إليه، لرأيت أمرًا تقشعر منه الجلود ويتعدى الشرائع والحدود، فلغير الله، بل للشيطان قلوب هناك تمزّق وأثواب تشقق وأموال في غير طاعة الله تُنفق، حتَّى إذا عمل السكر فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمله، واستفزهم بصوته، وأجلب عليهم بخيله ورجله، وَوَخَزَ في صدورهم وَخْزًا وأزهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزًا فطَوْرًا جعلهم كالحمير حول المدار وتارة كالذباب يرقص وسط الدار، فيا شماتة أعداء الإسلام، بالذنب يزعمون أنهم خواص الأنام (يقصد بذلك الصوفية وما يفعلونه، من رقص وغناء) قضوا حياتهم لذَّة وطربًا واتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن، فلو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك له ساكنًا، ولا أزعج له ظاهرًا ولا باطنًا ولا أثار فيهم وجدًا ولا قدح فيهم من لواعج الشوق إلى الله زندًا، حتَّى إذا تُلِيَ عليهم قرآن الشيطان وولج مزموره أسماعهم فُجّرت ينابيع الوجد من قلوبهم على أعينهم، وعلى أقدامهم فرقصت، وعلى أيديهم فصفّقت، وعلى بقية أعضائهم فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسهم فتصاعدت، وعلى زفراتهم فتزايدت.

فيا أيها المفتون البائع حظه من الله بصفقة خاسر مغبون، هلاَّ كان هذا الامتحان عند سماع القرآن، وهذه الأذواق والمواجيد عند قراءة القرآن المجيد، ولكن كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله ويُقاربه.. قدرًا وشرعًا، والشكل سبب الميل عقلاً وطبعًا فمن أين هذا الإخاء والنسب؟! لولا العلق من الشيطان بأقوى سبب، ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خللاً: ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً** ۝٥٠ ﴾ [الكهف: ٥٠].

فساد الانتهاء من فساد الابتداء:

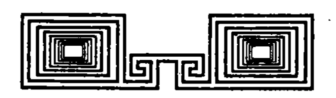
فبالله عليك هل وجدت أفراحهم، وإن شئت أن تصحح التعبير قلت: أحزانهم

تنفك عن مثل هذا العبث والضياع؟ في الوقت الذي كان يجب أن يشكروا نعمة ربهم عليهم، ويصونوا هذه النعم عن الإسراف والحرام، وكل ما يغضب الرحمن، وأن يبدأوا حياتهم الزوجية بطاعة ربهم. وإلاَّ ففساد الانتهاء من فساد الابتداء، والعبد إذا فسدت بدايته فسدت نهايته، وإذا فسدت نهايته فربما هلك، إلاَّ أن يتوب، ومعظم النار من مستصغر الشرر.

تعلموا أمر ربكم حتَّى تستعدوا:

ما الذي يمنعهم من أن يتموا هذه المناسبات في المساجد، وسط تلاوة القرآن وذكر الله؟ وما الذي يمنعهم من أن يتعلموا أمر ربهم؟!، وأن الخطبة مجرد وعد بالزواج وليست بزواج، والعلاقة فيها بين الرجل والمرأة علاقة أجنبي بأجنبية ليس أكثر، فلا يجوز للرجل أن يُلبس مخطوبته الدبلة، ولا أن ينظر إليها بعد ما نظر، فقد عادت الحرمة كما كانت، وما الذي يمنعنا من أن نتعلم مَن نختاره زوجًا لنا، وإلاَّ فالمرء على دين خليله، والنكاح رق؛ فلينظر أحدكم عند من تُسْتَرق كريمته، فلابد أن يكون تقيًا نقيًا، وأن تكون هي ذات دين، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في ماله وعرضه، وتكون المعاشرة بالمعروف، فهو يتقي الله فيها، وهي تتقي الله فيه.

ما الذي يمنعنا من أن نتعلم ذلك وغيره؛ حتَّى ننتقل من هذه الدار بسلام إلى دار السلام؟ وتكون دنيانا وأُخرانا أفراحًا بإذن الله .



كيف يتحقق الأمن والأمان في ظل الطغيان المادي المعاصر؟!

الأفراد والدول والجماعات - هنا وهناك - وفي هذا العصر وكل العصور ينشدون الأمن والطمأنينة، وأن تكون بلدانهم واحة للأمان، ولم تجد الكثرة من هؤلاء سبيلاً لتحقيق هذا المطلب الغالي إلاّ عن طريق القوة المادية المتمثلة في جيوش الشرطة والمباحث وسائر الأجهزة، واستخدموا من أجل ذلك النصائح والتحذيرات والأعمال السرية والعلنية، وأجهزة التنصت والتجسس؛ لطمأنة النفوس، وحفظ المجتمع من انتشار الجرائم، ولتحقيق الأمن الاجتماعي والصناعي... كما انتشرت شركات التأمين التي أسسها اليهود مصاصو دماء الشعوب، وكثُرت المصحات النفسية لعلاج أجيال القلق والضياع الفكري.

حضارة القلق:

وقد وجد هؤلاء أن الإنسان المعاصر تائه خائف، يُنشد أمنًا لا يجده، فالمناهج الفكرية والفلسفية الموجودة لا تُلبي رغبة ولا تريح نفسًا ولا تُحقق هدفًا، فهي حالة من حالات الخوف على المصير ومن المستقبل؛ فقد ازدادت نسبة الحوادث والجرائم، بل أصبح الناس يخاف بعضهم بعضًا، ويخافون الكوارث والأمراض والرياح والمطر والأعاصير، يخافون من الإيدز والسرطان.

كما يخافون من انتشار أسلحة وعلوم الدمار والتخريب، ولذلك أطلقوا على هذه الحضارة المزعومة اسم حضارة القلق، وكيف يطمئن أمثال اللاأدرية؟! ومن أمثالهم إيليا أبو ماضي وهو يقول:

جـئـت من أين ولكـني أتيـت ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت

فهو لا يدري من خالقه ولماذا خلقه وإلى أين المصير، ويقول الثاني:

قـدر أحـمق الخطى سحقت هامتي خطاه

قصور مفهوم الأمن:

ونحن لا نستغرب هذا القلق وهذا الاضطراب، وهذا الخوف الذي يسيطر على الدول والأفراد، بل نرى أنَّ هذه نتيجة حتمية لقصور مفهوم الأمن والبعد عن حياة الإيمان، فليس كل من يتمنى الخير يُدركه، ولا تكفي النوايا الطيبة، ولكن لابد من الاستقامة وصحة العمل، وأن نأتي البيوت من أبوابها.

الأمن محور الحياة:

إن الأمن الذي تبحث عنه النفوس محوره الإيمان الذي مقره القلب وتستقيم على أساسه الجوارح، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالنفس ومتطلباتها كالأمن الصحي والأمن النفسي والأمن الغذائي والأمن الاقتصادي والأمن الأخلاقي، أو ما يتعلق بالمجتمع وترابطه كالأمن في الأوطان، والأمن على الأعراض، والأمن على الأموال والممتلكات، أو ما يتعلق بالأمن على النفس من عقاب الله ونقمته بامتثال أمره وطاعة رسوله، واتخاذ طريق المتقين مسلكًا واستجلاب رحمة الله، والأمن من عذابه في نار جهنم.

هذه الحاجات وهذه الضرورات قد لا ندركها إلاَّ بفقدان أو نقصان مرتبة من مراتب الأمن، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**».

والنفس لا تطمئن إلاَّ إذا آمنت بقدر الله، واستسلمت لقضائه سبحانه وعلمت أن المرجع والمآب إليه سبحانه، ولا يمكن أن يسعد البشر إلاَّ بإسلام الوجه لله تعالى ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]، ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)** ﴾ [الملك: ١٤].

وعود المحترفين:

فالإسلام إنما هو لمصلحة النفس ولما يسعدها، ويُحقق لها الأمن بمفهومه الصحيح، بعكس الوعود والخيالات في الأنظمة هنا وهناك لعلمهم أنَّ الأمن والأمان من المطالب

الملحة للبشر في كل زمان ومكان، ولكنها لا تزيد على كونها شعارات وهتافات وتجارات عند هؤلاء المحترفين، يُتاجرون بها على أدمغة البشر، وإلاَّ ففاقد الشيء لا يعطيه، وهؤلاء لم يمنعوا المعاصي ولا الفجور، ولم يُقيموا الدنيا على أساس من دين الله.

وصدق من قال:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يُحي دينًا

يقول تعالى: ﴿ **فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)** ﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

ويقول سبحانه: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)** ﴾ [الأعراف: ٩٦].

المسلمون لا يعيشون الاضطرابات:

في أمريكا وجدوا مجرمين متأصلين في الإجرام، ومن أصحاب السوابق قد أسلموا داخل السجن، فصلحوا، ولم يعودوا للسجن بعدما خرجوا منه، أما من خرج وهو على ديانته السابقة فإنه لا يلبث حتَّى يعود إلى السجن مرات، ولذلك يوجهون الدعوات للمشرفين والدعاة المسلمين للزيارة وإعطاء المحاضرات.

ويقول بعض المسئولين عن الأمن عندهم: إن الخلاص من الجريمة لا يكون إلاَّ على الإسلام والعمل وفق منهجه.

وقد خرجت دراسات الغرب تقول: «إنَّ المسلمين لا يعيشون الاضطرابات المتعددة التي وقع فيها أبناء الغرب».

فالانسجام التام بين السُّنن الشرعية والسُّنن الكونية والروح والجسد، وبين الظاهر والباطن، العلم والعمل، والدنيا والآخرة والأرض والسماء، وبين هذا المخلوق والكون حوله، كل هذا لا يمكن أن نجده إلاَّ بعد الدخول في الإسلام وفهمه جيداً وتطبيقه، فلا تنافر ولا نفور بين الدين والدولة، ولا بين الساعات بعضها وبعض.

الإيمان بمثابة راحة للنفس:

والحدود والتشريعات في الإسلام بمثابة راحة للنفس، ولا تكون إلاَّ بالإيمان، وإذا كان رخاء المجتمع لا يكون إلاَّ بالأمان، فالأمان ثمرة من ثمار الإيمان، وقد بُعث النَّبيُّ ﷺ رحمة للعالمين، ودعوته كانت لتأصيل العقيدة والإيمان في النفوس بما يطمئنها ويُريحها. وفي الشرع سنجد الأصول الستة للإيمان عليها مدار النفس وسعادتها في العاجل والآجل، فعقيدة التوحيد والخوف والرجاء.. كل ذلك من شأنه أن يفترق به المسلم عن الكافر، يقول تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)** ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]. فالرضا والاطمئنان يسببه الإيمان عند المؤمن بعكس صبر الكافر فهو بدون احتساب، ويتشابه مع صبر البهائم لما يُحمل عليها من أثقال، ثم الكافر دائم الجزع والتسخط لقضاء الله.

ننشد أمنًا وأمانًا في الدنيا والآخرة:

الإيمان لا يحقق الأمان فقط في الدنيا، وإنما تحقيقه لذلك في الآخرة أتم وأكمل؛ فالمؤمنون تطمئن قلوبهم يوم الفزع الأكبر، وهو قبل ذلك: «**إن كان محسنًا قال: عجلوني، عجلوني، وإن كان مسيئًا يصيح يا ويلتاه أين تذهبون بي، فيسمعه كل شيء إلاَّ الثقلين الإنس والجن، ولو سمعوه لصُعقوا**». وعندما يوضع في قبره، ويرى منزلته تطمئن نفسه - كما ورد في حديث البراء بن عازب وغيره - .

لقد أراد فرعون أن يطمئن على نفسه عند غرقه فقال: ﴿ **آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠)** ﴾ [يونس: ٩٠]، فقيل له: ﴿ **آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١)** ﴾ [يونس: ٩١] فهو لم يؤمن في الدنيا ولم يغتنم فرصة التوبة حتَّى يرد على ربه آمنًا. وفي الحديث: «**تُقبل توبة العبد ما لم يُغرغر**».

فباب التوبة مفتوح حتَّى تتردد الروح في الحلقوم، وحتَّى تطلع الشمس من

مغربها، وقد فتح سبحانه أبواب الرجاء لعباده ، فقال: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾ [الزمر: ٥٣] .

أحكام وحدود تُشيع الأمن:

الأحكام كثيرة وكلها من شأنها أن تشيع الأمن والأمان في النفس والمجتمع، ومن ذلك تحريم الإسلام للأمور التي تتسبب معها الجريمة كالخمر والزنى والربا والميسر، وقد أعطى كل ذي حق حقه، ومنع التعدي والظلم، وقضى على كل الأمور التي تُخل بالأمن، وكانت الحدود فيه بمثابة الروادع والزواجر والجوابر[١] في نفس الوقت، والقَصاص من أسباب الاطمئنان في المجتمع: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: ١٧٩] .

وقد حرَّم الإسلام أن يورد الإنسان نفسه موارد الهلكة أو يُحملها فوق طاقتها ونهاه عن قتل نفسه «**من قتل نفسه بشيء فهو يجؤها [٢] به في نار جهنم**» .

وفيما يتعلق بالمال أمر بالكتابة والإشهاد والعدالة وتحديد الأجل ومراقبة الله، وتأدية الأمانة، فرأس المال جبان، ولا يطمئن إلاَّ بالأمان، والقضاء على مثيري القلاقل، ولا أقوى من حكم الله ورسوله، وتطبيق الشريعة من شأنه أن يُخيف من تُسوِّلُ له نفسه أن يعمل بمثل عملهم، ومن المعلوم أنَّ النفس لا تُنتج عملاً في جوٍّ مضطرب، وقد أُمِر المسلم أن يُحصّن ماله بالزكاة وليس بدفع أقساط التأمين .

تعدد صور الأمن:

لو تأملنا الأحكام التفصيلية لعلمنا كيف يتم تأمين النفوس من التأثيرات الخفيّة كالسحر ووساوس الشياطين بالمعوذتين وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة. . . والرضا والقناعة بما قسم الله، والأمن الأخلاقي المذكور في أحكام الاستئذان والحجاب. . والأمن الصحي المتمثل في زيارة المريض والرقية والتداوي بالمباحات. . والأمن الزراعي

---

(١) أي يغفر لصاحب الجريمة إذا نفذت .

(٢) **يجؤها**: يدفعها دفعًا عنيفًا إلى النار .

المذكور في سورة يوسف والنحل، وأمن العقيدة المذكور في مثل قوله سبحانه: ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨].

والأمن الأُسري الذي دلّت عليه عشرات النصوص مثل: ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤]، ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ [الروم: ٢١]، وقول النَّبي ﷺ لسعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**».

مقدمات غائبة فكيف يتحقق الأمن؟!

إنَّ الأمن يحدث بالمشورة والتوبة والهجرة ومجاهدة الكفار والتوكل على الله، وبالتزام كل أوامره جلَّ وعلا، فكل آدابه عالية؛ لأنها مبعث للأمن، والراحة والاطمئنان في الحياة وبعد الممات في طاعة الله، والإعراض عن ذكره سبحانه هو مبعث الخوف الحقيقي.

والمؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه ﴿ **أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ** ﴿٩٧﴾ **أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ** ﴿٩٨﴾ **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ** ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

وأمر الله سبحانه وبأسه شديد لا يمنعه أجهزة الإنذار المبكر ولا الجيوش الجرارة، ولا كل مظاهر الأمن المادي، ونظرة سريعة على ما تُحدثه الزلازل والفيضانات كفيضان المسيسبي والأعاصير كإعصار أندرو في أمريكا وسائر صور الدمار ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢]. وكما قال سبحانه: ﴿ **لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ** ﴾ [هود: ٤٣] سندرك حتمًا لا محالة أنَّ الإيمان هو سبيل تحقيق الأمن والأمان في الدنيا والآخرة، للأفراد والدول والجماعات، فهيا نصبغ أنفسنا بصبغة الله ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً** ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ونطرح عن أنفسنا هذا الطغيان المادي الذي علق بقلوبنا وعقولنا.

المحبوس من حُبس قلبه عن ربه
والمأسور من أسره هواه

يجزع الناس جزعًا شديداً إذا حُبست الأبدان في سجون الدنيا، ويحزنون أشد الحزن على من أسره العدو، ولا تكاد تُذكر كلمة الحبس والأسر إلاَّ في هذه المعاني الضيقة، بينما نسينا أن حبس القلب عن الرب في ظلمات الهوى، والمعاصي أخطر من حبس البدن، وأنَّ أسر الشيطان للإنسان أعظم من أسر الأبدان طالما أنَّ الروح تُحلق في السماء والقلب يخفق بالإيمان.

ولذلك كان شيخ الإسلام ابن تيمية يصوغ المعاني على حقيقتها بعيداً عن قصور المادية الموحلة ويقول: «المحبوس من حُبس قلبه عن ربه والمأسور من أسره هواه». وحين ورد الأمر بسجنه في قلعة دمشق أظهر السرور، وقال: «إني كنت منتظراً ذلك، وهذا فيه خير عظيم، وما يصنع أعدائي بي، إنَّ جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي لا تُفارقني، وإنَّ حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة»، ولما رأى أسوار السجن قال: ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ** (١٣) ﴾ [الحديد: ١٣].

إنه الإيمان الذي تتحرر به النفوس والقلوب، حتَّى وإن كانت الأبدان ترسف في الأغلال والقيود، ويكون هذا الاستعلاء الحميد: ﴿ **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٣)** ﴾ [طه: ٧٠ - ٧٣]، إيمان عمره لحظات، ولكنه صنع الأعاجيب، وتحررت به النفوس من عبودية البشر إلى عبودية رب البشر.

سوء استخدام لفظ الحرية:

وإذا كانت الحرية أصبحت كلمة يتغنَّى بها الشعراء، ولها عذوبة في الأفواه ولذَّة في الأسماع، ويتألم الأحرار لفقدها ويُنادي المصلحون بتحقيقها، وتوضع المخططات للحصول عليها، وتبذل الأمم الأموال والأرواح لحمايتها، وتجعل اليوم الذي تحصل فيه عليها عيداً، ويخرج هذا يقول: حرية، اشتراكية، وحدة. والثاني يقول: أنا حر، أو كل إنسان حر فيما يفعل، وذاك يؤلف في حرية المرأة، وهذه المرأة تردد: أعطني حريتي أطلق يديَّ...!! وهذا يتكلم عن أصحاب الفكر المستنير، وأحزاب ترفع شعارات الحرية وتُنادي بالديمقراطية مطالبة بالحرية الشخصية وحرية الرأي وحرية الفكر والعقيدة، ونادى الرئيس بورقيبة، وقال: «لابد وأن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا التحررية، ونُخلصها من قيود الدين» .

يرفعون شعار الحرية وهم غرقى فى أسر العبودية:

ونحن لو نظرنا لوجدنا أنَّ دائرة العبودية التي يهرب منها البشر دائرة ضيّقة أنهم إن تخلصوا منها، فقد تحرروا، وواقع الأمر ليس كذلك، فتراهم يرسفون في قيود العبودية المقيتة، وهم لا يشعرون ويحتفلون بأعياد الحرية وهم غرقى في أسر العبودية، فقد أصبحت العبودية التي يمقتها الناس هي التي تجعل الإنسان مملوكًا لغيره، بحيث يُصبح متاعًا يُباع ويُشترى ولا يملك أمر نفسه.

ويعد البشر من العبودية والهوان أن تستذل دولةٌ دولةَ، وجماعةٌ جماعةً، وأمةٌ أمةً، وقد يصل البغض والظلم والاستعباد والقهر إلى حد ذبح الرجال والأطفال، كما صنع فرعون مع بني إسرائيل: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ④ ﴾ [القصص: ٤].

عصر الخدع والتزييف:

وقد استعبدت الأمم القوية الأمم الضعيفة باسم التمدن والتحضر، والأخذ بيد هذه الأمم الضعيفة، كما حطموا دولة الخلافة العثمانية، وقسموا الديار الإسلامية، وفعلوا

الأفاعيل في البوسنة والهرسك وفلسطين والهند وروسيا وكشمير وبورما والفلبين والحبشة، صنعوا ذلك وهم يرددون مبادئ الأمم المتحدة التحررية!! ، مثل حقوق الإنسان والعدل وحق تقرير المصير والشرعية الدولية، بل وما زال هؤلاء الأعداء يمجدون الثورة الفرنسية، حرية، إخاء، مساواة، ويرفعون شعار الإنسانية ، وهم يُتمون هذه المذابح!! ولا يُستغرب منهم ذلك؛ فهم يكيلون بمكيال واحد، هو مكيال العداوة لهذه الأمة ﴿ **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** ﴾ [آل عمران: ١١٨]. ولا ينبئك مثل خبير ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة: ٢١٧].

صور العبودية الذميمة:

لقد رأينا صوراً كثيرة من صور العبودية الذميمة، ومن ذلك عبودية الأوهام والتصورات الخاطئة، فترى البعض تأخذه رهبة الليل، ويبزغ القمر فيعظمه، وتُشرق الشمس فتكبر في نفسه، ويخضع ويسجد لها، بل وقد يتوجه داعيًا، ولربما جرَّد سيفه، وبذل نفسه وماله مدافعًا عن مثل هذه العقيدة الزائفة، وقد أرسل الله الرسل؛ ليخلصوا العباد من العبودية لكل مخلوق وتوجيهها لله وحده، فلا يجوز صرف العبادة لوثن ولا لصنم، كما لا يصح أن نجعل من المقبورين أنداداً مع الله، بحيث نتوجه لهم بالدعاء والذبح والنذر، والاستغاثة، والسجود، وطلب المدد والبركة، وسؤالهم في جلب النفع ودفع الضرر؛ فكل ذلك لا يجوز لا مع نبيّ ولا مع وليّ ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ** ﴾ [الحج: ٧٣]، والأنبياء والصالحون يتبرءون يوم القيامة من كل من جعلهم أربابًا مع الله.

وتاهت البشرية في عبودية من نوع آخر، وهي عبودية المناهج والأفكار، فبينما رفض هؤلاء منهج الله وحكمه ارتضوا قوانين البشر، وكل فريق يزعم أنه على الحق والهدى وأنَّ منهجه هو الذي يُحرر الإنسان، وقد حدث صراع كبير بين أتباع المناهج، وكان ينتهي في أغلب الأحيان بحروب ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ**

وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة: ١١٣].

فالحكم بين العباد بيده سبحانه دون سواه ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٤٠) ﴾ [يوسف: ٤٠]، ﴿ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾ [الكهف: ٢٦].

معبود الجماهير:

هل تحرر هؤلاء الذين امتلأت حياتهم بالشهوات وأطلقوا على بعض الفسقة والفجرة اسم معبود الجماهير ومعبودة الجماهير؟!! وماذا نقول فيمن كان إلهه هواه أو شيطانه أو امرأة يحبها أو درهماً أو ديناراً يحرص على جمعه؟!! يقول تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤) ﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

وقال سبحانه حاكيًا عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام: ﴿ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) ﴾ [مريم: ٤٤]، وقال النَّبيّ ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة** [١]**، تعس عبد القطيفة، تعس وانتكس، و إذا شيك فلا انتقش** [٢]».

حينئذ فقط نتحرر:

إنَّ الإسلام جاء؛ ليحرر العباد من عبودية العباد إلى عبادة الله وحده، كما قال ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس عندما سأله من ابتعثكم فأجابه ربعي: «ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام» .

---

(١) **الخميصة**: نوع من الثياب لونها أحمر أو أسود.

(٢) يدعو ﷺ عليه إذا أصابته شوكة ألاّ يجد من ينتقشها أي ينزعها منه.

ولا يتم التحرر إلاَّ بتحرير قلب العبد من الخرافات والخزعبلات والأساطير والشركيات، وامتلاء النفس بمعاني الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، حلوه ومره، وإخلاص الأمر كله لله: ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

والإخلاص: هو معنى لا إله إلاَّ الله، وبتحقيقه يُحقق العبد العبودية لله ربه ومولاه، كما لابد من تحرير القلب من الآلهة المزيفة والطواغيت والظلمة، وإلاَّ فهؤلاء يُحاولون في كل عصر أن يغرسوا في قلوب العباد الرهبة من أوليائهم وأندادهم، ورائدهم في ذلك الشيطان فهو يُخوف عباد الله المخلصين من أوليائه الضالين ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)** ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فلابد من التوكل على الله، يقول تعالى عن صحابة نبيه ﷺ يوم حمراء الأسد: ﴿ **الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤].

وعلينا أن نتربى، ونسعى في تربية غيرنا على المفاهيم الإسلامية والعزة الإيمانية بعيداً عن اللوثة المادية الطاغية، وإلاَّ فمن كان الله معه فمن عليه؟ ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ٢٤٩]؛ ولذلك لما سمع خالد بن الوليد رضي الله عنه رجلاً قبل معركة اليرموك يقول: ما أكثر الروم وأقل المسلمين. صاح فيه خالد وقال: «بل قل: ما أقل الروم وأكثر المسلمين»، وكان خالد رضي الله عنه يقول لأعدائه: «جئناكم بقوم أحرص على الموت منكم على الحياة».

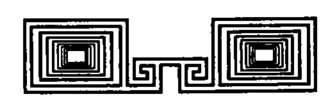
أين الإيمان المبصر؟!

ما توالت الهزائم على هذه الأمة إلاَّ يوم أن وجهنا الوجوه إلى روسيا وأمريكا ومجلس الأمن وهيئة الأمم، حين ضلّت هذه الأمة عن دينها سلطت عليها سيوف

أعداء الله المجرمين، نحن اليوم بحاجة إلى إيمان مبصر يُغرس في القلوب بحيث يحررها من العبودية للطواغيت والأصنام حجراً كانت أم بشراً، وأنْ نعلم أنَّ قوة أخرى غير قوة الدول العظمى هي التي تحدد مسار المعارك والحروب ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) ﴾ [يس: ٨٢].

إنَّ الحرية في الإسلام تُقرر في صورة العبودية، أن تكون عبداً لله وحده في توجهات قلبك وعقائدك ومسار فكرك وفي أقوالك وأفعالك، وفي القوانين التي تهيمن عليك وعلى المجتمع؛ فالتحرر الحقيقي يعني الخضوع لله وحده، وأخذ منهجه دون سواه، والتحاكم إلى شرعه دون بقية الشرائع، وعليك أن تعلم أنَّ الحريات التي يتشدق بها الناس الآن في هذا العصر إنما هي العبودية للمخلوقات في نظر الإسلام، واعتبروا بما يسمى بالديمقراطية ، وهي قمة الحرية في نظر أصحابها ، ولو تحققت لتحقق معها عبودية البشر للبشر وتأليه البشر للبشر، إنَّ معنى ذلك إباحة الربا والزنى واللواط والخمور والعرى والخلاعة، والمجون، فكل شيء في مفهوم الدول الديمقراطية قابل للنظر والتغيير. إنَّ البشر حين يرفضون عبودية الله فسيعبدون أنفسهم لا محالة إلى مخلوقات مساوية لهم أو أقل منهم شأنًا لا تضر ولا تنفع، بل قد لا تُبصر ولا تسمع ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) ﴾

[النمل: ٥٩].



كيف تتم السعادة الحقيقية؟

السعادة هي مطلب الناس جميعاً، المؤمن والكافر والبر والفاجر، وهي الهدف المنشود الذي تسعى البشرية لتحقيقه، حتى وإن أخطأته الكثرة ، وضلت الطريق إليه فكانت حياتها تعاسة وشقاوة نتيجة هذا الطغيان المادي.

الشقاء بالمال والثروات والعقارات:

لقد رأى البعض أن السعادة تكمن في تكديس المال وجمع الثروات وبناء العقارات والقصور، وهذا وهم عريض، وإلا فصاحب المال يتعب في جمعه وحفظه واستثماره ويصيبه القلق والخوف من فوات هذا المال وزواله، قال تعالى: ﴿ **فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾ [التوبة: ٥٥].

قال بعض السلف : يعذبون بجمعها وتزهق أنفسهم بحبها وهم كافرون بمنع حق الله فيها .

وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة .

وقد قص علينا ربنا جل وعلا قصة قارون فقال سبحانه عنه: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ** ﴾ [القصص: ٧٩] وانبهر الناس فقالوا : ﴿ **يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ [القصص: ٧٩]، ولم يكن الأمر كذلك فقد كان كافراً بالله تعالى: ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١)** ﴾ [القصص: ٨١].

فهل تحققت له السعادة بماله ؟! وهل تستغرب إذا أتى هو وأمثاله يوم القيامة وقال: ﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨)** ﴾ [الحاقة: ٢٨]؟!.

قال بعض العلماء : مصيبتان في مال العبد لم يسمع بهما الأولون والآخرون، يؤخذ منه كله ويُسأل عنه كله .

صور السعادة الزائفة :

ووهم السعادة لم يقصر على المال، فقد توهمه فريق آخر في كأس وغانية، وبحث فريق ثالث عن السعادة في الشهرة، حتى لو أتت على حساب دينه، فلا مانع عنده من أن يرقص أو يصبح خنثى أو يصنع من نفسه شيطاناً وحماراً ينهق وكلباً يعوي وينطق بكلمات الكفر رجاء أن يُطلق عليه اسم الممثل الكبير والفنان القدير، أو يكتب كفراً وينشر ضياعاً كحالة مؤلف «أولاد حارتنا » و«آيات شيطانية» لينال عليها جائزة نوبل أو أرفع وسام في إنجلترا!.

أين تجد الإنسان المادي المعاصر؟!

إن السعادة الحقيقة ليست في المال ولا في الشهرة ولا في الشهادات ولا في المناصب ولا ما أشبه ذلك من حطام الدنيا ، وإلا فلو بحثت عن الإنسان المادي المعاصر فلن تجده إلا في حانة من الحانات ، أو مرقص من المراقص ، أو نزيل مستشفى من مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية وسط حالات القلق والاكتئاب والاضطراب، وستجد دولاً كالسويد والنرويج والدنمارك وهي من أغني الدول من حيث دخل الفرد إلا أنها أعلى الدول في نسب الانتحار .

﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [طه: ١٢٤].

لقد طلب الماديون السعادة في غير مظانها وتوهموها في دنيا ، لا بقاء لها ولا وفاء ، بل هي كما وصفها سبحانه: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ** ﴾ [الحديد : ٢٠].

وقال جل وعلا : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** ﴾ [محمد : ١٢]، وقال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾** ﴾ [يونس :

٧ ، ٨]، وقال: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ⑦ ﴾ [الكهف: ٧]. وكان عمر ﷺ يقول: لولا أن تنقص من حسناتي لخالطتكم في لين عيشكم، ولكني سمعت الله عيَّر قوماً فقال: ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا** ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وقال النبي ﷺ: « **ما لي وللدينا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال** [١] **تحت شجرة ثم راح وتركها** » [٢].

وأوصى ابن عمر ﷺ فقال: « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » [٣]. وقال سبحانه: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ** ⑮ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ⑯ ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

ورويَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدَّر له** » [٤].

إن السعادة التي ينشدها المسلم لا تقتصر على الدنيا دون الآخرة، فهو يريد أن يسعد في دنياه وأخراه وأن يكون من الذين سُعدوا وفي الجنة خالدين فيها، ويسأل ربه سعادة لا شقاوة بعدها أبداً ولذلك هو يسلك طريق السعداء ويحذر سبيل الأشقياء ﴿ **يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ** ⑩⑤ ﴾ [هود: ١٠٥].

أسباب الشقاء والتعاسة:

ومن أعظم أسباب الشقاء والتعاسة، الكفر بالله جل وعلا يقول تعالى: ﴿ **وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ** ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وكذلك العمل بالمعاصي والآثام والجرائم يقول سبحانه: ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا**

---

(١) قالَ: نام فترة وجيزة.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الترمذي.

يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]، وقال: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) ﴾ [الشمس: ١١، ١٢] وهو الذي عقر الناقة مخالفاً بذلك أمر ربه .

ومن جملة الذنوب التي تحترق وتشقى بها النفوس الحسد والغيرة ولذلك حذر النبي ﷺ من هذه الآفات فقال: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً**» .

ويدخل في ذلك أيضاً الحقد والغل والغضب والظلم والخوف من غير الله عز وجل والتشاؤم وسوء الظن والكبر وتعلق القلب بغير الله كتعلق قلب العاشق بمعشوقته، ويدخل في ذلك أيضاً النظر المحرم وتعاطي المخدرات التي أدت إلى تفسخ الأفراد والأسر والمجتمعات، والتي هي أيضاً شر من الخمر، ومن موانع السعادة وأسباب الانحلال والتعاسة والشقاء .

وهذه الأسباب المذكورة هي من أسباب الشقاء في الدنيا والآخرة إن لم يتب صاحبها قبل مماته ، قال تعالى حاكياً عن أهل النار: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) ﴾ [المؤمنون: ١٠٦] .

وقال: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) ﴾ [الليل: ١٤ - ١٦]، وقال: ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ﴾ [الأعلى: ١١، ١٢]، وقال: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) ﴾ [مريم: ٣٢] .

وكان شداد بن أوس رضي الله عنه يقول : اعلموا أنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه، ولن تروا من الشر إلا أسبابه، الخير بحذافيره في الجنة والشر بحذافيره في النار، والدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر، ولكل دار بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا .

وقالوا : ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، وأنتم من الورود على يقين، ومن

النجاة منها (أي من النار) في شك فاعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كُتِب له .

أسباب السعادة الحقيقية :

وإذا كنت تنشد سعادة الدارين فعليك بالاستقامة على شرعه سبحانه واتباع صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وهذا يتطلب منك الإيمان بالله والعمل الصالح يقول الله تعالى: ﴿ **مَنْ عمِلَ صالحًا مِّن ذكرٍ أوْ أُنثىٰ وهُوَ مُؤْمنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال: ﴿ **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)** ﴾ [المائدة: ٦٩].

وفي الحديث : « **عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سَّراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له** »[١]، وكان النبي ﷺ إذا اشتد عليه أو حزبه أمر يقول: « **أقم الصلاة يا بلال أرحنا بها** »[٢]، وكان يقول: « **وجُعِلت قرة عيني في الصلاة** »[٣] .

والرضى بالقضاء والقدر سعادة وأي سعادة ، فإن الله بقسطه وعلمه جعل الرَّوْح والفرح في اليقين والرضى وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط قال تعالى: ﴿ **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)** ﴾ [فصلت: ٣٥] فإن وجد ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وإن وجد ما يكره قال : الحمد لله على كل حال، وإذا كان الجهل مصيبة وما عصي الله بمعصية أعظم من الجهل بالدين، فلابد من طلب العلم حتى يسهل علينا التفريق بين الإيمان والكفر، والسنة والبدعة والحق والباطل ، والسعادة الحقيقية والسعادة الزائفة .

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد وأبو داود .

(٣) رواه أحمد والنسائي.

كيف كانت سعادة الأفاضل ؟ :

إن الكافر يُشاك بشوكة فيملأ الدنيا عويلاً وصياحاً ، أما المسلم فله شأن آخر فهذا خبيب ابن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صلبوه وناوشوه بالرماح والسيوف فأنشد :

ولستُ أُبالي حين أُقتل مسلمًا ... على أي جنب كان في الله مصرعي
ولست بمبد للعدو تخشعًا ... ولا جزعًا إني إلى الله مرجعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يُبارك على أوصال شلو مُمزع

وهذا زيد بن الدَّثِنَة عندما قبض عليه المشركون وخرجوا به إلى التنعيم وسأله أبو سيفان : أما تحب يا زيد أنك في أهلك ومحمد هنا تُضرب رقبته؟ فقال زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « والله إني لا أحب أن يصاب محمد ﷺ بشوكة بين أهله وأنا في مكاني هذا » .

لقد كانت سعادة هؤلاء الأفاضل في القيام بطاعة ربهم حتى وإن كلفتهم أرواحهم ، وقدموا محبة نبيهم ﷺ على محبة المال والأهل والولد ، ولربما انشغل الواحد منهم لحظة وفاته بإرسال السلام لرسول الله ﷺ وبالصلاة لربه جل وعلا، وكانوا يقابلون الموت غير هيابين ، ويقولون : اليوم نلقى الأحبة محمداً وصحبه .

أسباب مهمة ونافعة:

إن السعادة الحقيقية لا تتحقق بسماع الأغنية والموسيقى ، ولا بمشاهدة الرقصة والفيلم والتمثيلية والمسرحية أو بغير ذلك من مظاهر الفحش وصور الإعراض ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦)** ﴾ [الزخرف : ٣٦]. وقال تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الزمر: ٢٢] وقال سبحانه : ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد : ٢٨].

ولما اشتكى رجل للحسن قسوة قلبه . قال له : أَذِبْهُ بالذكر .

وقال رجل لأم الدرداء يوماً : أجد داء لا أجد له دواءً ، أجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً. فقالت : اطلع في القبور واشهد الموتى .

ومن أعظم أسباب السعادة ، الإحسان إلى الناس، وقصر الأمل ، وعدم التعلق بالدنيا ، والاستعداد ليوم الرحيل ، ونظر الإنسان إلى من هو دونه في أمور الدنيا ، وإلى من هو فوقه في أمور الآخرة ، ومصاحبة الأخيار والصالحين ، ودفع السيئة بالحسنة ، وأن تعلم أن أذى الناس خير لك ، وأن الظلم والبغي بمثابة سهم يطلقه صاحبه ثم يعود أول ما يعود إلى نحره هو ، وأن الله جل وعلا لا تضيع عنده مثاقيل الذر: ﴿ **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [المجادلة: ٦].

أهمية الدعاء لتحقيق السعادة:

ولا تنسَ الالتجاء إلى الله عز وجل وكثرة الدعاء والتضرع إليه سبحانه وقل: ﴿ **رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦)** ﴾ [طه: ٢٥، ٢٦] وقل: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال**» (١) ، «**اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت**» ، «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلحِ لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر**» (٢) .

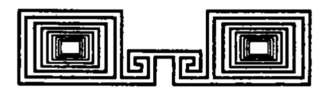
ومن دعاء رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودَرْكِ الشقاء وسوء القضاء وشماته الأعداء**» (٣)، وكان يقول : «**اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أَمَتكَ ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حُكمُكَ ، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي**» (٤) .

(١ ، ٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد.

وأكثر من الاستغفار وقول لا حول ولا قوة إلا بالله ، واحرص على طاعة الله ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] فما عند الله من خير وسعادة لا ينال إلا بطاعتنا له ، واعلم أن العبد إذا أُلهم الدعاء فإن الإجابة معه ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٤] .



اشغلوهم بالمسرح
وقد عمَّت البلوى بالتليفزيون

تفنن الملاحدة في إلهاء الشعوب عن دين ربهم، وخرج كبيرهم يقول: «اشغلوهم بالمسرح»، وتتابع الناس في الشر والفساد، فأصبحت مادة التسلية عبارة عن الفيلم والتمثيلية والمسرحية والرقصة والأغنية .. وقد ازداد الطين بلة بإدخال التليفزيون وأصبحت الدنيا أشبه بقرية صغيرة، فما يحدث في أوروبا يراه الناس في مصر في نفس اللحظة عن طريق البث المباشر دون تحكم إيماني فيما ينقل وما لا ينقل، ولك أن تتخيل ما الذي يمكن أن يُحدثه ما لا يقل عن ستة مليون جهاز تليفزيون في عقول وقلوب الأمة، فبعدما كان الإنسان قد يجد مشقة في الذهاب إلى السينما أو المسرح، أصبح التليفزيون قابعًا في بيته يُدخل عليه وعلى أهله وعياله كل شر وفساد، يكفي أن يُدير مفتاحه ليشاهد من ضلال الرقص وفنون العري والخلاعة، ويمتد إرساله منذ الصباح وحتَّى الفجر، ولم تسلم الفرائض والعبادات كالصيام من هذه الهجمة الشرسة، فتجد الإعداد منذ بداية العام لإفساد ثمرة التقوى بالفوازير وشهر زاد والرقصات والعروض المستمرة للأفلام.. وكل ذلك يقدمونه للصائمين تحت اسم «سلي صيامك» !!!.

تسلية النفوس المؤمنة:

لقد كانت النفوس المؤمنة تجد راحتها وتسليتها الحقيقية في ذكر ربها، والإنابة إليه سبحانه والإقبال عليه بالطاعة والعبادة ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** (٢٨)﴾ [الرعد: ٢٨]، وكانوا إذا احتاجوا أن يروّحوا عن أنفسهم فبشيء من اللهو المباح الذي لا حرمة فيه، ومن قول النّبي ﷺ لحنظلة الأسيدي: «**لو تدومون على ما تكونون عندي وفي مجالس الذكر لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**» وكررها ثلاثًا.

وكان النَّبيُّ ﷺ يُسابق أم المؤمنين عائشة ﵂ فسبقها مرة وسبقته أخرى، وقال لها: «**هذه بتلك**»، وصارع ركانة، وكان ركانة من مشاهير العرب بالقوة، فصرعه النَّبيُّ ﷺ ثلاث مرات، وشاهد لعب الحبشة بالحراب في المسجد، وقال: «**دونكم بني أرفدة**»، وكان يقول للسيدة عائشة ﵂: «**تشتهين تنظرين**» فلا يمل حتَّى تمل، وأذن للجاريتين في الغناء للسيدة عائشة في يوم عيد، وقال: «**لتعلم يهود المدينة أنَّ في ديننا فسحة**».

وعلى هذا الهدي درج صحابته الكرام رضوان الله عليهم، فكان عمر ﵁ يقول: «علّموا أولادكم السباحة والرماية، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبًا»، وكان عليّ ﵁ عدَّاء، وكان سلمة بن الأكوع يسابق الخيل فيسبقها، وكان أبو الدرداء ﵁ يقول: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة؛ فإنها إنْ كلَّت عميت.

فعلوا ذلك لمعرفتهم أنَّ الإنسان يُثاب حتَّى في ترويحه عن نفسه، ورياضته النافعة، وذلك إذا انتوى نية حسنة، واحتسب الأجر عند الله تعالى، ولم ينسَ واجب العبودية وأنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره وسائر جوارحه ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦)**﴾ [الإسراء: ٣٦]. فالترويح عن النفس لا يكون بمعصية الله تعالى ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)**﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

حرمة التمثيل:

والعارف بالتمثيل وما يدور فيه ولا ينفكُ عنه، لابد وأن يقطع بحرمته وأنه من جملة البدع المحدثة وفيه نوع من التشبه بالكفار، وقد صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**لتركبن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، وباعًا بباع، حتَّى لو أنَّ أحدهم دخل جُحر ضب لدخلتموه، وحتَّى لو أنَّ أحدهم جامع أمه لفعلتم**».

والتمثيل إخلال بالديانة والمروءة ودلالة على السفه وقلَّة العقل، فتارة يجعل الممثل من نفسه حمارًا ينهق أو كلبًا يعوي، وأخرى مجنونًا، أو امرأة أو سكرانًا، ومن عجيب الأمر أنَّ البعض يطلق على أمثال هؤلاء الأستاذ الكبير والمربي القدير، وفي

التمثيل إضاعة للأموال والأوقات في غير مصلحة أو منفعة شرعية، وعادة لا تتم المسرحيات إلاَّ بالليل، وذلك بعد العشاء، وفي الصحيح من حديث أبي برزة أنه ﷺ: «كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها» ، فليس هو من السمر المأذون فيه.

ومن مستلزمات التمثيل وصل الشعر في الرأس تارة، وفي الوجه أخرى، وفي الحديث: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**»(١)، فإذا كانت المرأة التي تستعمل الباروكة لزوجها للتزين له ملعونة، فكيف بالرجل الذي يستعمله لمجرد اللهو واللعب، ولا ينفك أيضًا عن نتف شعر الوجه وتحسينه وتلميعه؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**لعن رسول الله ﷺ الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله**» قالت له امرأة في ذلك، فقال: «ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ، وهو في كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر:٧]» (٢).

والوشم عبارة عن دق الصور على الوجه ونحوه، والنمص عبارة عن إزالة شعر الحواجب أو الأخذ منها، والمتفلجات أي اللاتي يصنعن فلجة بين الأسنان؛ إظهاراً للحُسن وللصغر، وهذه كلها صور من صور التغيير لخلق الله.

التمثيل غيبة محرمة:

والتمثيل أيضًا عبارة عن غيبة محرمة، فقد روى أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: وحكيت له - تعني النبي ﷺ - إنسانًا فقال: «**ما أحب أن حكيت لي إنسانًا وأن لي كذا وكذا**» فنهاها النبي ﷺ عن حكاية إنسان، وذكر لها أنه لا يُحب ذلك منها، وأن له كذا وكذا؛ إشارة إلى عظم الأمر وشدة حرمته، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: «حسبك (أي كافيك) من صفية كذا وكذا» - قال بعض الرواة: تعني أنها قصيرة - فقال: «**لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته**» ، وروى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذكرك أخاك بما**

(١، ٢) متفق عليه.

يكره»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»، وما التمثيل إلاَّ حكاية أقوال وأفعال الآخرين، يقلّدون المشي والأكل وأسلوب التكلم؛ تفكهًا وسخرية واستهزاءً، وأدهى من ذلك ما هو شائع هذه الأيام ما يُسمى بالأفلام الكوميدية، فإنَّ الممثل فيها يوظف كلماته وأفعاله لتقليد ما يدخل السرور بالباطل في نفوس الناس، غير مبالين بالعواقب الوخيمة التي تجرها هذه المعاصي.

الثمرات المرة التي نجنيها من وراء التمثيل:

تربية الأبناء تربية غير لائقة، وتخريج الأجيال المستهترة المستهزئة والتي لا تحمل هموم الأمة ولا تسأل عن شئونها، وهذه الأفلام وللأسف منتشرة انتشاراً واسعًا سواء كان بما يسمى بـ «دور السينما» أو «التلفزيون» أو «الڤيديو» أو «المسرح»، وتجد هؤلاء الممثلين لا يمثلون من يجلونه أو يخافون سطوته من الملوك الأحياء؛ لأنَّ القانون يمنعهم من تمثيلهم، وكل صور الاحتقار والسخرية والاستهزاء بالمسلمين حرام قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ**﴾ [الحجرات: ١١]، وقال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يُحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله**»(١).

التمثيل الديني:

ولو نظرنا لما يسميه البعض بالتمثيل الديني – ظلمًا وزورًا – لرأيتهم يمثلون علماء الإسلام، ويلصقون بوجوههم اللحى المصطنعة في حالة تدل على الاحتقار والإهانة، مما يترتب عليه إهانة العلم والدين، وقد حكم الإمام أحمد بكفر من قال لعمامة العلم عُميمة، بقصد الإهانة والاستخفاف، وما ينجر بسبب ذلك من استخفاف بالعلم الشرعي الذي يحمله، بل قد جرّأهم التمثيل والجرأة على الله تعالى إلى تمثيل أنبياء الله تعالى ورسله كموسى وعيسى ويوسف عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

---

(١) رواه مسلم.

بل لم تقف بهم الجرأة عند حد، عندما مثلوا الله جلَّ وعلا وتقدَّس وتنزَّه عن المثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وكذلك يدعوهم التمثيل إلى الكفر بالله جهاراً، فترى الممثل يتقمص شخصية يهودي أو نصراني أو مجوسي أو ملك كافر أو فرعون من الفراعنة، أو شيطان من الشياطين، فينطق بكلمات الكفر على سبيل التمثيل!!! ، ومن المعلوم أنَّ الرضى بالكفر كفر، والقرآن عندما حكى لنا أقوال الكفرة كان على سبيل دحضها والرد عليهم.

والتمثيل مع كل هذا كذب وزور، وروى أبو داود وغيره من حديث عبد الله ابن عامر قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعالى أُعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ : «**أما إنك لو لم تعطه شيئًا كُتبَت عليك كذبة**»، ثم هم يحلفون بالله على ذلك الكذب في الدور الواحد مراراً، وهذا يُطلق عليه اسم اليمين الغموس، أي الذي يغمس صاحبه في الإثم، وهو في جملة الكبائر، وكذلك فالتمثيل يكثر فيه الكلام فيما لا يُغني، وفي الحديث: «**لا تُكثروا الكلام بغير ذكر الله؛ فإنَّ كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإنَّ أبعد الناس من الله القلب القاسي**» (١).

وإذا لم تحضر فيه النساء تشبَّه بهن بعض الممثلين في اللباس والكلام والحركات والتخنث، حتَّى كأنه امرأة، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال» (٢)، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل» (٣).

ووجود النساء الممثلات مع الرجال فيه من الشر والفساد ما لا يخفى على أحد، بل هو كذلك يوقع الممثلين والمتفرجين في كبيرة النظر، وقد قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة، فقال: «**اصرف بصرك**» (٤)، وقد تنضاف الموسيقى والغناء فيزداد الطين بلة.

---

(١) رواه الترمذي وحسّنه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم.

(٤) رواه مسلم.

احذر المشاركة في الإثم:

والمتفرج شريك الممثل في الإثم والذنب؛ لإقراره بالغيبة، ولإنفاق المال في الباطل والحرام، ولهذا الاختلاط المريب الذي يحدث بين النساء والرجال، و لإطلاق البصر فيما يُغضب الله تعالى، وهكذا أصبح التمثيل أداة لنشر الفسق والفجور وإشاعة للفحش والتفحش، وتربية الأجيال على معاني الأسوة السّيّئة المتمثلة في الممثلين والممثلات الذين يقودون الأمة إلى حتفها وهلاكها، وقد راج هذا التمثيل على قطاعات كبيرة من الناس؛ لما يرونه من نهاية مؤلمة للباطل في زعمهم، ويكونون قبل هذه النهاية قد شاهدوا صور العري والخلاعة، وكلمات الكفر والضلال دون نكير، وهم في أحسن أحوالهم يتشربون السمَّ في العسل، كحالة من يذهب للعرافين والكهان؛ لأنهم صدقوا يوم كذا، ويتناسى أنهم كذبوا مئة مرة معها.

الشرع أتى بسد ذرائع الشر والفساد:

وإذا كان درء المفاسد مُقدَّم على جلب المصالح، والشرع قد أتى بسد ذرائع الشر والفساد؛ فالواجب علينا الانتهاء عن التمثيل الديني وغيره، والانتهاء كذلك من مشاهدة هذا الفساد والترويج له، وقد طالعنا كيف تاب بعض الفنانين والفنانات من هذا التمثيل الخليع الرقيع، وكيف منع بطل الفك المفترس «الأمريكي» أولاده من التليفزيون؛ لما رأى إدمانهم لمسلسلات العنف والجنس.

خطورة التلفزيون:

والتليفزيون أكثر خطرًا وأشد إفسادًا من الإذاعة حيث تجتمع فيه حواس السمع والبصر من خلال الإثارة بالحركات والصور التي هي أشد تأثيرًا على الأولاد في حركاتهم وفي حياتهم اليومية، فقد تسبب في ضعف العقل وضعف البصر.

ونَزَعَ هذا الجهاز الحياءَ بالكلية من البيوت ببرامجه الخليعة بما فيها من الإعلانات، وقضى تمامًا على الفضائل والأخلاق الإسلامية، حتّى لتجد الأسرة بكاملها أمام هذا

الجهاز، وقد تبلدت أحاسيسهم من التعود على رؤية المنكر وإقراره، فأصبحت نفوسهم تقبل أن يحتضن رجل امرأة ويقبلها؛ لأنه مثَّل دور أبيها، أو دور زوجها وعشيقها!!! كما أصبحت مناظر ومشاهد شرب الخمر وحفلات الرقص والتدخين والاختلاط وسفور المرأة وغيرها من المفاسد أمرًا واقعًا في المجتمع لا غرابة فيه!!.

هكذا راجت حيل الشياطين:

الشيطان فقيه في الشر، وكذلك أولياؤه فإنهم لما وجدوا نسبة من المسلمين قد تبتعد عن اقتناء التليفزيون بسبب ذلك، وضعوا فيه بعض البرامج الدينية والعلمية، وحاولوا إقناع السُّذَّج من المسلمين بأنه يمكنهم الاقتصار على برامج الأطفال دون مشاهدة التمثيليات والمسلسلات والبرامج غير الجدية، واستطاعوا بهذه الفكرة أن يُدخلوا السمَّ في العسل.

خطورة برامج الأطفال:

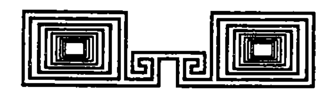
إنَّ المتتبع لبرامج الأطفال المقدمة من خلال الإذاعة أو التليفزيون ليجدها تُساهم في خرق العقيدة الإسلامية، وتدس الوثنية والإباحية والإلحاد بين الأطفال منذ الصغر، ومن شأن هذه البرامج أن توجد جيلاً مشعوذًا خرافيًا خياليًا كحالة هذا الولد الذي حاول القفز من المكتبة الكبيرة وألقى بنفسه على أخيه الصغير مما أدى إلى إصابته إصابة خطيرة في العمود الفقري، وكحالة منيرة التي ترى أنها تستطيع أن تقفز إلى المنزل المجاور وتسرق ما تُريد وتُعلل ذلك، فتقول: «إنه صح.. ولن يضربنا أحد؛ لأنَّ القرد وصاحبه سرقا، ولم يقل لهما أحد شيئًا، وأنا أُريد أن أكون شجاعة مثلهما!!» وكحالة الطفل الذي يسجد لدمية أطفال؛ حتَّى تحقق له ما يريد!! وغير ذلك كثير مما شوهد.

الأحكام أغلبية ولا عبرة بالشذوذ:

ولذلك نقول: إنَّ الحكم هو المنع من التليفزيون؛ لأنَّ الأغلب عليه الشر والفساد،

ووجود برنامج ديني فيه لا يمنع هذا الحكم إذ الأحكام أغلبية، ولا عبرة بالشذوذ، ولا التفات للندرة.

لقد كان بمقدورنا أن نُحسن استخدام الإذاعة والتليفزيون وغيرها من وسائل الإعلام فيما يقربنا من رضوان ربنا، ويُباعد بيننا وبين سخطه وأليم عقابه، والأمر سهل ويسير على من وضع كتاب ربه وسُنَّة نبيه نُصب عينيه، ولم يلتفت لأقوال الملاحدة والزنادقة والمنحرفين.



المصاحف في متاحف الأفراد والدولة

لقد نُقل إلينا القرآن نقلاً متواترًا، وحفظته السطور والصدور، أن تضل إحداهما فتُذكر إحداهما الأخرى، وحفظ الصحابة ﷺ حدوده وحروفه، واستظهروا علومه، حتَّى قال ابن مسعود ﷺ: «والله ما أحد أعلم بكتاب الله مني، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لرحلتُ إليه».

ونظروا لكتاب الله على أنه رسائل من ربهم ففيه خبر من قبلهم، ونبأ من بعدهم، وحكم ما بينهم، هو الجد ليس بالهزل، من عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم، وهو الصراط المستقيم، والذكر الحكيم، والحبل المتين، وهو كلام الله أنزله على رسوله ﷺ، وتعبَّد الناس بتلاوته، فقاموا به آناء الليل وأطراف النهار، وحكّموه في حياتهم الخاصة والعامة، ونزلوا على تشريعه في سياستهم واقتصادهم واجتماعهم وأخلاقهم وحربهم وسلمهم، حكامًا ومحكومين، ووصلوا به الأرض بالسماء والدنيا بالآخرة، فدانت لهم الدنيا شرقًا وغربًا، وأعزهم الله سبحانه ونصرهم على عدوه وعدوهم، ومكَّن لهم دينه الذي ارتضى لهم.

القرآن ينادينا من مكان بعيد:

ولم يدم الحال على ذلك طويلاً، فاتخذنا القرآن مهجوراً، هجرنا تلاوته وحفظه وتحليل حلاله وتحريم حرامه، والوقوف عند حدوده، وأصبح القرآن بضاعة للموتى، يُقرأ في المقابر وعلى الموتى، وفي المناسبات، كالأربعين، والسنوية، والمولد النبوي، ويوضع مُغلقًا في علبته وبورقته في المنازل والسيارات تبركًا به!!، ولا نُكلف أنفسنا فتحه والاطلاع فيه، وكما وضعه الأفراد في متاحفهم، كذلك صنعت الدولة، حين وضعته في متاحف التاريخ، لقد هجر الأفراد والدولة تحكيمه وتفنن الكل في زخرفته وتزيينه، وقامت المطابع بطرح ملايين المصاحف، ولكن أين نحن من كلام ربنا والاستمساك به؟! لقد أصبح القرآن وكأنه ينادينا من مكان بعيد من يوم بدر وأُحُد

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

العقبة الكئود أمام استقرار الأعداء:

لقد أصبح القرآن عبارة عن ثقافة كسائر الثقافات الشرقية والغربية، تطرب له الآذان، ونرسل عند سماعه التأوهات دون أن نُحرك ساكنًا في حياتنا الخاصة والعامة، لقد انطلت علينا حيل الأعداء، فقد وقف وزير الخارجية البريطانية يومًا في مجلس العموم وقال: «إنَّ العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد الإسلام هذا الكتاب، وهذا البيت» وأمسك بيده المصحف، وأشار بالثانية إلى الكعبة.

وجدوه حجر عثرة في طريقهم، فتفننوا في محاربته والصد عن سبيله، وسار الأذناب في ركبهم، وكان أن حُورِبَ الإسلام بيدِ أبنائه بعد أن كان يُحارب بيد أعدائه، وأصبح القرآن منبوذًا وسط أهله وبنيه إلاَّ من التلاوة في المناسبات، وأصبح من يدعو لتحكيمه محاربًا طريدًا !!، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) ﴾ [الصف: ٨].

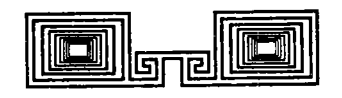
إنَّ القرآن ما زال بين أيدينا، لم يرفع بعد من السطور ولا من الصدور، به تتحقق خيريتنا وعزَّتنا، وبتطبيقه نسعد في دنيانا وأخرانا، وبالاستقامة عليه نسود الدنيا ونملؤها عدلاً بعد أن مُلئت ظلمًا وجورًا.

حياة القلوب والأرواح:

ولا حياة لقلوبنا ولا لأرواحنا إلاَّ بالعمل به، بل بطن الدنيا خير لنا من ظهرها إن نحن تركنا كتاب ربنا وراءنا ظهريًا ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ويقول سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) ﴾ [الشورى: ٥٢].

لا داعي لأن نرقع بالقرآن عوج الحياة:

هيا بنا نرتفع لمستوى إسلامنا، ونُغيِّر بديننا عوج الحياة لا أن نرقع بكتاب ربنا هذا العوج؛ فالإسلام دين ودولة، وإنَّ الله ليُزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، كما قال عثمان ابن عفان ﷺ، فإذا رأينا السلطان قد افترق عن الكتاب فلا يصح مفارقة الكتاب، بل لابد من القيام لله بحقه؛ حتَّى يعود الأمر إلى نصابه، ولا سبيل لتحقيق ذلك إلاَّ بسلوك طريق الأنبياء والمرسلين، وأن نتربى على كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، هذا النبع الصافي الذي تربى عليه سلفنا الصالح ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٤، ٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾ [العنكبوت: ٦٩].



التفسير المادي للتاريخ[1]

المنهج الإسلامي في تفسير الحوادث مستقل عن كافة المناهج الوضعية، ويتميز عليها باستمداده من المصادر الشرعية - الكتاب والسُّنَّة -، والعلماء المسلمون عرفوا هذا المنهج في تفسير التاريخ، والنظر إلى حوادثه، وقد استفادوا من طريقة القرآن في عرض الأحداث التاريخية، ودعوته إلى إدراك السُّنن والإفادة من التجارب البشرية السابقة، وإن لم يفردوا ذلك بمؤلفات مُستقلة، حيث كانت الصورة واضحة في أذهانهم عن الهدف من دراسة التاريخ. يدل على هذا اختيارهم لعناوين كتبهم وبيانهم للهدف الذي من أجله كتبوا هذه الكتب وتعقيباتهم على بعض الأحداث، ولكنهم لم يتدخلوا بالتفسير والتعليل؛ حتَّى لا يفرضوا على القارئ رأيًا معينًا، ولكي لا يتسلطوا على فكره بتوجيه أو تعليل محدد للحدث.

انحسار مفهوم الإسلام:

وبينما القارئ في العصور الإسلامية الأولى لديه من الفهم لعقيدته وإسلامه، وإدراك مقتضياتهما ما يجعله يُدرك الحق من الباطل، وكانت لديه المقدرة على وزن الأمور والأحداث بميزان الكتاب والسُّنة، أما المسلمون في العصور الحديثة، فإنهم قد أُصيبت مفاهيمهم بانحراف حيث انحصر مفهوم الإسلام لديهم، حتَّى حُصِر في شعائر التَّعبد من الصلاة والصوم والحج، وفُصل بينه وبين الحياة في الواقع العملي في كثير من بلاد المسلمين مع محاولة التأصيل الفكري لهذا الانحراف بنشر الأفكار العلمانية، وتحريف التاريخ الإسلامي، وتفسيره وفق المناهج الغربية .

دور المدرسة الاستشراقية:

وكان للمدرسة الاستشراقية وتلاميذها في العالم الإسلامي أكبر الدور في ذلك، فزاحمت المفاهيم الجاهلية - غربية وشرقية ومحلية - المفهوم الإسلامي في تفسير

---

(١) راجع «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» لمحمد بن صامل العلياني.

التاريخ ، خاصة بعد التضخيم الأوربي لمناهج التفسير التاريخي أو ما يسمى : « فلسفة التاريخ » وتوسعهم في أسباب وعلل الحوادث وإعطاء التاريخ أهمية أكبر من حجمه الحقيقي، بل لقد جعلوه مصدر الإلهام، وطلبوا منه إعطاء التصور عن الكون والحياة والإنسان، وتفسير الطبيعة – كما يقولون – فأدّى بهم خطأ التصور عن التاريخ إلى أن وضعوه في منزلة الإله الذي يُتلقى منه نظام الحياة والتصور الصحيح عن الكون والإنسان، ويُسْتفتى في حل المشكلات .

مذاهب تفسير التاريخ:

ونظرًا لعدم انطلاقهم من عقيدة ثابتة وتصور واحد، فإنهم قد تعددت مذاهبهم بحسب مشارب العقول والثقافات والأهواء والرغبات، مما أوجد مذاهب في التفسير متعددة ومتناقضة مثل التفسير المادي الماركسي، والتفسير المثالي عند هيجل، والتفسير الحضاري، والتفسير القومي، والتفسير بالغريزة الجنسية . وأما سمات التفسير الإسلامي وخصائصه ، فهي صحة التصور والواقعية والتوازن والشمول والصدق .

التفسير الماركسي (المادي) للتاريخ:

ونحن إذا نظرنا للتفسير المادي (الماركسي) للتاريخ لوجدناه يقوم على تصور معين وفلسفة شاملة في تعليل الكون والإنسان والتاريخ، فالمادة في نظره هي أصل الكون، والإنسان ثمة قوى أخرى غير الطبيعة قد أثّرت في نشوئه وارتقائه، والعامل الحاسم المسير لهذا التطور هو « وسائل الإنتاج » وهذه الوسائل هي التي تُحدد نوع العلاقات الاقتصادية في كل مرحلة من مراحل التطور التي مرّت فيها البشرية – كما يزعمون – وهذه الوسائل هي التي تحتم نوع العلاقات الاجتماعية والعقائدية والمذاهب الأخلاقية، بل الحياة العلمية والفكرية والروحية، بكاملها، فكل تغير في وسائل الإنتاج يحدث عنه تغير في هذه العلاقات، فالأديان والأفكار الأخلاق كلها تتغير وتتبدل حسبما تفرضه وسائل الإنتاج من تغير وتبدل حتمي، ولا دور للإنسان فيه!! .

ومن طبيعة العلاقات الاقتصادية تقسيم الناس إلى طبقات تختلف حسب

تسلطها على وسائل الإنتاج، فيقع الصراع بين طبقات المجتمع؛ لأنَّ الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج تتمسك بسيادتها، بينما الطبقة المحرومة (طبقة العمال) تسعى إلى إيجاد وسيلة جديدة في الإنتاج، وتبعًا لذلك تمتلك السيادة.

والخلاصة: أنهم يرون أنَّ التاريخ البشري كله يعيش في صراع وتبدل في قيمه وموازينه حسب تبدل وسائل الإنتاج وتطورها، ويرون أنَّ المجتمع البشري ابتدأ بالشيوعية البدائية (الجماعية)، ثم بسبب اكتشاف وسائل الإنتاج تحول إلى نظام الطبقات القديم (سادة وعبيد)، ثم بفعل تطور جديد في وسائل الإنتاج تحول إلى مرحلة الإقطاع، ثم انتقل منها إلى الرأسمالية (رأسماليين وعمال)، ثم انتقل إلى الشيوعية حيث تنعدم الطبقات - كما يزعمون - .

ثبوت بطلان المادية الماركسية:

وهذا كله ضرب من الفرضيات التي لا دليل عليها، بل الدليل ضدها في كل نقطة، ويكذبه الواقع المعاش للشيوعية المعاصرة، وقد تفتتت دولة الاتحاد السوفيتي - بحمد الله -، وكان الجهاد الأفغاني بمثابة أول مسمار في نعشها، وعلينا أن نجاهد لإنهاء طغيانها المادي الذي فرضه البعض على الواقع وبمقتضاه فسروا التاريخ الإسلامي كما يحلوا لهم تفسيراً ماديًا أو قوميًا أو علمانياً.

الشروط المطلوبة في المؤرخ:

وقد تكلم العلماء على الشروط المطلوبة في المؤرخ مقبول الرواية، ومن هذه الشروط ما يتعلق به ذاته ومنها ما يتعلق بما ينقله ويرويه، أما الشروط المتعلقة بذاته فهي: العدالة والقدرة على التمييز بين المقبول والمردود من الروايات، والعلم بأصول الأحكام الشرعية، وبمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم، وبمدلولات الألفاظ ومواقعها مع مصاحبة الورع والتقوى بحيث لا يأخذ بالتوهم، ولابد من الضبط لما يراه أو يسمعه، وتجنب الغرض والهوى، وأن يكون حسن التصور للموضوع الذي يكتب فيه، جيد العبارة، عفّ اللسان عن المنكر من القول.

شروط قبول الرواية :

أما بالنسبة للرواية : فلابد من اعتماد اللفظ دون المعنى، وذلك بأن ينقل الكلام بنصه دون أن يتصرف فيه، وأن يُسمي المؤرخ المصدر الذي نقل عنه معلوماته، وأن يكون نقله مضبوطًا .

وفي الحديث : «**إيَّاكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث**»(١) ، وورد : «**كفى بالمرء كذبًا أن يُحدث بكل ما سمع**» (٢) .

ودلت هذه النصوص على القاعدة المنهجية التي يجب التمسك بها، وهي : الرجوع إلى الأمر المعلوم الثابت، وأنَّ هذا الأمر لا يُدفع بالظنون والشبهات والأوهام، وأنه لابد من الرجوع إلى المصادر الأصلية لمعرفة الحقيقة، فلا يُؤخذ من الكذابين والفاسقين؛ لأنَّ فسقهم يدفعهم إلى تصور الأمر على خلاف ما هو عليه، وأنَّ المرء المسلم لابد له من التثبت والتحقق مما يسمع وأن لا يأخذ من كل من هبَّ ودبَّ، ثم يرويه قبل معرفته لحاله، ثم بيان ذلك، وإلاَّ كان من الكذابين .

أحوال أهل البدع:

فمن كان مبتدعًا بدعة مكفرة مثل الروافض الذين يسبون أبا بكر وعمر ويُكفّرون الصحابة، ومثل طوائف الباطنية من قرامطة وإسماعيلية ونصيرية وغيرهم من الزنادقة والحلولية والثنوية، فهؤلاء لا تقبل روايتهم ولا كرامة.

أما هؤلاء الذين لا تصل بدعتهم إلى الكفر والخروج من الملة، فمن كان منهم معروفًا بالكذب أو قلَّة الضبط فلا تُقبل روايته، وهذا شرط في كل راوٍ - مبتدعًا أو غير مبتدع - ومن كان مشهوراً بالورع والتقوى والضبط لما يرويه فتُقبل روايته، حتّى وإن كان داعيًا لبدعة شريطة أن لا يكون ما يرويه مؤيداً لبدعته، وقد نُقل عن جمع من المتقدمين، كابن سيرين ، أقوال تُفيد رد رواية كل مبتدع دون تفريق بين الداعية وغيره.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

الأخبار المرويّة عن أهل السُنَّة:

وما كان متعلقًا بالأخبار عن أهل السُّنَّة سواء في التاريخ العام، أو في التراجم الشخصية، فهذا ينظر فيه إلى تعصب الراوي من عدمه، فمن لاحت عليه أمارات التعصب أُسقط خبره؛ لأن الخصومة حجاب ساتر عن رؤية الحقيقة، ثم أقوال العدول الثقات – ولا عدالة من غير الإسلام – التي إذا سُبِرَت وتُتبعَت ووجدت مطابقة للحق والواقع مقبولة بإطلاق.

وإذا كان علماء الإسلام لا يثبتون الأحكام بما يرويه المسلم ضعيف الضبط، فكيف يحق لقوم مؤمنين أن يحملوا عن كافر سقط العدالة، بل يحمل من الحقد والبغضاء على هذا الدين وأهله ما الله به عليم، إنَّ القول في الأحكام الشرعية، وفي النظم الإسلامية وفي تقدير رجالها وتاريخها لا يُؤخذ إلاَّ من المسلم العارف الثقة، أما غير ذلك فلا اعتبار لقوله ولخلافه لو خالف.

حكم الأخذ من كتب غير المسلمين:

وما في كتب غير المسلمين ينظر إليه، فإذا كان الموضوع متعلقًا بديانتهم، وهي ديانة وثنية، فإنه حينئذ لا بأس من الأخذ عنهم مع النظر والمقارنة، أما إذا كانوا من أهل الكتاب وما يذكرونه عن ديانتهم ينسبونه إلى الله سبحانه وتعالى، أو إلى رسولهم أو غيره من رسل الله عليهم الصلاة والسلام، فإنَّ هذا لا يقبل منهم، ولا يُؤخذ عنهم إلاَّ وفقًا لضوابط رواية الإسرائيليات؛ حتَّى لا ننسب إلى الله أو إلى رسول من رسله ما لم يقله.

وإذا كان الموضوع متعلقًا بديننا من شرح أو تفسير أو إطلاق أحكام على الشخصيات الإسلامية، أو على علم من علوم الإسلام أو نظام من النظم الإسلامية، أو دراسة لسيرة النَّبيّ ﷺ، فإنهم لا يصدقون فيما يقولونه، ولا يحل للمسلم أن يأخذ عنهم في هذا المجال؛ لأنهم ليسوا أهلاً لأن يؤخذ عنهم شيئًا من دين الله، ولأن من شروط البحث في هذه القضايا الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر.

بعض القواعد المهمة في أسلوب الكتابة وطريقة العرض:

وبما أن دراسة التاريخ في حسِّ المسلم مرتبطة بعقيدته، والتاريخ أداة من أدواته في الدعوة إلى الله، وتحقيق عبوديته بإقامة منهجه، وتحكيم شريعته؛ فإنه يتوجب عليه ملاحظة بعض القواعد في أسلوب الكتابة وطريقة العرض، ومنها:

[١] جعل العقيدة الإسلامية المحور الأساسي في عرضه:

جعل العقيدة الإسلامية المحور الأساسي في عرضه، فإنَّ البشرية على طول تاريخها كلما فاءت إلى هذه العقيدة، وتمسَّكت بها حصل لها السعادة والتمكين في الأرض، وكلما بعدت عنها أُصيبت بالأمراض الاجتماعية والخُلُقية، وفشا فيها الظلم والجور، وسلط عليها الأعداء.

[٢] المحافظة على الوقائع التاريخية الصحيحة:

والتركيز على التصورات الإسلامية الصحيحة أثناء العرض الموضوعي للحادثة التاريخية، يتم مع ملاحظة المحافظة على الوقائع التاريخية، وعدم الإخلال بها وعرضها كما جاءت في مصادرها الصحيحة، وفي هذا المقام لابد وأن تعلم أنَّ البشرية قد ابتدأت بنبيٍّ مُكلَّم وهو آدم عليه السلام، أي بمرتبة هي أعلى مراتب الهداية، فليس صحيحًا أنَّ أول من دعا بالتوحيد هو إخناتون، ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ** (٢٤) ﴾ [فاطر: ٢٤]، ﴿ **رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾ [النساء: ١٦٥]

[٣] التركيز على الأهداف والغايات:

ولابد من التركيز في العرض على الأهداف والغايات؛ فالمؤمن له في الحياة هدف وغاية عُليا، يسعى دائمًا لتحقيقها وهي عبادة الله وحده، وعند دراسته لحقبة معينة من الزمن أو حادثة من الحوادث، فإنه لا ينظر إلى هذه الدراسة إلاَّ كوسيلة من الوسائل للوصول إلى الغاية العليا، فلا يُنفق كل جهده في الوسيلة، ويترك الغاية، ولذلك

ينبغي أن لا تشغلنا الدقائق التفصيلية في حوادث التاريخ عن العبرة من الحدث والرؤية الشاملة له، وعن الإعتبار الذي يترك في النفس أثرًا، وإنفاق الوقت والجهد في البحث عن أمور لا طائل تحتها ولا تعود على البحث بفائدة، وليست من هدف المسلم ولا غايته في الحياة، إلاَّ أن يكون البحث في التفصيلات مُتعلق به مقصد شرعي، فلابأس حينئذ من البحث ومحاولة إثباته.

ومن صور الخلاف الذي لا فائدة منه اسم صاحب يس ولونه وطوله وبلده واسم أبيه، وكذلك مؤمن آل فرعون، وعدد أهل الكهف ولون كلبهم، فالناس عادة يتعلقون بالأمور الجانبية التي لا فائدة ترجى من وراء معرفتها، ويختلفون في ذلك، ثم يخوضون بالجدل فيه بغير علم ويتركون المقاصد والأمور المهمة، وهي أخذ العبرة من وراء سياق القصة.

[٤] أن يكون العرض موحيًا بتحبيب الخير وتبغيض الشر:

وينبغي أن يكون العرض موحيًا بتحبيب الخير، وتبغيض الشر؛ فالمؤرخ صاحب رسالة وحامل مشعل هداية للبشرية وميزانه في معرفة الخير والشر، ليس عرف الناس، ولا ما تواطأ عليه أهل زمن، أو قررته هيئة من الهيئات أو زعيم من الزعماء إنما ميزانه هو شرع الله، ولذلك فالمؤرخ في دراسته يجب عليه أن يفحص ويُدقق وينقُد المصادر والمراجع، ويتثبت غاية التَّثبت، وأن يعرض الأحداث بأمانة وصدق، ثم عليه أن لا يُظهر الباطل بمظهر الحق ولا يُظهر الشر بمظهر الخير إنما يُسمي الأشياء باسمها؛ فالحق حق مهما كان فاعله، والباطل باطل مهما كان قائله، والميزان هو شرع الله، وهذا من أعظم غايات دراسة التاريخ وثمراته.

[٥] إبراز دور الأنبياء:

كما أنَّ على المؤرخ أن يُبرز دور الأنبياء، وأثرهم في تاريخ البشرية، وكيف جاءوا بعقيدة واحدة؟ هي: إفراد الله بالعبادة والاستسلام له بالطاعة والخلوص من الشرك وأهله وتوضيح أنَّ الإسلام هو دين الأوَّلين والآخرين ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل

عـمـران : ١٩] ، ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**(٨٥) ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وتبيين أنَّ التاريخ البشري كله يمثل صراعًا بين الحق والباطل والإيمان والكفر، ودور الأنبياء وأتباعهم يُمثل في تاريخ البشرية كلها خطًا مُستقلاً ومرتبطًا بعضه مع بعض من آدم إلى محمد ﷺ وتقف بإزائه الجاهليات على تعدد أنواعها واختلاف عصورها، فالجاهليات تُشكل أُمَّة واحدة وحزبًا واحدًا في مقابل أمة الإسلام، ودعوة الحق، وحزب الرحمن وأتباع الرسل والأنبياء، وما من فترة سيطرت فيها الجاهليات إلاَّ وأصيبت البشرية بالشقاء والتعاسة وسادها الظُّلم، ولا أظلم من الشرك بالله .

[٦] تحري استعمال المصطلحات الإسلامية :

ثم على المؤرخ تحري استعمال المصطلحات الإسلامية، وتجنب المصطلحات الدخيلة، مثل : الوحدة العالمية والإخاء الإنساني، والتعاون الدولي، والسلام العالمي، وزمالة الأديان، والحرية، والمساواة، والتقارب بين المؤمنين بالله في مواجهة الإلحاد والشيوعية . . .

وأن نعلم أنَّه لا التقاء بين الحق والباطل، ولا بين الهدى والضلال؛ فالديمقراطية والاشتراكية والثيوقراطية والدكتاتورية والإمبراطورية واليمين واليسار والمحافظين والليبرالي والإمبريالي والأحرار والأرستقراطية . . . كلها مصطلحات أوربية ذات مضامين ودلالات محلية وتاريخية، ولا يمكن فصلها عن ذلك الوسط الاجتماعي والظروف التاريخية والثقافية التي لابست نشوء هذا المصطلح أو ذاك، وأن كل كلمة لها معنى ورصيد عند أهلها، ولابد من ضبط اللفظ والمعنى بما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ ، فلا يصح الترويج لها في بلاد المسلمين ولا حتَّى إضافة الإسلام إليها كالديمقراطية الإسلامية، فهذا مما يروج للفظ الديمقراطية (بمضمونه عند أهله) ويُحببها للنفوس مع ما تحمله من خراب ودمار .

[٧] الابتعاد عن أسلوب التعميم قبل حصول الاستقراء:

ومن جملة هذه القواعد المهمة التي تُراعى الابتعاد عن أسلوب التعميم قبل حصول الاستقراء، فمثلاً لا يصح أن نقول: إنَّ أهل المدينة كلهم تخاذلوا عن نصرة عثمان بن عفان ﷺ أو رغبوا في قتله، كما لا يجوز أن نأتي إلى مجتمع من المجتمعات أو عصر من العصور، فنحكم على أخلاق أهله من خلال شعر اثنين أو ثلاثة، أو حتَّى مئة من الشعراء الماجنين، فنقول: إنَّ هذا العصر عصر مجون وتهتك وخلاعة، أو أن نَصف أُسرة كأسرة بني أمية بأنها كلها ظالمة، أو نقول: إنَّ فرقة المُرجئة أو المعتزلة كلهم زنادقة ومنافقون؛ لأن كل طائفة لا تخلو من بعض الخيِّرين أو العوام، أو المجتهدين المتأولين، غير أنَّ الحكم يكون للغالب، فلا شك أن كتابة التاريخ أمانة.

بعض صور الخيانة التي حدثت في كتابة التاريخ:

إنّ هذه الأمة بحاجة شديدة وماسة لدراسة التاريخ دراسة صَحيحة بعيداً عن التشويهات التي تمت على أيدي الملاحدة والزنادقة، وبعيداً عن التشهيرات بصحابة رسول الله ﷺ، والخلافة الإسلامية في عهودها المختلفة، والتي تمت على أيدي المغرضين من أجل إبعاد الأمة عن دين ربها.

وقد كان أيوب السختياني يقول: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من صحابة رسول الله ﷺ فاعلم أنهم أرادوا أن يجرحوا شهودنا ليعطلوا العمل بالكتاب، والجرح بهم أولى وهم زنادقة» .

نحن بحاجة لتصحيح معاني التعليم والإعلام للتدقيق في كل كلمة ومصطلح ابتداء بهذا التقسيم الشائع لمراحل التاريخ بأنه قديم ووسيط وحديث، فهذا التقسيم إن كان يصلح فهو يصلح مع أوروبا ولا يصلح مع المسلمين بحال؛ فالقرون الوسطى عندنا كانت قرونًا شاعت فيها الهداية والنور، حتَّى وإن وصفها الغربيون بالقرون المظلمة، لابد من وقفة شرعية تجاه هذا الطغيان المادي الذي لحق بالتاريخ وزيفه.

نسبية الأخلاق

العلوم الإنسانية في الغرب - والتربية في مقدمتها - تقوم على أسس خطيرة، وهذه الأسس هي:

[١] النظرية المادية التي لا تعترف بوجود الخالق جلَّ وعلا، وتضع مكانه الطبيعة.

[٢] النظرية التي تُخضع الإنسان لمفهوم الحيوان سواء من ناحية النفس «فرويد» أو المعدة «ماركس» أو مسئولية المجتمع «دور كايم».

[٣] نسبية الأخلاق باعتبارها ليست من الدين، ولكنها عادات وتقاليد، وقد تطرق هذا الخلل المادي الذي يوصف باسم العلوم الإنسانية والتربية إلى أبناء أمتنا، وتشربته نفوسهم، بعد أن تعلموه ودرسوه في الجامعات هنا وهناك، فنظريات دارون وفرويد وماركس وسارتر ودور كايم التي زيفها الغرب وفرضها على جامعاتنا على أنها علوم - وهي ليست كذلك - وجدت نفوسًا مهزومة وآذانًا صاغية وقلوبًا لاهية عن دينها، فكانت هذه اللوثة الأخلاقية التي تُعاني الأمة من مظاهرها.

انحرافات أخلاقية لا حرج فيها عند البعض:

فأصبح لا حرج من الرجل أن تُراقص امرأته الرجل، بل ويسمح لها بذلك؛ إظهارًا للفرنجة والتخلق بأخلاق الأوروبيين!! ولا مانع من أن يجد صديقه مع امرأته بمفردها في المنزل وهنا وهناك، ولا اعتراض؛ حتّى لا يكون متخلفًا رجعيًا متزمتًا!! وتسير المرأة أمام الرجال في المواكب وتتقدم في النزول من السيارة، فهذا هو البروتوكول كما يزعمون، ومن الإتيكيت أن يأكل الإنسان بشماله عند هؤلاء !!، وما أكثر الذوقيات والإنسانيات - عند الماديين ومن تشبَّه بهم - المنحلة والمنحرفة والمخالفة لكتاب الله ولسُنَّة رسول الله ﷺ، كيف تكون الأخلاق عادات وتقاليد؟! والله يقول: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣].

النظام الأخلاقي الإسلامي:

لقد أغنانا سبحانه وكفانا، فلسنا بحاجة لهذا التبذل الذي يُطلق عليه اسم الإتيكيت أو الذوقيات، وقد قال رسول الله ﷺ: «**تركتُ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسُنّتي**» لقد أثنى الله تعالى على نبيّه بحسن خلقه فقال: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] وأمره بمحاسن الأخلاق فقال: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤]، وجعل الأخلاق الفاضلة سببًا تُنال به الجنة، فقال: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴿١٣٣﴾ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، وبُعث رسول الله ﷺ بإتمامها فقال ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[١]، وبيّن فضل محاسن الأخلاق فقال: «**ما من شيء في الميزان أثقل من حُسن الخلق**»[٢] وقال: «**البرُ حسن الخلق**»[٣]، وقال: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا**»[٤]، وقال: «**إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»[٥] وسُئل عن أي الأعمال أفضل، فقال: «**حُسن الخلق**»، وسُئل عن أكثر ما يُدخل الجنة فقال: «**تقوى الله وحُسن الخلق**»[٦].

معنى حُسن الخلق:

ولما كان البعض يتوهم أنه إذا أصلح فيما بينه وبين ربه، فقد كفاه ذلك، بيّن النّبيّ ﷺ أنَّ التقوى لا تتم ولا تكتمل حتَّى تُعطي كل ذي حقٍ حقه، وتُخالق الناس بخلق حسن، فقال ﷺ: «**اتقِ الله حيثُما كُنت، وأتبع السيِّئة الحسنة تمحُها،**

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد وأبو داود.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد وأبو داود.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه الترمذي وصححه.

وخالق الناس بخلق حسن» ، وجماع حُسن الخلق أن تُعطي من حرمك وأن تصل من قطعك، وأن تعفو عمَّن ظلمك، وقالوا في معنى البر: شيء هيّن، وجه طليق، وكلام لين.

وقال الحسن في بيان حسن الخلق: حسن الخلق بسط الوجه، وبذل الندى، وكفّ الأذى، وقال عبد الله بن المبارك: حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم وطلب الحلال، والتوسعة على العيال، وقال آخر: حسن الخلق كف الأذى، واحتمال المؤمن. وقال آخر: حسن الخلق أن لا يكون لك همٌّ غير الله تعالى.

وقالوا في علامة ذي الخلق الحسن: أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًّا وصولاً وقوراً، صبوراً رضيًا حليمًا، وفيًا عفيفًا، لا لعانًا ولا سبابًا، ولا نمامًا، ولا مغتابًا ولا عجولاً، ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشَّاشًا هشاشًا، يُحب في الله، ويُبغض في الله، ويرضى في الله ويسخط في الله.

أدب المسلمين مع ربهم:

إنَّ المسلمين قوم أدَّبهم دينهم فعرفوا كيف يتأدبون مع الله جلَّ وعلا، كيف يوحدونه ويعبدونه، وأنه ليس من الأدب كفران النعم، ولا أن يجاهر العبد سيده بالمعاصي، ولا الفرار ممن لا مفر منه، ولا الاتكال على من لا حول له ولا قوة، وأنَّ العبد بقدر تمسكه بشرع الله تعلو درجته، وتعظم كرامته، فيُصبح من أهل ولاية الله ورعايته ومحط رحمته.

الأدب مع كلام الله سبحانه:

كما تعلَّموا كيف يتأدبون مع كلامه سبحانه، فأحلوا حلاله وحرَّموا حرامه، وتخلَّقوا بأخلاقه، فهو أفضل الكلام، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

كيف يكون الأدب مع رسول الله ﷺ ؟

كما تأدبوا مع نبيهم ﷺ، فلم يتقدموا بين يدي الله ورسوله بقول ولا فعل، يستنون بسُنَّته ويُعظمون هديه، ويحذرون مخالفته، ولمَ لا فهو أجمل مخلوق وأكمله على الإطلاق، فكيف لا يجب التأدب معه ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)** ﴾ [النور: ٦٣]، ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ليس من الأدب الاعتراض على سُنَّته أو الاستهزاء بها وبأهلها أو زعم أنها لا تصلح في هذا الزمان أو أنها تنفر الناس، أو وصفها بأنها سفاهات وتفاهات يتمسك بها البعض.

لابد من الحذر ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩)** ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

الأدب مع العلماء:

والعلماء هم ورثة الأنبياء؛ ولذلك وجب التأدب معهم، فلحومهم مسمومة وسُنَّة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وإذا لم يكن العلماء بأولياء لله فليس لله وليّ، وقد أثنى عليهم سبحانه بقوله: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ** ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال: ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣)** ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٨].

وكان عليٌّ رضي الله عنه يقول: «سادة الأمة العلماء. تسلم عليه خاصة وتجلس قدامه، ولا

تُشِرْ بيدك، ولا تغمز بعينيك، وتقول: قال فلان بخلاف قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تُلح عليه في السؤال».

الأدب مع الوالدين:

وما أكثر النصوص التي تأمر بالأدب مع الوالدين، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)** ﴾ [العنكبوت: ٨].

أين هذه الصور الآن؟

أتى رجل لعمر رضي الله عنه يقول له: إنَّ لي أُمًّا بلغ منها الكبر وإنها لا تقضي حاجتها إلاَّ وظهري لها مطية، فهل أدّيْت حقها؟ قال له عمر رضي الله عنه: لا لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه وتتمنى فراقها.

وقال علي رضي الله عنه: لو علم الله شيئًا من العقوق أدنى من أفٍ لحرّمه، فليعمل العاق ما شاء فلن يدخل الجنة.

وقيل لعليّ بن الحسين: إنك من أبر الناس، ولا تأكل مع أمك في صحفة؟ فقال: أخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما تسبق عيناها، فأكون قد عققتها.

وكان أبو حنيفة - رحمه الله - يحمل أمه على حماره إلى مجلس عمر بن ذر؛ لأنها تريد ذلك، وهو يحرص على إطاعة أمه، ويقول أبو حنيفة: وربما أمرته أن يذهب ويسأله عن مسألة، فآتيه فيقول: وأنت تسألني عن مثل هذا، فيُخبره أبو حنيفة بجواب المسألة. وربما قالت: لا أقبل إلاَّ فتوى زرعة القاضي، فيحملها إليها، فيقول زرعة: أنت أعلم وأفقه، فأفتها، فيقول أبو حنيفة: أفتيتها بكذا وكذا، ولكنها لم تقبل، فيقول زرعة: والقول ما قال أبو حنيفة.

وكان محمد بن سيرين يُكلم أمه كما يُكلم الأمير الذي يريد أن ينتصف منه.

الأدب مع الكبير:

وكان سلفنا الصالح ﷺ يوقرون كبيرهم ويرحمون صغيرهم ويعرفون لعالمهم حقه، فكان عمر وعثمان إذا لقيا العباس عم رسول الله ﷺ نزلا إعظامًا له إذا كانا راكِبَيْن.

ولما قيل لرجل من بني عبس، ما أكثر صوابكم، قال: نحن ألف رجل، وفينا حازم واحد، ونحن نُطيعه فكأننا ألف حازم.

والإسلام لا يمنع التفاوت بين أقدار الناس، وإن كانوا من الأنبياء والمرسلين ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

آداب الأخوة:

والمسلم يؤمن بما لأخيه المسلم من حقوق وآداب تجب له فيلتزم بها، ويؤديها لأخيه المسلم وهو يعتقد أنها عبادة لله تعالى، فيسلم عليه إذا لقيه ويشمّته [١] إذا عطس ويعوده إذا مرض، ويشهد جنازته إذا مات، ويبر قسمه إذا أقسم عليه في شيء وكان لا محذور فيه، وينصح له إذا استنصحه، ويحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وينصره ولا يخذله، ولا يمسه بسوء أو يناله بمكروه، كما يتواضع له ولا يتكبر عليه ولا يهجره أكثر من ثلاثة أيام، ولا يغتابه أو يحتقره أو يعيبه أو يسخر منه، أو ينبزه بلقب سوء، أو ينم عنه حديثًا للإفساد، كما لا يسبّه بغير حق حيًا أو ميتًا، ولا يحسده أو يظن به سوءًا، أو يبغضه أو يتجسس عليه، ولا يغشه أو يخدعه أو يخونه أو يكذبه أو يماطله في قضاء دينه، بل ينصفه من نفسه، ويُعامله بما يحب أن يعامل به، ويُخالقه بخلق حسن، فيعفو عن زلّته، ويستر عورته، ولا يتسمّع إلى حديث يخفيه عنه، ويساعده إذا احتاج، ويعطيه إذا سأله، ويكافئه على معروفه، أو يدعو له، وبكل ذلك وردت نصوص الكتاب والسُّنَّة، ويحرص المسلم على معاشرة

---

(١) إذا سمعه حمد الله بعد العطاس، يدعو له فيقول: يرحمكم الله.

زوجه بالمعروف، ويصل رحمه، ويُحسن إلى أقاربه، ويعترف بما للجار على جاره من حقوق؛ وذلك لقول النَّبيّ ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**».

الأدب مع الكافر:

والأدب لا يقتصر على المسلم، بل يتعداه إلى الكافر، فلا محبة ولا مودَّة، ولا أخوة ولا صداقة، ولا موالاة بيننا وبين الكفار، وفي ذات الوقت يجوز البيع والشراء مع أهل الكتاب وعيادتهم في مرضهم وضيافتهم والتزوج من نسائهم، وأكل ذبائحهم وهديتهم، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، ورحمتهم بالرحمة العامة، كإطعامهم من جوع وسقياهم من عطش، ومداواتهم من مرض، وتحرُم أذيّتهم وظلمهم، ويجب العدل معهم، وبهذا وذاك وردت نصوص الشريعة.

الأدب حتَّى مع الحيوان:

والمسلم يعتبر أغلب الحيوانات خلقا محترمًا، فيرحمها برحمه الله تعالى لها، ويلتزم نحوها بالآداب التالية: كإطعامها وسقيها إذا جاعت أو عطشت، وإراحتها عند ذبحها أو قتلها وعدم تعذيبها، وهذا لا يمنع من إباحة قتل المؤذي منها كالكلب العقور، والحية والعقرب والفأر، كما دلَّت الدلائل الشرعية.

ولو ذهبنا نتتبع ونستقصي لوجدنا الكثير من الآداب التي تتعلق بكل جانب من جوانب الحياة كالأكل والشرب والنوم والسفر والجلوس واللباس والضيافة.

خصائص النظام الأخلاقي الإسلامي:

ولو نظرنا إلى نظام الأخلاق في الإسلام لوجدناه يتميز بجملة خصائص، ومن أعظمها التعميم والتفصيل، فلم يكتف الإسلام بالدعوة العامة إلى التحلي بالأخلاق الجيدة، والتخلي عن الأخلاق الرديئة، وإنَّما فصل القول في الصنفين، فبيَّن أنواع كل صنف وحددها؛ لئلاً يختلف الناس فيها وتتدخل الأهواء في تحديد المراد منها، كما أن الأخلاق الإسلامية واسعة جداً، فهي تشمل جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو

المتعلقة بغيره، سواء كان فردًا أو جماعة أو دولة، فلا يخرج شيء عن دائرة الأخلاق مما لا نجد له نظيرًا في أية شريعة سماوية سابقة ولا في أية شريعة وضعية.

■ **مراعاة الأخلاق في الوسيلة والغاية على كل مستويات التعامل:**

وقد شاع بين الناس أنَّ العلاقات بين الدول لا تقوم على أساس مراعاة الأخلاق – وللأسف هذا هو الواقع – حتَّى إنَّ أحدهم قال: لا مكان للأخلاق في العلاقات الدولية. ولهذا كان الخداع والتضليل والغدر والكذب من البراعة في السياسة.

إنَّ الإسلام يرفض هذا النظر السقيم، ويعتبر ما هو قبيح في علاقات الأفراد قبيحًا أيضًا في علاقات الدول، والعكس صحيح، يقول سبحانه: ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ**[1] **إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ**[2] **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** (٥٨) ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وعندما أتى أبو جندل يستصرخ المسلمين أن يأووه ويحموه من قريش – وذلك يوم الحديبية – قال له النَّبيّ ﷺ: «**إنَّا عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا، وإنَّا لا نغدر بهم**». وقال الفقهاء: لا يجوز لمسلم أن يخون أهل دار الحرب إذا دخل عليهم ديارهم بأمان منهم؛ لأنّ خيانتهم غدر، ولا يصلح في دين الإسلام الغدر.

والأخلاق الإيمانية لازمة في الوسائل والغايات، ولهذا فلا مكان عندنا للمبدأ المكيافيلي الخبيث «الغاية تُبرر الوسيلة»؛ لأنَّ الغاية يجب أن تكون مشروعة، والوسيلة إليها ينبغي أن تكون محمودة، يقول سبحانه: ﴿ **وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (٧٢) ﴾

[الأنفال: ٧٢].

فالنصرة لإخواننا المسلمين واجبة إلاَّ إذا كانت نصرتهم تستلزم نقض العهد مع الكفار الظالمين، ولا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، فالإيمان لابد وأن

---

(١) اطرح عهدهم وحاربهم.

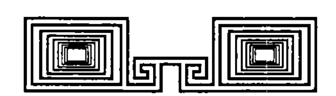
(٢) أعلمهم بنقضهم العهد حتى تتساووا في العلم ببطلانه وبطلان آثاره.

يورث الأخلاق الحسنة، والمسلم يعلم أنَّ الأخلاق السَّيِّئة تُنافي الإيمان وتناقضه، ولا أدلّ على ذلك من قول النَّبي ﷺ : «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**» .

■ **خاصية الجزاء:**

ومن خصائص نظام الأخلاق في الإسلام الجزاء، وهذا الجزاء قد يكون في الدنيا كما يكون في الآخرة؛ لأنَّ الإسلام جاء بالأخلاق أمرًا ونهيًا، وعصيان أوامر الشرع أو ارتكاب ما نهى عنه سبب للعقاب، قال تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** (١) ﴾ [الهمزة: ١] ، كما أنَّ الالتزام بحدود الشرع وطاعته سبب للثواب الحسن، فهيّا بنا نتخلق بأخلاق المؤمنين، ونسأل ربنا أن يرزقنا أخلاق النَّبي ﷺ، فالأخلاق من حيث الجملة يمكن تقويمها وتعديلها، كما يمكن اكتساب الجيد منها والتخلي عن قبيحها، قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** (٧) **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** (٨) **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا** (٩) **وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** (١٠) ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

فاللهم أعطِ نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها، واجعلنا اللهم ممن تنادي عليهم الملائكة على أبواب الجنة وتقول: ﴿ **سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** (٧٣) ﴾ [الزمر: ٧٣].



أمثال مادية طاغية

إذا كان السلوك مرآة الفكر، فلك أن تتخيل حجم الانحراف إذا ترك العباد كتاب ربهم وسُنَّة نبيّهم ﷺ، وأصبحت الأمثال العامية الجارية والمحفوظة وسط قطاعات كبيرة من الناس، هي التي تُشكل المعتقدات والأفكار، ويشب عليها الصغير ويهرم عليها الكبير، ويحسبها الكل ديناً، بل ويستدلون بها كما تستدل أنت على صحة قولك وفعلك بكتاب الله وسُنّة رسول الله ﷺ، والأمثال عادةً كلماتها قليلة، وغالبًا ما تكون مسجوعة، يسهل حفظها من الكبير والصغير والرجل والمرأة، والبعض يعتبرها من جملة التراث الشعبي المميز، والذي ينبغي أن يُحافظ عليه.

التصدي للأمثال المادية:

ونحن عندما نتتبع الكثير من هذه الأمثال نجده وليد الطغيان المادي، ومن شأنه أن يورثنا المزيد منه، ولذلك وجب التصدي له، وذلك لقوله سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)** ﴾ [فصلت: ٣٣]، ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الإسراء: ٥٣]، ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)** ﴾ [ق: ١٨]، ولقوله سبحانه: ﴿ **فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٩)** ﴾ [النساء: ٩].

وفي الحديث: «**لا يستقيم إيمان عبد حتَّى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتَّى يستقيم لسانه**»[١].

ومن جملة هذه الأمثال الشائعة والرائجة على الألسنة:

■ الوقت من ذهب!!:

قول البعض: «الوقت من ذهب» وهذا خطأ؛ إذ وقتك هو عمرك وحياتك، وهذا

---

(١) رواه أحمد.

أغلى وأنفس من الذهب، فكل لحظة من عمرك قد تشتري بها نعيمًا لا ينقضي لأبد الآباد، فمن قال سبحان الله وبحمده غُرست له نخلة في الجنة، وفي الحديث: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»، وسيأتي زمان تُخرج الأرض فيه أفلاذ كبدها مثل الإسطوانة من الذهب، ويخرج الرجل بصدقته من الذهب أو الفضة فلا يجد من يقبل منه شيئًا، قيل لمعرفتهم بقرب قيام الساعة؛ فالذهب إن كان هو كل شيء عند الماديين، فليس بشيء عند عباد الله المؤمنين، إلاَّ أن يقربهم من رضوان الله، بل الدنيا بأسرها كانت في أعينهم مثل التراب.

■ العمل عبادة!!:

ومن أمثالهم: «العمل عبادة» وقد استخدم هذا الكلام أسوأ استخدام، فتجد البعض إذا قيل له صلِّ أو أمُر بالمعروف، وانهَ عن المنكر...، ردد هذه العبارة، ولا شكَّ أنَّ النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت، ولكن لكل مقام مقال، ﴿**إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣)**﴾ [النساء: ١٠٣].

والذي أمرنا بالعمل والكسب هو سبحانه الذي أمرنا بالصلاة وسائر الطاعات ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)**﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

■ من يملك قرشًا يساوي قرشًا!!:

كذلك قالوا: «من يملك قرشًا يساوي قرشًا»، وهي نظرة مادية سقيمة، ومعنى ذلك أنَّ من يملك الكثير من أعراض الدنيا الفانية تكون له قيمة، حتَّى وإن كان كافرًا!! وهذا يتنافى مع قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣] وفي الحديث: «**لا فضل لعربي على أعجمي إلاَّ بالتقوى**»، و«**الدنيا هي سجن المؤمن وجنة الكافر**»، وقصة فرعون وصاحب الجنتين وقارون وأصحاب الجنة تدل على خراب هذا الكلام ودماره.

وقد ساق صاحب كتاب «أمثال شعبية في قفص الاتهام» عشرات الأمثال المتداولة، والتي تتطلب وقفة ومراجعة، ومنها:

■ كتر السلام يقل المعرفة!!:

«كتر السلام يقلّ المعرفة» وهذا يتنافى مع قول النَّبيّ ﷺ: «**تُطعم الطعام، وتُقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»(١)، «**لا تدخلوا الجنة حتَّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(٢)، «**إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر، فليسلم عليه**»(٣).

■ ما ينوب المخلص إلاَّ تقطيع هدومه!!:

ومنها: «ما ينوب المخلّص إلاَّ تقطيع هدومه»، وهذا شأن من يحاول إصلاح ذات البين، فيتضرر، وهذا المثل من شأنه أن يمنع طاعة هي من أجلِّ الطاعات والقربات، ففي الحديث: «**ألا أُخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إصلاح ذات البين، فإنَّ فساد ذات البين هي الحالقة**»(٤)، و«**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**».

■ موت البنات سترة!!:

وقالوا في المثل: «موت البنات سترة» فأين التوكل على الله والرضى بقضائه؟! وأين نحن من قول رسول الله ﷺ: «**من عال جاريتين** (بنتين) **حتَّى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين**» وضمّ أصابعه؟!(٥)، وقال ﷺ: «**سووا بين أولادكم في**

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه أبو داود والترمذي.

(٥) رواه مسلم.

العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضّلت النساء» [١]، وفي الحديث: «**ما من مسلم تُدرك عنده ابنتان فيُحسن صحبتهما إلاَّ أدخلتاه الجنة**» [٢].

بل البنات من أسباب سعة الرزق، فقد روي في الأثر: أنَّ الرجل إذا رُزق بولد، قيل: هو عون لك، وإذا رُزق ببنت، قيل: أنا عون لكما، وفي الحديث: «**ابغوني الضعفاء، فإنما تُنصرون وتُرزقون بضعفائكم**» [٣].

■ **خلف البنات يحوج لنسب الكلاب!!**

ومن الأمثال السَّيّئة والقبيحة: «خلف البنات يحوج لنسب الكلاب». إنَّ العبد مُطالب بالأخذ بالأسباب مع حسن التوكل عليه سبحانه، وحُسن الظن به جلَّ وعلا: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا**﴾ [التوبة: ٥١]، وعليه أن يترفع عن البذاءات تجاه البنات والأنساب، وإلاَّ فهذا المثل من مواريث الجاهلية ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾**﴾ [النحل: ٥٨] وقد توعّد سبحانه أمثال هؤلاء المؤذين فقال: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾**﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وفي الحديث: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا**» [٤]، وروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقّت التمرة التي كانت تُريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرتُ الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «**إنَّ الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار**» [٥].

وعلى الإنسان أن يُحسن تزويج بناته، وأن يختار لهنَّ ذوي الصلاح والتُّقى من

---

(١) رواه البيهقي والطبراني.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه مسلم.

الأكفاء، وما خاب من استخار الخالق واستشار المخلوق، فهذا التقي النقي سيعلم أنَّ «**النساء شقائق الرجال**»، ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وأنَّ المرأة هي وصية رسول الله ﷺ: «**واستوصوا بالنساء خيراً؛ فإنَّهن خُلقن من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً**» (١).

■ **أنا وأخويا على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب!!**

ومن أمثالهم الفاسدة: «أنا وأخويا على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب» أليست هذه عصبية جاهلية؟! فالواجب على الإنسان إحقاق الحق والتزام جانب العدل والقيام لله بالقسط، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ**﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)**﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [التوبة: ٧١]، وقال: ﴿**أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨)**﴾ [هود: ١٨].

وفي الحديث: «**ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية**» (٢)، وقال ﷺ: «**هلك المتنطّعون**» رددها ثلاثًا.

إنَّ الأخوة الإيمانية تتقدم وتعلو على الأخوة النسبية، وهذا المثل من شأنه أن يقطع ما أمر الله به أن يوصل ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وفي الحديث: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا**» (٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) متفق عليه.

■ عيب الرجل جيبه!!:

في المثل: «عيب الرجل جيبه» أي إنما سيُعاب الرجل بقلّة دخله وماله، وفي هذا المثل المادي إهدار لمعاني التُقى وغنى النفس وحسن الخلق، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: «**أتقاهم**» (١)، وفي الحديث: «**ليس الغنى عن كثرة العَرَض** (المال) **ولكن الغنى غنى النفس**» (٢)، وفي الحديث أيضًا: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حُسن الخُلُق، وإنَّ الله يُبغض الفاحش البذي**» (٣)، ويقول النَّبي ﷺ: «**قد أفلح من أسلم، ورُزق كَفَافًا** (٤) **وقنَّعه الله بما آتاه**» (٥).

■ ساعة لقلبك وساعة لربك!!:

وقالوا: «ساعة لقلبك، وساعة لربك»، وهذا من جملة الانفصام المريب الذي تشبهنا فيه مع أهل الجاهلية، فقد كانوا يقولون: اليوم خمر وغداً أمر. وما الذي يمنع من أن تكون الساعات كلها لله، وكلها لسعادة نفسك وراحة قلبك ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨]، فالقلب لا يسعد بالفسق والفجور، بل لو سمينا الأشياء باسمها لقلنا هذه تعاسة وإضاعة ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ** ﴿١٢٣﴾ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]، إنَّ من الخطر بمكان أن نعيش بوجهين وبمفهومين وبولاءين ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩].

■ ارشوا تشفوا!!:

ومن الأمثال الخربة: «ارشوا تشفوا» أي عليكم بالرشوة التي تبلغكم ما تريدون، ورداً على هذا نقول: الرشوة حرام، وكبيرة من الكبائر، ولا بُورك في الحوائج التي

(١، ٢) متفق عليه.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) مقدار حاجته دون زيادة.
(٥) رواه مسلم.

تُقضى بهذا الأسلوب، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ** ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿ **وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢)** ﴾ [المائدة: ٦٢]، وفي الحديث: «**لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما**»[١].

أما إذا كان الإنسان سيأخذ حقه، ولا يتوصل لذلك إلاَّ بالدفع دون أن يجور على حقوق الآخرين، فيجوز له ذلك، والآكل يأكل سحتًا، وليست هذه برشوة في حق من يدفع؛ لأنَّ الرشوة معناها أكل أموال الناس بالباطل، وفي الحديث: «**إني لأُعطي الرجل العطية فيخرج يتأبطها نارًا**» قيل: فلِمَ تُعطيهم؟ قال: «**يأبوا إلاَّ أن يسألوني، ويأبى الله لي البخل**».

■ **اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب!!**

وقالوا: «اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب»، وهذا يتعارض مع ما نهى عنه الشرع من الإسراف والتبذير، قال تعالى: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)** ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)** ﴾ [الإسراء: ٢٧]، وقال: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧)** ﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)** ﴾ [الإسراء: ١٦].

وفي الحديث: «**إنَّ الله تعالى يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا ولاة أموركم، ويكره لكم: قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[٢]، وقال ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**إيَّاك والتنعّم؛ فإنَّ عباد الله ليسوا بالمتنعمين**»[٣].

---

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه أحمد ومسلم.
(٣) رواه أحمد.

■ الحياء في الرجال يورث الفقر!!:

ومن الأمثال المزعومة: «الحياء في الرجال يورث الفقر»، ونقول: الحياء خير كله، ولا يأتي إلاَّ بخير، كما ورد في الأحاديث الصحيحة الثابتة، ويقول النَّبيّ ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلاَّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» (١).

وقد كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفوه في وجهه، وعند الإمام أحمد: «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار**» (٢).

إنَّ خلق الحياء في المسلم غير مانع له من أن يقول حقًا أو يطلب علمًا أو يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر؛ فالحياء خلق الإسلام، فماذا بعد الحياء إلاَّ الفسق والفجور، وماذا بعد قول الحق إلاَّ الضلال، وإذا لم تستحِ فافعل ما شئت.

■ ما تيجي المصائب إلاَّ من الحبايب!!:

وقالوا أيضًا: «ما تيجي المصائب إلاَّ من الحبايب»، والمصائب لا تأتي إلاَّ من مُخالطة الأشرار، والعمل بالذنوب والمعاصي، فما نزل بلاء إلاَّ بذنب، وما رُفع إلاَّ بتوبة، كما قال عليّ رضي الله عنه، وقد حذرنا سبحانه فقال: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾ [هود: ١١٣]، وأين مِثْل الأخ المسلم، فالقرب منه رحمة في الدنيا، وسعادة في الآخرة، يقول النَّبيّ ﷺ: «**لا تُصاحب إلاَّ مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلاَّ تقيّ**» (٣)، وفي الحديث: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» (٤)، وورد أيضًا: «**إنَّ الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أُظلهم**

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

(٤) رواه أبو داود والترمذي.

في ظلي، **يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلي**» [١]، والحق أبلج، والباطل لجلج، وعلى الحق نور فإذا كانت المصائب لا تأتي إلاَّ من الأحباب، فهل الخير يأتي من الأشرار؟!.

■ ساعة الحظ ما تتعوضش!!:

ومن أمثال القوم: «ساعة الحظ ما تتعوّضش»، أي أنَّ لحظات المتعة واللذة يجب أن تُغتنم ولا تُترك، وكأن أصحاب هذه الأمثال لا دين عندهم ولا خلاق لديهم، وكأني بهؤلاء الأشرار لا يراقبون ربهم، وقد أصبحت همّتهم بطونهم، وشرفهم متاعهم، وقبْلتُهم نساؤهم، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم ﴿ **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)** ﴾ [المجادلة: ١٩]، ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)** ﴾ [الروم: ٧].

أيهما أفضل، ساعة حظ تعود بالندم والوبال على صاحبها، أم ساعة ذكر وطاعة يدخرها العبد؟ ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)** ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، إنَّ الذي لا يعوض إذا انقضى هو ذكر الله الذي يُنجي من العذاب، وما أُقيمت الفرائض إلاَّ من أجل ذلك ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤)** ﴾ [طه: ١٤]، وفي الحديث: «**ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من العذاب من ذكر الله**».

وغيرها كثير وكلها دمار:

أمثال كثيرة مثل: «فؤادي ولا أولادي، ومبقاش في العمر ما يستاهل التوبة، والفقي يقيس الميه في الزير، ولك قريب لك عدو، وأخوك من أمك رقعة في كمك، وتعلم الحجامة في روس اليتامى، وازرع ابن آدم يقلعك، وجحا أولى بلحم طوره، وأقل عيشه أحسن من الموت، واللي فات مات، وربنا ما ساوانا إلاَّ بالموت، وما وراء الصبر إلاَّ القبر، والزيت إن عازه البيت يحرم على الجامع، وكلمة باطل تجبر الخاطر،

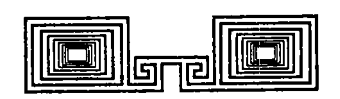
---

(١) رواه مسلم.

واللي يتفكر يتعكر، والفقير لا يتهادى ولا يتداوى ولا تقوم له في الشرع شهادة، والأيام الزفت فايدتها النوم، الفلوس على كل شيء تدوس، الخسارة المستعجلة ولا المكسب البطيء، وأبويا وأبوك القرش، وامشي في جنازة ولا تمشي في جوازة، والسلف تلف والرد خسارة، ويا مآمنة للرجال يا مآمنة للميه في الغربال، واحيني النهاردة وموّتني بكرة، ويا مربي في غير ولدك يا باني في غير ملكك، وإن كان لك عند الكلب حاجة قول له يا سيدي، اللي تعرف ديته اقتله، والأيد اللي ما تقدر تقطعها بوسها، وأبو بلاش كتّر منه، وخالف تُعرف، وخلّص تارك من جارك، وامسك البطال لما يجيك الحق، واتمسكن لما تتمكن، اللي يرشك بالميه رشه بالدم، واتغدى به قبل ما يتعشى بك، وإنْ فاتك الميري اتمرغ في ترابه.... » ، وغيرها كثير تركتها لملال الطول.

إذا كانت شائعة فلابد من تفنيدها:

وكلها واضحة البطلان والشر والفساد؛ فلا تحتاج لرد، وما ذكرتها إلاَّ للتحذير منها، ولأنها شائعة ورائجة، وقد أورثتنا الكثير من الضياع والطغيان، وأبعدتنا عن مرضاة ربنا، وإذا كان كل نبيّ بُعث بلسان قومه ليُبيّن لهم، فهذه الأمثال الخربة والتي تنطوي على معصية الله تعالى لابد من محاربتها وتفنيدها عند من يعتقدها أو يُرددها، وهذا من جملة إقامة الحق في الخلق ﴿ **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ** ﴾ [الأنفال: ٤٢].



يا مزكي حالك يبكي!!!

غدت هذه المقولة وهذا المثل الشعبي أداة للتنفير من هذا الركن، واستجابت الكثرة لوساوس شياطين الإنس والجن ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (١٢٠) ﴾ [النساء: ١٢٠]، ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، لقد امتنعت قطاعات كبيرة من إخراج زكاة مالها مع هذا الطغيان المادي المعاصر، مُتعللة تارة بأخذ الضرائب منها، وتارة أخرى بأنها تتصدق كثيراً، أو بأنها تُخرج زكاة الفطر، والدافع لها في الحقيقة هو خوف الفقر وعدم التعظيم لحرمات الله ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) ﴾ [الحج: ٣٢].

تفسير العنوان:

هذا المثل المذكور كعنوان ضربه الناس، وقصدوا به نهي المتصدق ومن يُخرج زكاته عمّا هو بصدده؛ ولأنه إذا صنع ذلك سيفتقر ويمد يده للناس، وكأن هؤلاء شأنهم كشأن الشيطان الذي قعد لابن آدم بكل طريق، طريق الهجرة والجهاد والإسلام؛ رجاء إعاقته عن طاعة ربه، يريد بذلك أن يأخذ حظه ونصيبه المفروض والذي قطعه على نفسه ﴿ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) ﴾ [النساء: ١١٨] فمن عصاه وخالف أولياءه فأسلم وهاجر وجاهد وتصدَّق، فقد وقع أجره على الله.

الزكاة قنطرة هذا الدين:

إذا كانت الصلاة عماد الدين؛ فالزكاة هي قنطرة هذا الدين فمن أداها نجا، ومن تخلف عنها هلك، وقد قرن سبحانه بين الصلاة والزكاة في بضع وثمانين موضع في كتابه كما في قوله سبحانه: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [المزمل: ٢٠] ولما سأل رجل النَّبيّ ﷺ عما يُدخل الجنة قال: «**تعبُد الله ولا تُشرك به شيئًا، وتُقيم الصلاة،**

وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم» (١) .

وقد نعى سبحانه على الذين لا يكتفون ببخلهم، بل يدْعون غيرهم إلى صنيعهم، فقال سبحانه: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد: ٢٤] ، وقال: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [النساء: ٣٧]، وهؤلاء يجهلون أنَّ الصدقة والزكاة طُهرة ونماء للمال، يقول النَّبيّ ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلاَّ عزاً، وما تواضع أحد لله إلاَّ رفعه الله**» (٢) ، وإذا أصبح العبد قال الملكان: «**اللهم أعط منفقًا خلفًا وأعط ممسكًا تلفًا**» ، وهذا مصداق قوله سبحانه: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩] ، وقال جلَّ وعلا: ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢] .

التحذير من البخل والشح:

وقد حذر النَّبيّ ﷺ من منع الحقوق الواجبة، فقال: «**إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل، فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا**» (٣) ، وفي الحديث: «**خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق**» (٤) ، وفي الحديث أيضًا: «**شر ما في الرجل: شح هالع** (٥) **وجبن خالع** (٦) » (٧) .

وقد بين الصادق المصدوق ﷺ ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ** ﴿٣﴾ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤] أنَّ أعظم الصدقات أجرًا: «**أن تصدَّق وأنت صحيح**

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه أبو داود والحاكم.
(٤) رواه البخاري.
(٥) يورث الهلع والخوف.
(٦) شديد.
(٧) رواه البخاري.

شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهّل حتَّى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان كذا» [١] فاستبقوا الخيرات، ولا داعي للتسويف وطول الأمل، فالموت قريب وربنا لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا تضيع عنده مثاقيل الذر؛ فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولا يحقرن أحدكم من المعروف شيئًا، وأدِّ زكاة مالك تفز بسعادة الدارين ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ** ﴾ [التوبة: ١٠٣].

حكم مانع الزكاة:

اعلم أنَّ من امتنع عن أداء الزكاة مع إيمانه بفرضيتها مرتكب لكبيرة من أكبر الكبائر، توعده الله في كتابه بقوله: ﴿ **وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)** ﴾ [آل عمران: ١٨٠] وبقوله سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)** ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِ زكاته، مُثّل له يوم القيامة شجاعًا** (ثعبانًا) **أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذه بلهزمتيه** - أي شدقيه - **ثم يقول: أنا كنزك أنا مالك**» [٢]، ثم تلا هذه الآية: ﴿ **وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾.

وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهرًا ويعزّره، وإذا امتنع قوم عن أدائها قوة ومنعة يُقاتلون عليها حتَّى يعطوها كما صنع أبو بكر ﷺ مع مانعي الزكاة، أما من جحد وجوبها وفريضتها فهو كافر خارج عن الملة.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

شروط وجوبها:

والزكاة فريضة على كل مسلم ومسلمة مالكين للنصاب من أي نوع من أنواع المال الذي تجب فيه الزكاة حتى ولو كان مجنونًا أو صبيًا لم يبلغ الحلم، فإنَّ على وليّ أمره أن يخرجها؛ لأنها حق لله في المال، وتجب الزكاة في الذهب والفضة (العملة النقدية تقوَّم تبعًا لنصاب الفضة) وعروض التجارة والزروع والثمار والإبل والبقر والغنم والمعادن والركاز (وهو دفن الجاهلية)، وتجب الزكاة على كل من ملك مالاً تجب فيه الزكاة بشرطين أولهما: أن يكون فاضلاً عن حاجاته الضرورية التي لا غنى للمرء عنها، والشرط الثاني: أن يحول عليه عام هجري، يبدأ من يوم تملكه للنصاب، ولابد من كماله طول العام، فإن نقص أثناء الحول، ثم كمل اعتبر بداية العام من يوم كمال المال، ونصاب الذهب (٨٥ جرام عيار ٢٤) ونصاب الفضة (٦٢٤ جرام)، وبالنسبة لزكاة الزروع والثمار، فإنها تجب يوم الحصاد، وليس فيما دون خمسة أوسق زكاة، والوسق عبارة عن ستين صاعًا.

لابد من نية إخراج الزكاة:

والزكاة عبادة يشترط لها النية، فلابد أن يقصد المزكي عند أدائها أنها زكاة يبتغي بها رضوان الله، وبهذه النية تفرق بين الزكاة المفروضة وصدقات التطوع، كما أنَّ الزكاة تفترق عن الضريبة فهي حق معلوم ولا تسقط بالتقادم بعكس الضريبة.

بعض الأحكام المهمة:

يجب إخراج الزكاة فوراً عند وجوبها، ويحرم تأخيرها، كما يجوز تعجيلها قبل الحول ولو لعامين، فقد استسلف رسول الله ﷺ زكاة عمه العباس قبل موعدها بعام، وكان يدعو لمن جاء بالزكاة، ويقول: «**اللهم صلِّ عليه**» وتارة يقول: «**اللهم بارك فيه وفي إبله**»، وإذا مات المسلم قبل أن يُخرج الزكاة وجبت في ماله، ويجب إخراجها، وتقدم الزكاة في التركة على الدائنين والغرماء؛ لأنها دَيْن قائم لله تعالى ودين الله أحق أن يُقضى.

مصارفها:

وقد حدد سبحانه مصارف الزكاة بنفسه، ولم يدعها حتّى لنبيه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** (٦٠) ﴾ [التوبة: ٦٠].

والزكاة تؤخذ من الأغنياء فترد في الفقراء، كما قال النّبيّ ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ، ويجوز أن تُعطي الفقير كفاية سنته أو عمره على مذهبين للعلماء، وفي الحديث: «**ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، إنَّما المسكين الذي يتعفف، اقرءوا إن شئتم** ﴿ **لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا** ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وفي رواية أخرى: «**ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يُغنيه، ولا يُفطن له فيُتصدّق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس**».

كن إلى الخير سبّاقًا:

لا تقتصر على أداء الفريضة في مالك، بل كنْ إلى الخيرات سباقًا، وفي أعمال البر مساهمًا تكن لله وليًا، فطريق الولاية هو طريق الإيمان ومتابعة الفرائض بالنوافل، فصلْ الأقارب، وواسِ الضعفاء والفقراء، واعطف على الأرامل والأيتام، ولا تحرم جيرانك الفقراء من فضل مالك؛ فخير الناس أنفعهم للناس وأحبهم إلى الله أبرهم بخلقه، واسعَ في عمارة بيوت الله، وأنفق من مالك في الحج والعمرة، وسائر الطاعات ينتفي فقرك وذنوبك، ففي الحديث: «**تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة**».

ولا تطلب إلاَّ وجه الله، ولا تبتغ به جزاءً ولا شكوراً فما نقص مال من صدقة، ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلاَّ ظله «**رجل تصدق بصدقة فأخفاها؛ حتَّى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه**».

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

صلة الرحم بالمال وغيره:

لا تنسَ ذوي رحمك فإن الرحم معلّقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله. وقريبك قطعة منك، إن أحسنت إليه، فإنما تُحسن إلى نفسك، وإن بخلت فإنما تبخل عن نفسك ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [الحشر: ٩] ورحمك هم أقاربك من جهة أمك وأبيك، وأنت ومالك لأبيك، والرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما قال العلماء، ووردت بذلك النصوص.

نصيحة غالية:

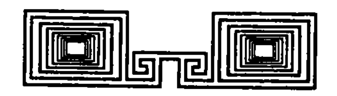
لا نستبعد أبداً إن نحن أقمنا فرض الزكاة أن لا نجد فقيراً ولا مسكيناً كما حدث في عهود الخير كعهد عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ﷺ، بل وأن نعالج الضنك الاقتصادي الذي نعاني منه، ولك أن تتخيل إنساناً عنده (١٠٠) مليون جنيه، تُؤخذ منه الزكاة (٢,٥٪) أي ٢,٥ مليون، ويتكرر الأخذ من الأغنياء، والإعطاء للفقراء والمساكين كل سنة حتّى نغنيهم، وفي ذات الوقت فالدولة لن تدفع شيئاً من خزانتها الخاصة؛ لأنَّ الموظفين (العاملين عليها من السعاة والمصدقين) لهم نصيبهم يستوفونه من مال الزكاة، وإذا نزلت بالأمة جائحة أو مجاعة، أو احتاجت الدخول في حرب، لنا أن نأخذ أكثر من مال الزكاة بشرط أن يخلو بيت المال من المال، ويتنازل الحاكم وحاشيته عن كل ما لديهم من الأموال، ويستبقوا مركوبهم وسلاحهم.

لن نقول جربوا الإسلام:

إنَّ نظام المال في الإسلام يفترق عن الاشتراكية التي تمنع حق التملك، وعن الرأسمالية التي تجعل الحبل على الغارب، ويزداد فيها الغني غنى، والفقير فقراً، ولسنا بحاجة لأن نقول لأحد: جرب الإسلام، فالإسلام آتٍ لا ريب في ذلك ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ﴾ [الروم: ٤، ٥]، وبداية لابد من غرس روح الإيمان وتربية الأمة على تعظيم حرمات الله، وتعليمها ما جهلته من فرائض دينها، ولا

نملك إلاَّ أن نقول: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء: ٧].

فابذلْ الفاني، وادّخر الباقي، فالمال مال الله، كما وصل إليك سيزول عنك، والعاقبة للذين تبوّءوا به مقاعد الصدق عند المليك المقتدر، وإن لم تجد المال، فالكلمة الطيبة صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، والأمر بالمعروف صدقة، و النهي عن المنكر صدقة، ولا يشبع مؤمن من خير حتَّى يكون منتهاه الجنة، جعلنا الله وإياكم من أهلها.



الحرص والكبر والحسد من سمات العصر

هذه هي أول الذنوب التي عُمل بها في السماء وعلى ظهر الأرض؛ فالحرص على المكث والمقام في الجنة كان من أبينا آدم عليه السلام؛ ولذلك داخله إبليس من هذا المدخل؛ لما آنس منه ميلاً لذلك، فقال: ﴿ **هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ** (١٢٠) ﴾ [طه: ١٢٠] ، فأكل منها ، وكان قد نُهي عن ذلك ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** (١١٥) ﴾ [طه: ١١٥] وهكذا سمى إبليس الشيء بغير اسمه، وإمعانًا في الشر أقسم بالله كذبًا إنه لناصح ﴿ **فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ** ﴾ [الأعراف: ٢٢]، إلاَّ أنَّ نبيّ الله آدم سارع بالتوبة والإنابة ﴿ **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** (٢٣) ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وكانت هذه هي الكلمات التي تلقّاها من ربه ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** (٣٧) ﴾ [البقرة: ٣٧] ، وقد بيّن النَّبيّ ﷺ أنه ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه.

نحرص على كل شيء إلاّ على التقى والصلاح!!:

فإذا كان حرص المرء على الجاه والرياسة يضيع به الدين فلا يخفى عليك كيف أصبحنا نحرص على كل شيء، وأي شيء إلاَّ على التُّقى والصلاح، بل الكثرة عندها الاستعداد أن تُقدم دينها قربانًا لدنياها، وأن تبيع دينها بثمن بخس، فلا مانع عنده من بيع الخمر، والعمل في ملهى ومرقص ليلي، والسفر إلى أمريكا وكندا، حتى لو انبهر بما هم عليه ووالاهم على كفرهم ، وقدّم لهم الخنزير، وذاك لا وازع عنده من العمل بالنفاق والسياسات الميكافيلية لنيل المناصب والرتب، حتّى وإن أدّى ذلك أن يجعل من دينه مطية لنيل شيء من متاع زائل، والثالث يواصل الليل بالنهار للنجاح في الامتحان، وتحصيل المال حتّى وإن أدّاه ذلك لترك الصلاة وغيرها.

كلام ابن تيمية في طالب الرئاسة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «قال الجُنَيْد: لا يكون العبد عبداً حتَّى يكون مما سوى الله تعالى حراً، وهذا مطابق لهذا الحديث: «تعس عبد الدينار»؛ فإنّه لا يكون عبداً لله خالصًا مُخلصًا دينه لله كله، حتَّى لا يكون عبداً لما سواه، ولا فيه شعبة ولا أدنى جزء من عبودية ما سوى الله، فإذا كان يرضيه ويسخطه غير الله فهو عبدٌ لذلك الغير ففيه من الشرك بقدر محبته وعبادته لذلك الغير، قال الفُضَيْل بن عياض - رحمه الله - : والله ما صدق الله في عبوديته من لأحد من المخلوقين عليه ربانية، وقال زيد بن عمرو بن نفيل:

أربًا واحداً أم ألف رب ... أدين إذا انقسمت الأمور؟!

ومن حديث أسماء بنت عميس قالت: قال رسول الله ﷺ: **«بئس العبد عبد تخيّل واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد تجبّر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبدٌ سهى ولهى ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد بغى واعتدى ونسي المبدأ والمنتهى، بئس العبد يخْتِلُ الدنيا بالدين، بئس العبد عبدٌ يختِلُ [1] الدين بالشبهات، بئس العبد عبد رَغَب [2] يُذلّه ويزيله عن الحق، بئس العبد عبد طمع يقوده، بئس العبد عبد هوى يضله»** [3].

وفي الحديث الصحيح المتقدم ما يقويه والله أعلم، وكذلك أحاديث وآثار كثيرة رُويت في معنى ذلك، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾ [البقرة: ١٦٥].

وطالب الرئاسة - ولو بالباطل - تُرضيه الكلمة التي فيها تعظيمه، وإن كانت باطلاً، وتُغضبه الكلمة التي فيها ذمه وإن كانت حقًا، والمؤمن ترضيه كلمة الحق له

---

(١) يطلب ويصطاد.

(٢) مرغوب مطلوب..

(٣) رواه الإمام أحمد والترمذي والطبراني.

وعليه، وتغضبه كلمة الباطل له وعليه؛ لأن الله تعالى يُحب الحق والصدق والعدل ويبغض الكذب والظلم» اهـ.

آفة الكبر:

والآفة الثانية هي الكبر، وإبليس هو أول من تكبَّر محتجًا بشرف عنصره، وأنه خُلق من نار، فكيف يسجد لآدم وقد خُلق من طين فقال: ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) ﴾ [الإسراء: ٦١]، وقال: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) ﴾ [الأعراف: ١٢]، وكان بذلك أول من قاس قياسًا فاسدًا في مواجهة النص والأمر له من الله تعالى بالسجود لآدم، وما منعه إلاَّ الكبر، ولذلك استحق الطرد والإبعاد: ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا [١] ﴾ [الأعراف: ١٨].

ثم إبليس لما عصى لم يتب إلى ربه، بل سأل النظرة والمهلة إلى يوم القيامة ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) ﴾ [ص: ٧٩]، واقتضت حكمة الله إمهاله قال: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) ﴾ [ص: ٨٠، ٨١].

وكل من تكبر ففيه شبه من إبليس، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، لقد توهّم أنَّ النار أفضل من الطين، والأمر ليس كذلك، بل حتَّى لو كان الأمر كما ظنَّ، فما كان ينبغي له أن يعترض على أمر ربه سبحانه، وكل من تكبَّر من الخلق لا يحق له ذلك، وقد خرج من مجرى البول مرتين، وأول هذا المخلوق نطفة مَذِرة [٢] وآخره جيفة قذرة، وهو بين أوّله وآخره يحمل العَذِرَة [٣] فلا يليق به إلاَّ التواضع، وكيف يُنازع ربه جلَّ وعلا الكبير المتكبر، فالكبرياء رداؤه، والعظمة إزاره، ومن نازعه واحداً منهما قسمه ولا يُبالي، فهل اتعظت واعتبرت البشرية بما جرى لإبليس؟!.

إنَّ مظاهر الكبر والغرور والعُجب طافحة، فهذا يتكبر بماله، وهذا بمنصبه، وذاك

---

(١) مطروداً مبعداً.

(٢) محتقرة لاستقذارها.

(٣) الغائط.

بقبيلته وعنصره، والرابع بعلمه وثقافته وفلسفته .. وكل ذلك يظهر لا حياء ولا مواربة في الكلمات والنظرات والسلوكيات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠].

والإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويلتذ به، بل يعشق ذلك عشقًا يُفسد عقله ودينه، وخلقه وبدنه وماله، كما يقول ابن تيمية.

المعصية الثالثة هي الحسد:

والمعصية الثالثة هي الحسد من قابيل لأخيه هابيل، وكان قد قربا قربانًا فتُقُبّل قربان هابيل ولم يُتقبل قربان قابيل، فما كان منه إلاَّ أنه هدد أخاه وقال: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ فردَّ عليه هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧]، أي لا ذنب لي في ردّ قربانك وعدم قبوله، فما أُتيت إلاَّ من قِبل نفسك، قال المفسرون: كان هابيل أقوى من قابيل وعلى الرغم من ذلك لم تمتد يده لأخيه بسوء بل قال له: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة: ٢٨].

ولم يقف الحسد بقابيل عند حد التهديد والوعيد، بل سارع بقتل أخيه، فأصبح من الخاسرين، وما من نفس تُقتل ظلمًا إلاَّ كان على ابن آدم الأول كِفْل [1] من دمها؛ لأنه أول من سنَّ القتل كما جاء في الخبر.

هل انتهى الحسد؟!! وهل امتنعنا عن القتل بسببه؟!! إنَّ نظرة سريعة على نسب الجرائم المتزايدة ودوافعها تجعلك تُدرك مدى خطورة الحسد، وكيف أنَّ أصحابه لا يتورعون عن ارتكاب أشنع الرذائل، وبينما توارت معاني الغِبْطة المحمودة، وهي تمني مثل ما للناس دون زوال ما بهم من نعمة، كتمني حفظ القرآن للقيام به، والمال لإنفاقه في حقه.

ظهرت معاني الأَثَرة والأنانية، وانتقل الحسد من تمني زوال النعم من الناس إلى

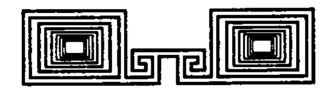
---

(١) نصيب.

منافستهم في الباطل، كامتلاك التليفزيون والفيديو، وكحالة المتنافسين والمتحاسدين بسبب الغناء والرقص، والتمثيل، وكلٌّ يريد أن يعلو على صاحبه في الفجور والعصيان.

صورة فجة:

إنها صورة فجة من صور الطغيان المادي قضت على معاني الأخوة الإيمانية، وضعف معها اليقين والتطلع لما عند الله، والرغبة في الآخرة ونعيمها، وأصبحت الدنيا بزخرفها وزينتها هي التي تُشكل التصورات والسلوكيات، فلها نحب ولها نبغض، وعليها نوالي ونُعادي، والمُشتكى لله من غربة الحال، وانحراف الأوضاع، وإنَّا لله وإنّا إليه راجعون.



تأخير الزواج
حتَّى تتخرج الفتاة من الجامعة

المرأة لها طبيعتها التي تفرق بها عن الرجل، وكل النساء مستعدات للزواج بعكس الرجل، فهو يحتاج لتجهيز المهر، وإعداد مسكن الزوجية، وهو مطالب بالسعي والتكسب للنفقة على بيته، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩)** ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩] وفيها تحديد لمهام الرجال، أما المرأة فهي تقر في بيتها ولا تخرج منه إلاَّ لحاجة أو ضرورة ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، «**والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيّتها**» كما ورد في الحديث الصحيح، وقد حدد النبيّ ﷺ في هذا الحديث مكان المرأة، فالبيت هو مملكتها وفيه تكمن مصلحتها.

دواعي خروج المرأة وهيئته:

وقد وردت نصوص كثيرة تُجيز للمرأة الخروج لقضاء الحاجة وخروجها ليلاً لصلاة الجماعة في المسجد وللعيدين، كما أنها تخرج للجهاد ولمداواة الجرحى وخدمة زوجها، وخروجها للحج والعمرة والعرس ونحوه، وتعلم دينها، وما يلزمها، وكل هذه الصور وغيرها مما تدعو إليها الحاجة لابد فيها من التأدب بالآداب الشرعية كغض البصر وعدم الخضوع بالقول وأخذ حواف الطريق، وارتداء الزيّ الشرعي وعدم الاختلاط بالرجال؛ حتَّى تكون الفتنة مأمونة.

التعليم الحالي باختلاطه المريب:

ونحن لو نظرنا للتعليم الحالي لوجدناه تعليمًا إفرنجيًا أوروبيًا بجميع أنظمته ومؤسساته ومواده، وهو يعتبر عونًا وتأييداً للمؤامرات الصهيونية والصليبية والشيوعية لتخريب الإسلام والقضاء عليه، إنَّ الإسلام عندما أباح للمرأة أن تتعلم

أحاط تعليمها وأماكنه بضوابط وآداب، ويأتي في مقدمة هذه الضوابط : منع اختلاط النساء بالرجال في دور التعليم والطريق إليها؛ فالنساء كنَّ يتعملن منفردات عن الرجال، ولما أذن النَّبيّ ﷺ لهنَّ في الخروج إلى المسجد جعل خير صفوفهن آخرها وشرها أولها، ولما رأى اختلاط النساء بالرجال في الطريق، قال للنساء: «**عليكن بحافات الطريق**» وقال: «**لا حق لكنّ في وسطها**» .

إنَّ الاختلاط المريب الآثم الخليع بين الذكور والإناث من كل الأعمار أصبح شيئًا عاديًا في جميع المدارس والمؤسسات التعليمية من المدارس الابتدائية وحتَّى التعليم العالي في الجامعة، وهذا الاختلاط الآثم يسمح للجميع بالحديث والصداقات، وحتَّى الخلوة، ولا تسأل عن عواقب ذلك من تدمير الأخلاق وتخريب الفضائل وتدنيس الأعراض، ويرى الكثير من الآباء أنَّ الشهادة التعليمية بمثابة سلاح في اليد، وتأمين لمستقبل ابنتهم، ثم كان ضغط الواقع والعرف وإلف العادة دافعًا للتباري والتنافس وسط الفتيات للحاق بركب التعليم على ما فيه من مآخذ .

لا مانع من العمل بشروط:

وإذا كنَّا لا نمنع المرأة من تعلم العلوم النافعة وفق الضوابط الشرعية كالطب والتمريض والخياطة، فكذلك لا نمنعها من العمل الذي يتناسب مع طبيعتها إذا دعت الحاجة لو خارج المنزل، فعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: « تزوجني الزبير رضي الله عنه وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح [١] وغير فرسه، قالت: فكنت أخدم الزبير خدمة البيت، فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤنته وأسوسه - وفي رواية: وأحتش له - وأدق النوى [٢] لناضحه، وأعلفه، وأسقي الماء وأخرِزُ [٣] غَرْبه [٤] وأعجن، ولم أكن أُحسن الخَبْز، وكان تخبز لي جارات لي من الأنصار، وكنَّ

---

(١) الدابة يُستقى عليها.

(٢) ما بداخل البلحة.

(٣) أخيط.

(٤) دلو كبيرة تتخذ من جلد الثور.

نسوة صدق، قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقْطَعَه [١] رسول الله ﷺ على رأسي، وهي علي ثلثي فرسخ [٢] قالت: فجئت يومًا، والنوى على رأسي فلقيتُ رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه ، فدعاني، ثم قال: «أخ، أخ» ليحملني خلفه، قالت: فاستحييتُ وذكرتُ الزبير وغيرته... حتَّى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني» [٣] .

وعن جابر رضي الله عنه قال: طُلّقت خالتي، فأرادت أن تجدّ (تجني نخلها)، فزجرها رجل أن تخرج، فأتت النَّبي ﷺ فقال: «**بلى، فجُدّي نخلك، فإنّك عسى أن تَصدَّقي أو تفعلي معروفًا**» [٤] .

قصة رائطة امرأة ابن مسعود:

وعن رائطة امرأة ابن مسعود رضي الله عنهما، وكانت امرأة صناعِ اليد فكانت تُنفق عليه وعلى ولده من صنعتها، قالت: فقلت لعبد الله بن مسعود: لقد شغلتني أنت وولدك عن الصدقة، فما أستطيع أن أتصدق معكم بشيء، فقال لها عبد الله: والله ما أُحب إن لم يكن في ذلك أجر أن تفعلي، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني امرأة ذات صنعة أبيع منها، وليس لي ولأولادي ولا لزوجي نفقة غيرها، وقد شغلوني عن الصدقة، فما أستطيع أن أتصدق بشيء، فهل لي من أجر فيما أنفقت؟ قال: فقال لها رسول الله ﷺ: «**أنفقي عليهم فإنَّ لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم**» [٥]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ: «**أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يداً**» فكنَّ يتطاولن أيتهن أطول يداً، قالت: فكان أطولهن يداً زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدَّق» [٦] .

---

(١) منحه إيّاها.

(٢) الفرسخ نحو ثلاثة أميال.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد ومسلم.

(٥) رواه أحمد بسند حسن.

(٦) رواه مسلم.

الاستدلال بالنصوص في غير مواضعها:

هذه الروايات التي أجازت العمل للمرأة في حالات الحاجة أو الضرورة يُستدل بها في الحالات المشابهة لها، وبالضوابط التي عُمل بها، أمّا مع الاختلاط وعدم التقيّد بقوانين الشرع كما هو الحال في وضع المرأة المعاصرة التي شاركت الرجل في كل أعماله ومظاهره، فإنَّ مثل هذا لا يقره الشرع، بل هو ضلال وانحراف، وسبب من أسباب شيوع الفتنة، وخراب البيوت وانحلال الأسر، بل العمل على النحو الذي نشاهده في الوظائف الحكومية، وهنا وهناك يخالف فطرة المرأة وجناية على أنوثتها التي لا تنفك عن حيض وحمل ونفاس ورضاعة وحضانة، ولذلك توالت النداءات من الرجال والنساء بأنَّ لزوم البيت خير للمرأة .

وشهد شاهد من أهلها (١) :

يقول قاسم أمين – على انحرافه – : «نحن لا نجادل في أنَّ الفطرة أعدت المرأة للاشتغال بالأعمال المنزلية وتربية الأولاد، وأنها مُعرَّضة لعوامل طبيعية كالحمل والولادة والرضاعة، لا تسمح لها بمباشرة الأعمال التي قوى عليها الرجل، بل نصرّح هنا أن أحسن خدمة تؤديها المرأة إلى الهيئة الاجتماعية ، هي أن تتزوج وتلد وتربي أولادها، هذه قضية بديهية لا تحتاج في تقريرها إلى بحث طويل» .

وقال الإنجليزي سامويل سمايلس: «إنَّ النظام بتشغيل المرأة في المعامل، مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد، فإنَّ نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية؛ لأنه هاجم هيكل المنزل وقوَّد أركان الأسرة، ومزَّق الروابط الاجتماعية، فإنه بسلبه الزوجة من زوجها، والأولاد من أقاربهم، صار بنوع خاص لا نتيجة له إلاَّ تسفيل أخلاق المرأة؛ إذْ وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية، مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها، والاقتصاد في وسائل معيشتها، مع القيام بالاحتياجات البيتية، ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل غير منازل، وأصبحت الأولاد تشب

(١) هذه النقول من كتاب «المرأة المتبرجة وأثرها في الأمة» .

على عدم التربية وتُلقى في زوايا الإهمال، وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة، وصارت زميلة الرجل في العمل والمشاق» .

وتقول الممثلة الأمريكية بربارة سترياند في آخر مقالة صحفية لها: «لقد بدأت أتأكد من أن أشياء كثيرة تنقصني أكثر مما يجب بحياتي الفنية، ونسيت حياتي كامرأة وكإنسانة مما جعلني اليوم أحسد النساء اللواتي عندهن الوقت الكافي للاعتناء بأزواجهن وأطفالهن، والحقيقة أن النجاح والشهرة لا معنى لهما في غياب الحياة العائلية العادية حيث تشعر المرأة أنها امرأة» .

وتقول مارلين مونرو في نصيحة نصحت فيها المرأة المراهقة عند انتحارها: «احذري المجد . . . احذري كل من يخدعك بالأضواء . . إنني أتعس امرأة على هذه الأرض . . . لم أستطع أن أكون أمًّا . . . إنني امرأة أُفضِّلُ البيتَ والحياة العائلية الشريفة على كل شيء . . . إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة . . . لقد ظلمني كل الناس . . . وأن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة، مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة » .

أين المستقبل الآمن إذاً؟

إنَّ الاستقامة على كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، والاستجابة لنداء العقل والفطرة، هو الذي يُحقق لنا المستقبل الآمن بإذن الله، وأن نكون بما في يد الله أوثق منَّا بما في يد أنفسنا، ولذلك كان بعض العلماء إذا سُئِل: ما مالك؟ قال: لي مالان لا أخاف معهما الفقر: الثقة بما في يد الله، واليأس مما في أيدي الناس.

وهل ضاعت الأمهات والجدات عندما تزوجن صغيرات، ولم يتخرجن من الجامعة؟ وهل لم نشاهد كم ضاعت من فتاة مع تحصيلها للشهادة الجامعية؟ فأين المستقبل الآمن إذاً؟! يا ليتنا ننظر لدنيانا ونقيس أقوالنا وأفعالنا بمقياس الإيمان، سنسعد بإذن الله في دنيانا وأخرانا، وسنأكل من فوق رؤوسنا وتحت أرجلنا، ونكون قد أدَّينا الأمانة وحققنا الشفقة الصحيحة على بناتنا.

تحديد سن الزواج للفتاة بـ(١٨) سنة:

إننا بحاجة لدعوة جادة ترد الحق لنصابه وتغير عوج الأعراف والعادات، وعمل صادق لترسيخ معاني الإيمان واليقين في النفوس؛ حتَّى نُحسن التوكل، يقول تعالى: ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٩)** ﴾ [النساء: ٩]، وتعاون أكيد حتَّى نُذلل - بعون الله - هذه العقبات التي حالت دون الزواج في سن مبكر، وأدَّت بالكثير من الفتيات إلى العنوسة، فتحديد سن الزواج بـ(١٨) سنة بالنسبة للفتاة لا مُبرر له، أدَّى بالناس للاحتيال لإسقاطه وخصوصًا في الأرياف والصعيد، وقد رأينا كيف تزوج النَّبيّ ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي دون ذلك بكثير، كما رأينا أيضًا كيف شاع التحلل في أوروبا وأمريكا، فما تكاد الفتاة تبلغ سن (١٤) سنة حتّى تترك أسرتها وتصحب الرجال بلا سلطان ولا رقيب، ولا يستطيع الوالد إرغامها على المكث في المنزل، وقد رأيت بنفسي كيف يتخوف الكثير من المسلمين على بناتهم في ديار الغربة إذا قاربت البنت هذا السن خشية أن تترك المنزل وتُصاحب الشباب.

ما المانع من زواجها أثناء دراستها المشروعة؟!

لا مجال للمقارنة بين هدي الإسلام وحرصه على مصلحة العباد الحقيقية، وبين هذا العبث وهذه الحريات المتفلتة عند الغرب ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)** ﴾ [الملك: ١٤] لا مانع أبدًا من أن تتزوج الفتاة أثناء دراستها، إن وجدنا أنَّ الدراسة مباحة ومشروعة، وعلى الزوج أن يساعدها على ذلك ولو على سبيل الانتساب، وإذا اشترطت عليه ذلك فعليه الوفاء، والمسلمون عند شروطهم، وبذلك نكون قد جمعنا بين المصالح، أما أن ننظر إلى مصلحة إتمام الدراسة مع إهدار حاجتها للزواج فهذا إجحاف وظلم طالما أتاها الكفء، ولا يصح التعلل بأنها ستُجهز نفسها بعد عملها بالشهادة، فالرجل يجهز بيته حسب الاستطاعة ودون إرهاق له؛ وذلك لأنَّ أعظم

النكاح بركة أيسره مؤنة، ويمن المرأة خفة مهرها، ويسر نكاحها وحُسن خُلُقها، وشؤمها غلاء مهرها، وعسر نكاحها، وسوء خلقها.

كراهة المغالاة في المهور:

وقد كره الإسلام التغالي في المهر؛ لأنَّ من شأنه الإضرار بالرجال والنساء على السواء بحيث يكسد سوق الزواج ويصبح الحلال أصعب منالاً من الحرام، وقد زوّج سيد أهل المدينة من التابعين – سعيد بن المسيب – ابنته على درهمين ولم ينكر عليه أحد، بل عُدَّ ذلك من مناقبه وفضائله، وقد تزوج عبد الرحمن بن عوف على صداق خمسة دراهم وأقرّه النَّبيّ ﷺ.

عرض الرجل ابنته على من يتوسم فيه الصلاح:

ومن الحُسن عرض الرجل ابنته على من يتوسم فيه الصلاح، قال القرطبي في تفسير قوله سبحانه: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧]: «فيه عرض الولي ابنته على الرجل، وهذه سُنَّة قائمة، عرض صالح مدين (يقصد شعيب) ابنته على صالح بني إسرائيل (يقصد نبي الله موسى) وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، وعرضت الموهوبة نفسها على النَّبيّ ﷺ، فمن الحسن عرض الرجل وليته، والمرأة نفسها على الرجل الصالح، اقتداءً بالسلف الصالح.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: لما تأيمت [١] حفصة قال عمر لعثمان: إن شئت أُنكحك حفصة بنت عمر» [٢] اهـ.

فهذه هي سُنَّة الصالحين، فتشبه بهم، ولكن لا تفعل ذلك إلاَّ مع من يُقدّر هذا العرض الكريم ولا يُنتظر ذلك إلاَّ من الصالحين.

نصائح مهمة لتذليل عقبات الزواج:

استعن بالله في تذليل العقبات كأزمة المساكن وغيرها، واعلم أنَّ ما عند الله من

---

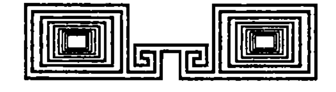
(١) مات زوجها.

(٢) انفرد بإخراجه البخاري.

خير وبركة وسعة رزقه، إنما يناله العبد بطاعة ربه، فعليك بالاستغفار والدعاء، وقول لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله.

واحرص على طاعة الله والتباعد عن معصيته ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق : ٢، ٣].

وما خاب من استخار الخالق واستشار المخلوق، ونرى أنه لابد من تكاتف الجهود لتغيير الأعراف الفاسدة، حتَّى يتيسّر أمر الزواج لأبنائنا وبناتنا في سن مبكر؛ صيانة لهم عن الوقوع في الرذائل ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة : ٢].



الخجل من النطق باللغة العربية

لقد أصبحنا بحاجة لمراجعة كل شيء في حياتنا المعاصرة؛ فالإسلام يُهدم إذا نشأ فيه من لا يعرف الجاهلية، والجاهلية صورٌ حدثت، وقد تتكرر كما هو مشاهد، وقد كان البعض يقول:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وهذا مصداق قول حذيفة رضي الله عنه: «كانت الناس تسأل رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدركني»، ونحن عندما نتأمل نجد أنَّ العبادات منها ما هو مالي، ومنها ما هو بدني، ومنها ما هو قلبي، وهذا أخطرها، كالحب والبغض والخوف والتوكل والإنابة والرجاء، وقد تغيّرت هذه المعاني وتبدَّلت في حسّنا كثيراً.

صور الخجل كثيرة:

وسلْ نفسك ما الذي تحبه، وكيف تحبه ولماذا تحبه؟ وكذلك الأمر بالنسبة للبغض والخوف، ثم اعرض ذلك على كتاب الله وعلى سُنَّة رسول الله ﷺ لتدرك حجم اللوثة المادية الطاغية في حياتنا، وسلْ قطاعًا عريضًا من الناس من أي شيء يخجل؟ ستجد هذا يخجل من عدم امتلاكه التليفزيون، والثاني يخجل من إطلاق اللحية، والثالث يخجل من الدعوة إلى الله، والمشاركة فيها، وإظهار شعائر الإسلام، وهذه تخجل من الحجاب أو النقاب، والرجل يخجل من سؤال المتقدم لابنته هل هو يصلي أم لا؟ والابن سيخجل من والديه لفقرهما!! ومن بين هؤلاء من يتباهى بالنطق باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، بينما يخجل أشد الخجل من الحديث بلغة عربية فُصحى، والكثرة من هؤلاء تفرح أشد الفرح إذا رجع الصغير من مدرسته التبشيرية أو غيرها ونطق بلغة أجنبية، حتَّى ولو أتت على حساب أخلاقه ودينه!! إنها حالة من حالات الانهزامية الشديدة التي لم تستشعر عزّة الإسلام وحلاوة الإيمان والطاعة.

فهم القرآن فرض ولا يتم إلاَّ بفهم العربية:

لو نظرنا في صور الخجل الأخيرة التي حدثت في واقعنا المعاصر وما ترتب عليها لوجدنا خطورة عظيمة ؛ وذلك لأنَّ فهم القرآن فرض ولا يتم إلاَّ بفهم العربية، وما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب، وقد كتب عمر لأبي موسى الأشعري ﵁ : «أما بعد فتفقهوا في السُّنَّة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن؛ فإنه عربي» وقال أيضًا: «تعلموا العربية، فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم»، وقد عوَّد المسلمون أهل مصر وغيرها العربية، وكانت لغة أهلها رومية، ولما هُجرت العربية بخراسان غلبت عليها الفارسية وهذا مكروه.

اللغة العربية من شعائر الإسلام:

ينبغي تلقين اللغة العربية للصغار؛ حتَّى يظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسُّنَّة، وقد كره الإمام أحمد – رحمه الله – أشد الكراهة تسمية الشهور بالفارسية وبأسماء لا تُعرف خشية كونه محرمًا، فلا ينطق المسلم بما لا يعرف معناه، وكراهة أن يتعود الرجل النطق بغير العربية، فاللسان العربي شعار الإسلام وأهله، وقد كره الفقهاء الأدعية التي في الصلاة والذكر بغير العربية، أما الخطاب بالفارسية ونحوها من اللغات من غير حاجة في أسماء الناس والشهور؛ كالتواريخ ونحو ذلك فهو منهيٌّ عنه مع الجهل بالمعنى بلا ريب، وأما مع العلم به فكلام الإمام أحمد يدل على كراهته أيضًا؛ فإنه كره أذرماه [١]، ومعناه ليس محرمًا، وكره الدعاء في الصلاة بالفارسية، وقال لسان سوء، واستدل بنهي عمر عن الرطانة مطلقًا.

ومنع الشافعي من التكلم بغير العربية، فينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها؛ لأنها اللسان الأولى بأن يكون مرغوبًا فيه من غير أن يحرم على أحد أن

---

(١) اسم شهر من الشهور الفارسية.

ينطق بالعجمية، ومعلوم أنَّ الواجبات تسقط بالعذر والعجز وبعدم الاستطاعة، ولكن لابد من بذل الوسع في الأخذ بالأسباب.

كراهة خلط العربية بالعجمية:

وقد كره العلماء أن يتكلم الرجل بالعربية خالطًا لها بالعجمية، قال عمر ﷺ: «ما تعلم الرجل الفارسية إلاَّ خبَّ (١)، ولا خبَّ رجل إلاَّ نقصت مروءته».

ولما سمع محمد بن سعد بن أبي وقَّاص قومًا يتكلمون بالفارسية فقال: «ما بال الفارسية بعد الحنيفية» وقال رسول الله ﷺ: «**من يُحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية؛ فإنه يورث النفاق**»، وقد كان البعض يتكلم بالكلمة بعد الكلمة من العجمية، ولعلَّ لكون المخاطب بها أعجميًا أو قد اعتاد الأعجمية، يريدون بذلك تقريب الأفهام عليه كقول النَّبيّ ﷺ لأم خالد، وكانت صغيرة وقد ولدت بأرض الحبشة، فكساها قميصًا وقال: «**يا أم خالد هذا سنا**» والسنا بلغة الحبشة الحسن، وقال أبو هريرة ﷺ لمن أوجعه بطنه: «أشكم بدرد».

مخاطبة الأجانب بلغتهم ليس بمكروه:

أما بالنسبة لمخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة كمخاطبة العجم من الروم بلغتهم، فإنَّ هذا حسن للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه، وقراءة كتب الأمم وكلامهم بلغتهم وترجمتها بالعربية أمر لا بأس به كما أمر النَّبيّ ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود ليقرأ له ويكتب له ذلك، حيث لم يأتمن اليهود عليه.

اللهجات من موانع الاتصال:

وقد كثرت اللهجات في اللغة الواحدة حتَّى حالت دون سهولة الاتصال، فترى المصري لا يفهم لهجة المغربي أو الجزائري مثلاً، ولو تكلم الجميع باللغة العربية ـ لغة

(١) خدع وغش.

القرآن - لسهل التفاهم وتحققت منافع كثيرة، وتأكّدت الروابط بين أبناء الأمة؛ فاللغات من أعظم شعائر الأمم، ولذلك فإحلال العامية محل اللغة العربية ما هي إلاَّ محاولات لقطع الصلات بين العالم الإسلامي، ومقاومة لغة القرآن لإبعاد المسلمين عن دينهم.

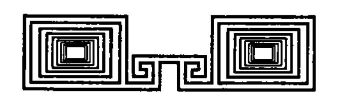
وهذه المخططات تخرج بعناوين براقة مثل قول البعض: نحن نملك اللغة كما كان القدماء يملكونها، ولنا أن نُضيف إليها ما نحتاج إليه من ألفاظ لم تكن مستعملة من قبل!!. وكذلك الدعوة لإسقاط القافية، ونظرية الحداثة... ويساعد في الترويج لهذه الدعوة أدباء وكتاب وشعراء، مُستخدمين في ذلك كل وسائل التوجيه من جرائد ومجلات وإذاعة ومدارس أجنبية ومدارس لغات.

اللغة هي مادة المواد ولابد من حمايتها:

ونحن نعيش هذه العودة المباركة لدين الله، لابد لنا من حماية اللغة من اقتحام ألفاظ اللغات الأجنبية والحذر من خطر الدعوة إلى إسقاط حركات الإعراب؛ وذلك لأنَّ اعتياد اللغة يؤثر في العقل والدين والأخلاق، ومن عجيب الأمر أن ينتبه الغرب والشرق لأهمية اللغة، ونُفرط نحن في لغتنا بهذه البساطة؛ ففي فرنسا يقولون: «إنَّ اللغة هي الجنسية» وفي ألمانيا: «اللغة هي مادة المواد والمادة العليا»، وفي إفريقيا حيث التبشير (التنصير) يوجه للغة أكبر قدر من الحرب من أجل معارضة نمو الإسلام، وقد كانت له السيادة في أفريقيا قبل إحلال اللغة العربية باللغات الأجنبية واللهجات الإفريقية، وفي حرب الجزائر التي استمرت مئة عام، تمَّ فيها القضاء على اللغة وتحويل اللسان الجزائري إلى لسان فرنسي، والكل يعلم كيف أنَّ مراكز تعليم اللغة العربية في جامعات فرنسا وبريطانيا وبرلين تنفر أبناء المسلمين غير العرب من تعلم العربية، وتردد قول المستشرقين بأنها لغة لا تصلح للحياة إلاَّ لمجتمع بدوي، وأنها لا تُساير الحياة الحضارية، فهل يليق بنا بعد ذلك أن نشرب هذا السم وهذه المؤامرات، فنستبدل الأسماء العربية بأسماء أجنبية، ويحدث ذلك في المحلات والشركات وفي تسمية الأبناء.

غزو اللغة مفتاح الحرب نحو العقيدة والقرآن:

انتبهوا - رحمكم الله - لما يُراد بكم؛ فالغزو الثقافي على اللغة بالغ الدقة؛ حيث إنها مفتاح الحرب نحو العقيدة والقرآن نفسه، ولا ينبغي أن ننسى كيف أنَّ الاحتلال البريطاني عندما بدأ هنا قام بوضع خطة لتحطيم اللغة العربية، وكان من جملة ما صنعوه أنَّ مدرس اللغة العربية، كان يتقاضى أربعة جنيهات شهريًا في الوقت الذي كان يتقاضى فيه مدرسو اللغة الإنجليزية اثنى عشر جنيهًا، ولك أن تتخيل ما يترتب على ذلك من استهانة باللغة العربية، وكل ما يمتّ لها بصلة، بينما تعظم النظرة تجاه الإنجليزية، فإذا كنَّا نطلب الرفعة والسيادة الحقة، فلابد من العودة للإسلام ولتعلم لغة القرآن.



العظماء مئة
وأعظمهم محمد ﷺ

هذا اسم لكتاب ترجمه الكاتب الوجودي أنيس منصور، وانبهر به كثيراً وخصوصاً وقد وضع مؤلفه رسول الله ﷺ على رأس العظماء المئة، ولكن لو نظرنا في الكتاب وتأملنا فيه لوجدنا أنَّ مرتبة عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، جاءت في المرتبة الثالثة بعد إينشتاين، ولا تجد في الكتاب بعد ذلك ذكراً لمعظم الأنبياء والصحابة، ومن جاء بعدهم من العلماء والصالحين، بينما امتلأ الكتاب بالعلماء والأدباء والفنانين، وهذا ما يجعلنا نرفض الكتاب ونذمه، ونصفه بأنه صورة من صور الطغيان المادي المعاصر، وإلاَّ فالترتيب والتقديم والتأخير بين البشر لا يتم على أساس الأهواء أو النظرات المادية الطاغية، وإنما يُرجع فيه إلى ما ورد في كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ .

فاضل ربنا بين خلقه:

خلق الله الخلق وفاضل بينهم ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨]، وقد اختار من أرضه مكة، واختار من الشهور رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم عرفة، ومن أيام الأسبوع يوم الجمعة، وفاضل الله بين الملائكة، فاختار منهم الملائكة الذين يحملون رسالته إلى رسله وأنبيائه، واصطفى الله من بني آدم الأنبياء؛ فالأنبياء أفضل البشر، وأفضل الأنبياء الرسل ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) ﴾ [الحج: ٧٥].

تفضيل الأنبياء على غيرهم:

أجمعت الأمة على تفضيل الأنبياء على غيرهم من الصديقين والشهداء والصالحين، ويدل على تفضيلهم قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا

هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) ﴾ [الأنعام: ٨٣ – ٨٦].

أبو بكر الصديق أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ:

أخبر الرسول ﷺ أنه: «**ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر**»، وهذا يدل على أنَّ الأنبياء والمرسلين أفضل الخلق، وأنَّ أفضل رجل بعدهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وشبيه بهذا قول رسول الله ﷺ في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «**هذان سيدا كهول الجنة من الأولين والآخرين إلاَّ النبيين والمرسلين**»، وقد رتب الله عباده السعداء الذين أنعم عليهم أربع مراتب، وقال تعالى: ﴿ **فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)** ﴾ [النساء: ٦٩]، فأول المراتب وأعلاها الأنبياء، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون، والنبوة لا ينالها العبد بكسب أو اجتهاد: ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وأفضل الأنبياء الرسل، وأفضلهم أولو العزم، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ، وهو أفضلهم.

وإذا تأملنا في سيرة أنبياء الله ورسله رأيناهم أبر الناس قلوبًا وأعمقهم علمًا وأحضرهم بديهة وأشدهم تحملاً وأرقهم طباعًا، فلا عجب أن يختارهم الله ليكونوا أمناء وحيه والعاملين على إقامة دينه، فهم القمم الشاهقة التي تعجز النفوس عن أن تبلغ مداها.

ضلال من فضل الأئمة والأولياء على الأنبياء:

ضلَّت الشيعة في تفضيلها الأئمة على الأنبياء، وسفهت بعض المتصوفة في زعمهم أنَّ الولاية أفضل من النبوة، وهؤلاء وأولئك خالفوا الكتاب والسُّنَّة وإجماع

علماء الأمة المعتبرين، ولقد فضل الله بعض النَّبيين والرسل على بعض فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (٥٥) ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وقال: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقد ذكر أولو العزم الخمسة في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧]، وقال: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾

[الأحقاف: ٣٥].

وفي الحديث: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيٍّ يومئذ، آدم فمن سواه إلاَّ تحت لوائي، وأنا أول شافع، وأول مُشفّع، ولا فخر**» [١].

وقد نص القرآن على تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فقال سبحانه: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وأفضل هؤلاء الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة، ثم البدريون، ثم أصحاب أُحُد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية، وأولهم إسلامًا أبو بكر من الرجال، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان عليّ، ومن الموالي زيد ابن حارثة، و من العبيد بلال.

قال ابن العربي: السبق يكون بثلاثة أشياء: الصفة وهو الإيمان، والزمان والمكان، وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات، لقول النبيّ ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون بَيْدَ أنهم أوتو الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم** [٢] **الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له، فاليهود غداً والنصارى بعد غد**».

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

(٢) يوم الجمعة.

فمن سبقنا من الأمم بالزمان سبقناهم بالإيمان والامتثال لأمر الله تعالى والانقياد إليه والاستسلام لأمره والرضا بتكليفه والاحتمال لوظائفه، لا نعترض عليها، ولا نختار ولا نُبدل بالرأي شريعته كما فعل أهل الكتاب، وذلك بتوفيق الله لما قضاه، وبتيسيره لما يرضاه، وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إن أكرمكم عند الله أتقاكم:

أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين أبو بكر وعمر، فعثمان، فعلي، فسائر العشرة المبشرين بالجنة، وكل صحابي أفضل من كل من جاء بعده، كما قال الإمام النووي، وقال: قال النَّبيُّ ﷺ : «**دعوا لي أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصفه**» .

وأكبر التابعين الفقهاء السبعة من أهل المدينة، وأفضل التابعين على وجه العموم والجملة أويس بن عامر القرني، وأفضلهم علماً سعيد بن المسيب، وسيدتا التابعين من النساء حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمن.

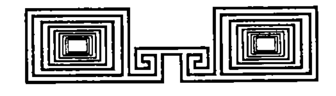
وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» فهؤلاء هم أفضل الناس علمًا وعملاً واعتقاداً، و نحن عندما نقدم هؤلاء الأفاضل ننزل على أمر ربنا في التفضيل والتعظيم ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾**﴾ [الملك: ١٤] وفي ذات الوقت لا ننكر قيمة العلم المادي التجريبي الذي فيه منفعة حقيقية للبشر كالكهرباء والذرَّة.. ولكن لا يجوز تقديم هذه العلوم ولا أهلها على علوم الهداية ولا على الأنبياء والمرسلين.

سفهت العقول عندما قدمت الفنانين .. على الأنبياء:

إذا كان هذا هو قولنا في العلم المادي النافع، فقولنا أشد بالنسبة للفنانين كالرسامين والشعراء والموسيقيين والمغنين والراقصين، وكذلك الكتاب والأدباء من الملاحدة، والمنحرفين، فكيف يوصف هؤلاء بوصف العظماء؟!!، وانبهار الكثرة بهم

وذيوع صيتهم وشهرتهم لا عبرة بها ولا التفات لها ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [الأنعام: ١١٦] فالحق والخير لا يُعرف بكثرة ولا بقلة، فاعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه، واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين .

ولابد من الحذر المتأكد من أوصاف العظمة والشجاعة والقيادة التي يصف بها الأعداء أحيانًا رسول الله ﷺ ؛ إذْ هم كثيراً ما يفصلونها عن معنى النبوة والرسالة التي ينكرونها، وهم بذلك يدسون السم في العسل للأغرار؛ فانتبهوا رحمكم الله .



استعباد الشعوب وحياة الغابة

الحياة المعاصرة أشبه بغابة يأكل القوي فيها الضعيف، وقد غابت فيها معالم الحق والعدل، وإمعانًا في التزييف والتدليس، نشر أعداء الإسلام والمسلمين الشعارات البراقة الخادعة كحقوق الإنسان والسلام العالمي والتعايش السلمي والإنسانية، وأقاموا الأجهزة والمنظمات والمؤسسات التي تخدم مطامعهم، وتُحقق أغراضهم كهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية... وقد رأينا ما صنعته أمريكا في ڤيتنام، وكيف قتل الأمريكان والحلفاء ربع مليون عراقي في ظهورهم أثناء انسحابهم، وكيف تم قتل الفلسطينيين على أيدي اليهود بذخيرة أمريكية، وما فعلته في الصومال من قتل للأبرياء، وتدبير الانقلابات هنا وهناك، كل هذا وغيره كثير لم يمنعهم من القول بأن أمريكا هي أم البشرية، وهي شرطي العالم، وهي التي تملك المكانة الأخلاقية لنشر السلام والحرية في العالم، وأنَّ هذا القرن هو القرن الأمريكي.

مكيال العداوة ومظاهره الخادعة:

وشأنهم في ذلك كشأن الشيطان الذي يُجيد تسمية الأشياء بغير اسمها؛ فاستعباد باسم الاستعمار تارة، وباسم المحافظة على الأمن ونشر السلام والحرية تارة أخرى، وعندما قال لهم البعض: إنكم تكيلون بمكيالين، وحالكم في العراق يختلف مع حالكم تجاه قضية البوسنة والهرسك، رد عليه الأمريكان بإجابة واضحة لا لبس فيها، وقالوا له: المصلحة هي التي دفعتنا لهذا التصرف هنا ولهذا التصرف هناك!!، وقد صدقوا في ذلك، فهم يعملون لمصلحتهم، ويُخطئ من يظن خلاف ذلك، ويرد ويقول لهم: أنتم تكيلون بمكيالين، فهو مكيال واحد في الحقيقة مكيال العداوة لكل ما هو إسلامي ﴿**وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [المائدة: ٥١]،

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨] ، ﴿ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) ﴾ [فاطر: ١٤] .

النظام العالمي الواحد:

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن النظام العالمي الواحد الذي تتزعمه أمريكا بصفتها القوة الوحيدة كما يقولون !!! بعد التغييرات التي حدثت في الاتحاد السوڤيتي، وانصراف روسيا إلى الأمور الداخلية تاركة حلفاءها، والنظام العالمي عبارة عن قوة استعمارية تفرض نظامها على شعوب العالم، بحيث تتحقق الهيمنة الأمريكية، وكان بداية الحديث عن الإرهاب الدولي، ثم تجارة المخدرات، ثم أعلنوا صراحة أنَّ هذا النظام لمواجهة الأصولية والأصوليين، وما أكثر التصريحات التي أدلى بها الحكام والساسة في أوربا وأمريكا والتي تتعلق جميعها بخطر الإسلام والمسلمين، فقد اكتشفت أوربا - زعموا - أنَّ الحركات الوطنية والتطرف الديني أخطر بكثير من الشيوعية .

وأعلن الغرب أنّه أعطى حكومة الجزائر لكونها صدت المد الأصولي وهي القادرة على ذلك، بل خرجت إسرائيل تحذر من خطر الأصوليين وتستعدي عليهم أنظمة الحكم؛ وذلك لأنهم العقبة الكئود التي لابد من التخلص منها .

الأصولية والأصوليون:

اعتبر الغرب وأمريكا الأصولية بمثابة الخطر القادم الذي يهدد كل الأنظمة الوادعة والصديقة، وقد ذكروا في وصف الأصوليين أنهم الذين يدينون بالولاء والتبعية لمنهج الإسلام وحده ولا يقبلون بالهيمنة الأمريكية ووصاية الغرب، كما يؤمنون أنَّ تعاليم الإسلام التي تعود لأكثر من ألف وأربعمائة سنة يمكن أن يقوم على أساسها دولة في القرن العشرين، وأنهم يرفضون أن يكون التحديث والتطور والتنمية معناها الانسلاخ

عن الدين أو التغريب والعلمنة، وباختصار فهم يرفضون الإسلام المُعلّب المودرن الذي صُمم في لندن أو باريس أو واشنطن، وإذا كان الأمر كذلك فالنظام العالمي لا يكدر صفوه إلاَّ الأصوليون؛ ولذلك كان لابد من مواجهة الأصولية بكل سبيل، ومن بينها سلاح التشويه والتشهير بكل ما هو إسلامي كاللحية والحجاب، ومحاربة الذين يطالبون بالعودة إلى الإسلام وشريعته ومنهجه، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، والله مُتم نوره ولو كره الكافرون.

عداوة قديمة:

إنّ ما يحدث للمسلمين الآن في البوسنة والهرسك وروسيا والهند والصومال وكشمير وبورما وفلسطين وتونس والجزائر.. كله إنما يُعبر عن العداوة لدين الله، وأنَّ الأعداء على اختلاف مللهم وألوانهم قد اتحدت قواهم للفتك بالإسلام وأهله، وهذا هو شأنهم قديمًا وحديثًا، فقد تنادى السحرة في مواجهة نبيّ الله موسى عليه السلام وقالوا: ﴿ **فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ** (٦٤) ﴾ [طه: ٦٤]، وشبيه بهذا ما قاله الكفرة: ﴿ **أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ** (٦) ﴾ [ص: ٦].

الصبر على ألم المخاض فالإسلام قادم:

الواجب علينا أن نكون يداً واحدة على عدو الله وعدونا، وأنَّ نصبر على دعوة الحق ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** (٤٥) ﴾ [البقرة: ٤٥]، فما نعانيه الآن شبيه بألم المخاض الذي يعقبه الولادة، والفرج قريب بإذن الله «**وأنَّ النصر مع الصبر وأنَّ الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**» ويقول سبحانه: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ** (١١٠) ﴾

[يوسف: ١١٠].

فلا داعي لليأس والقنوط من رحمة الله، بل علينا أن نقرأ السُّنن قراءة واعية، ونرفع

أكفّ الضراعة لخالق الأرض والسماوات أن يُنجّي المستضعفين من المسلمين في كل مكان، وأن يُقاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيله ويكذبون رسله ولا يؤمنون بوعده ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) ﴾

[إبراهيم: ١٣ – ١٧] .

إقامة النظام العالمي الإسلامي:

نحن أولى الناس بإقامة النظام العالمي؛ لأننا أصحاب دعوة حق وديننا يأمر بذلك ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾ [ص: ٨٧، ٨٨] ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) ﴾ [الفرقان: ١]، وهذا يتطلب منّا العودة إلى حياة الإيمان والأخذ بأسباب القوة الحقيقية، وأن نواجه بدعوة التوحيد عُبّاد البقر والصليب، وعُبّاد الحجر والشجر، وعُبّاد الأهواء والشهوات والبشر، فسُنن التدافع ماضية بين الحق والباطل والإيمان والكفر ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ﴾ [الحج: ٤٠] .

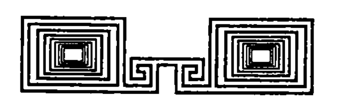
والأعداء في مواجهتنا لهم يُدالون علينا مرة ونُدال عليهم أخرى ثم تكون العاقبة للمتقين ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) ﴾ [غافر: ٥١]، وحتّى يأذن ربنا بنصر قريب سنرد بلسان الحال والمقال بقوله سبحانه: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣) ﴾ [هود: ١٢١ – ١٢٣].

تدبيرهم تدميرهم:

نحن نوقن أنَّ تدبير الكفار تدميرهم، وأنَّ كيدهم سيرتد إلى نحورهم، وأنه لا طاقة لأحد بحرب الله، فكما انتهت وتفتتت دولة الاتحاد السوفيتي - القوة العظمى الثانية - فلعلّ الله يجر أمريكا وأوروبا إلى مصير مثل الذي لقيه الروس على يد المجاهدين في أفغانستان، وما ذلك على الله بعزيز؛ فالظلم والبغي بمثابة سهم يُطلقه صاحبه، ثم يعود أول ما يعود إلى نحره هو.

وظلم هؤلاء الكفار وبغيهم قد وصل إلى حد وصلت منه القلوب إلى الحناجر، مما يجعلنا نستبشر خيراً، ونتشبه بصحابة رسول الله ﷺ يوم الخندق ﴿**إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (١١)**﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]، واعتزوا بجناب الله ووثقوا بوعده سبحانه، وقالوا: ﴿**هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢)**﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وقد حكى لنا القرآن نتيجة هذا التسليم: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وكان هذا موقفهم وصنيع الله بهم في حمراء الأسد صبيحة يوم أُحُد ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)**﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]، فهيَّا بنا نُحسن التأسي حتَّى نتخلص من كل صور الاستعباد.



الخاتمة

الغربة كلمة مُجملة، لها صورها ومظاهرها العديدة والكثيرة في حياتنا وحياة الناس، وقد عاد الإسلام غريبًا كما بدأ غريبًا، كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، فحسبنا أن نكون من هؤلاء الغرباء الذين يُصلحون ما أفسد الناس والذين يَصلحون عند فساد الأمة، حتَّى وإن كنّا قليل وسط قوم سوء كثير، وكنّا نُزّاعًا من القبائل، فقد ثبت أنَّ في آخر الزمان قومًا صُبرًا يقبضون على دينهم ويصبرون عليه، حتَّى ليكون حالهم كحال القابض على الجمر، وحتَّى ليكون للواحد منهم أجر خمسين من أصحاب النَّبيّ ﷺ.

وقد دعا النبيّ ﷺ لهؤلاء وقال: «**طوبى للغرباء**»، وبشر أمته بأنه لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطين وتأويل الجاهلين، وأنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة عام من يُجدد لها شبابها وأمر دينها، وأنه لن تزال طائفة من الأمة على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وهذا كله يتطلب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإسداء النصيحة للدنيا من حولنا مراعين في ذلك ضوابط الإنكار والنصيحة ومتحلّين في ذلك بالعلم النافع والعمل الصالح واللين والرفق في دعوة الخلق مع الصبر والثبات في مواجهة الابتلاء، كما لابد من التعاون على البر والتقوى بين المؤمنين والسعي في جمع الأمة على كلمة سواء في مواجهة عدو الله وعدوها، ولا يجوز لنا أن نحقر من المعروف شيئًا، فتكثير الخير والصلاح وتقليل الشر والطلاح طاعة لله جلَّ وعلا.

حسبنا أن نتذكر قول ربنا: ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)** ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وقد سبقها قوله سبحانه: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)** ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وأعقبها جلَّ وعلا بقوله:

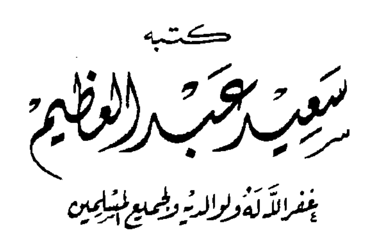
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) ﴾ [الأنفال: ٢٧].

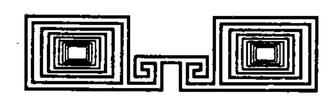
والتناسب بين الآيات واضح يحمل في طياته البشارة بالنصر على الأعداء على الرغم من الخوف والاستضعاف، وفي هذه الآيات أمر الله المؤمنين ألاَّ يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم العذاب؛ فالفتنة إذا عمَّت هلك الكل، ولذلك نحن بحاجة لأن نتشبه بنبيّ الله داود ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) ﴾ [ص: ٢٤]؛ ولذلك أثنى عليه سبحانه بقوله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤) ﴾ [ص: ٤٤].

وعلينا أن نكثر من دعائنا: «**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**».

هيا بنا نعمل بطاعة الله، فإن كانت السلامة في الدنيا والآخرة فهي نرجو، وإن كانت الثانية كانت العافية في الآخرة، اللهم إنا نرجو رحمتك ونخشى عذابك، فلا تكلنا لأنفسنا ولا لأحد من خلقك طرفة عين، وعاملنا بالإحسان إذ الفضل منك وإليك، ولا تُخزنا يوم العرض عليك، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين





فهرس

الموضوع	رقم الصفحة

